المركز القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة

الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية

الجزء الأول

علماء الأنثروبولوجيا

تحرير: ديفيد إل . سيلز

ترجمة: مجموعة من الباحثين

مراجعة وتقديم: أحمد أبوزيد



1512

الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية

(الجزء الأول)

علماء الأنثروبولوچيا

المركز القومى للترجمة
إشراف : جابر عصفور

- العدد : 1512
- الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية (ج١) علماء الأنثروبولوجيا
- ديفيد إل. سيلز
- نخبة
- أحمد أبوزيد
- الطبعة الأولى 2010

هذه ترجمة كتاب :

International Encyclopedia
of the Social Sciences
Edited by David L. Sills

شارع الجبلاية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة . ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ – ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo
e.mail:egyptcouncil@yahoo.com Tel.: 27354524 - 27354526 Fax: 27354554

الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية

(الجزء الأول)

علماء الأنثروبولوچيا

تحرير : ديڤيد إل. سيلز

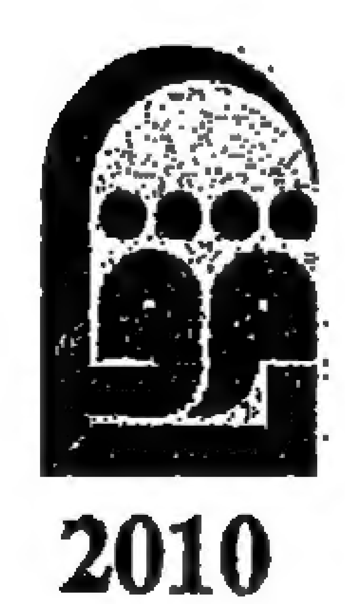
ترجمة

أحمد أبوزيد — فاروق أحمد مصطفى

أمل حركة — فاروق العادلي

سعيد فرح — مصطفى عوض إبرهيم

مراجعة وتقديم : أحمد أبو زيد



2010

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية (ج١) علماء الأنثروبولوجيا /
تحرير : ديفيد إل. سيلز ؛ ترجمة : أحمد أبوزيد (وآخرون) ؛
مراجعة وتقديم : أحمد أبوزيد
ط ١ - القاهرة ، المركز القومى للترجمة ، ٢٠١٠
٣٧٦ ص ؛ ٢٤ سم .
١ - العلوم الاجتماعية - موسوعات .
(أ) إل. سيلز ، ديفيد (محرر)
(ب) أبو زيد ، أحمد (مترجم مشارك ومراجع ومقدم)
(جـ) العنوان ٣٠٠,٣

رقم الإيداع : ٤٢٠٥ / ٢٠١٠

الترقيم الدولى 978-977-479-893-2

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز .

المحتويات

تقديم

بقلم أحمد أبوزيد

فى أوائل الثلاثينيات من القرن الماضى وفى الفترة بين عامى ١٩٣٠ و١٩٣٥ أصدرت دار ماكميلان Macmillan "*موسوعة العلوم الاجتماعية* ***Encyclopedia of The Social Sciences***" فى خمسة عشر مجلدا تضم بضعة آلاف من المقالات المختلفة الحجم التى تعالج وتعرض بغير قليل من التفصيل لآخر ما توصل إليه الفكر الإنسانى حول الموضوعات العديدة والقضايا المختلفة التى يهتم بها العلماء المتخصصون فى شتى مجالات العلوم الاجتماعية. وقد سدت تلك الموسوعة فراغا كبيرا كان يشعر بوجوده المتخصصون الذين يريدون الإلمام بالقضايا الكثيرة المتشعبة فى نطاق تخصصهم على أساس أن الإلمام الواسع بتلك القضايا يؤلف الأرضية الراسخة التى يقيمون عليها بحوثهم ويساعدهم بالتالى على التفرغ لتلك البحوث. يضاف إلى ذلك أن تلك الموسوعة كانت دائما البداية الأولى التى يبدأ منها الدارسون وطلاب الدراسات العليا بالجامعات فى الخارج لاستكشاف معالم وملامح موضوعات رسائلهم الجامعية والمراجع الأساسية التى يبدأون بها ، كما أنها كانت أداة فى أيدى الكثيرين من الأساتذة أنفسهم فى تحديد معالم المقررات الدراسية وإعداد تلاميذهم للدخول إلى مجالات دراستهم الواسعة. وكما هو الشأن بالنسبة لكل الموسوعات سواء المتخصصة مثل هذه الموسوعة المكرسة لمجالات معرفية محددة أم الموسوعات العامة الشاملة مثل *دائرة المعارف البريطانية* ***The Britannica*** كانت *موسوعة العلوم الاجتماعية* مصدرا زاخرا بالمعلومات حول المجالات التى حددتها لنفسها ويمكن أن تفيد كل طالبى المعرفة والثقافة الرفيعة والصحيحة فى تلك المجالات.

وبعد ثلاثة عقود على ظهور تلك الموسوعة ظهرت الحاجة الملحة لإعادة النظر فيها وإدخال التعديلات اللازمة لتحديثها حتى تتواكب مع الأوضاع الجديدة المرتبطة بتطور العلوم الاجتماعية والتغيرات الجذرية التى طرأت عليها خلال العقود الثلاثة وظهور اتجاهات ونظريات ومدارس ومناهج بحثية وعلماء جدد كانت لهم إسهامات واسعة وعميقة فى مجالات تخصصهم ولم تتعرض لها ولهم بطبيعة الحال تلك الموسوعة، ولكن رئى أن الوقت قد حان ليس فقط لإدخال تعديلات وتجديدات على ماكتب فى الثلاثينيات وأن العلوم الاجتماعية قد نمت وتطورت وظهرت فيها مجالات جديدة تماما مما يقتضى إصدار موسوعة جديدة تتماشى مع ماهو قائم بالفعل ، وبذلك - ومن هذا المنطلق - كانت *الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية* **International Encyclopedia Of The Social Sciences** التى نحن بصددها هنا والتى أصدرتها أيضا دار ماكميلان ولكن بالاشتراك مع دار النشر فرى برس **Free Press** مع إسناد مهمة التحرير لعالم الاجتماع البارز ديفيد إل. سيلز **David L. Sills**.

تقع *الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية - التى صدرت عام ١٩٦٨* - فى سبعة عشر مجلدا تتألف من تسعة آلاف صفحة مخصصة لأكثر من ألفى مقال حول موضوعات ومشكلات وقضايا اجتماعية وثقافية وسياسية واقتصادية وسيكولوجية وقانونية وفلسفية ودينية متنوعة فضلا عن نحو ثمانمائة سيرة ذاتية لأساطين العلوم الاجتماعية الذين تتداول الأوساط العلمية والأكاديمية أسماءهم وأعمالهم وأفكارهم فى تلك الفترة دون إغفال الرواد الأوائل الذين أرسوا قواعد تلك العلوم وأصبحت أعمالهم من الكلاسيكيات الأساسية التى تتوارثها الأجيال.

بعد مرور عقد واحد على صدور *الموسوعة الدولية* - وليس ثلاثة عقود - شعرت هيئة التحرير والناشرون أن التطورات والتغييرات والمستجدات فى العلوم الاجتماعية بدأت تتجاوز محتويات هذه الموسوعة (الجديدة) وأن الأمر يستلزم إصدار ملحق مكمل

– أو ربما عدة ملاحق متتالية – ترصد النظريات والاتجاهات والأبحاث بل والمكتشفات المتلاحقة فى بعض العلوم الأخرى التى انعكست مناهجها ونتائجها على البحوث الاجتماعية الدقيقة كما هو الحال بالنسبة للبيولوچيا البشرية وعلاقتها بالأنثروبولوچيا. وساعد على الشعور بأهمية إصدار هذه الملاحق تضخم أعداد العلماء فى مختلف المجالات والتخصصات وبالتالى ازدياد عدد النظريات والمناهج وتداخل الاتجاهات والأفكار وتعقدالمشكلات وتنوع الكتابة فيها ، ونشأت تبعا لذلك فكرة إصدار ملحق عن أهم العلماء فى العلوم الاجتماعية الذين لم تظهر أسماؤهم ومنجزاتهم فى *الموسوعة الدولية* بأجزائها ومجلداتها السبعة عشر لأسباب سوف يرد ذكرها فى التصدير الذى كتبه لهذا الملحق الأستاذ ديفيد سيلز الذى ارتبطت الموسوعة كلها باسمه ، وكذلك المقدمة التى كتبتها المشرفة الإدارية على التحرير باربرا شرنوف. والوقع أن ما جاء فى ذلك التصدير وتلك المقدمة عن الجهود التى بذلت حتى خرج هذا الملحق من السير الذاتية إلى الوجود عام ١٩٧٩ يعتبر ملحمة من بذل الجهد والعمل الشاق والمثابرة والدقة والموضوعية العلمية تستحق الاسترشاد بها لإنجاز أى عمل أكاديمى محترم .

وكما هو الشأن أيضا فى كل الموسوعات جاء ترتيب السير الذاتية فى هذا الملحق تبعا لترتيب الحروف الهجائية فى اللغة التى صدرت بها الموسوعة (اللغة الإنجليزية فى هذه الحالة) حسب أسماء العلماء بصرف النظر عن مجال تخصصهم ، ولكن تم فى الوقت ذاته إعداد قائمة تصنيفية لتوزيع هؤلاء العلماء بين فروع العلوم الاجتماعية التى ينتسبون إليها وذلك بقصد تسهيل استخدام الموسوعة ومعرفة العلماء الذين وردت سيرهم الذاتية تحت كل علم من تلك العلوم. وقد قسمت هذه القائمة التصنيفية العلوم الاجتماعية إلى أربعة عشر مجالا هى حسب ماجاء فى الصفحات الأولى من ذلك المجلد وتبعا لترتيب الحروف الهجائية الإنجليزية : الأنثروبولوچيا – علوم الجريمة – علم السكان – الاقتصاد – التاريخ وفلسفة التاريخ – البيولوچيا البشرية – اللغويات –

الفلسفة – علم السياسة والنظرية القانونية – العلاج النفسى – علم النفس – الدين – علم الاجتماع – الإحصاء. وذكرت تحت كل قسم أسماء العلماء البارزين فى ذلك المجال. وإذا كانت موسوعة ١٩٣٠–١٩٣٥ اشتملت على نحو أربعة آلاف سيرة ذاتية بينما الموسوعة الدولية (موسوعة ١٩٥٨) اشتملت على ثمانمائة سيرة فإن هذا الملحق المكمل يشتمل على مائتين وخمس عشرة سيرة ذاتية فقط تم اختيار أصحابها حسب معايير دقيقة سوف يجدها القارئ فى مقدمة باربرا شرنوف وهى معايير تكشف عن مدى الدقة فى عملية الانتقاء والاختيار من بين عشرات الآلاف من العلماء فى كل فروع العلوم الاجتماعية على مستوى العالم.

ولقد شهد العقدان الأخيران من القرن العشرين اهتماما متزايدا – قد لا يخلو من بعض المغالاة – بنشر الموسوعات فى العلوم الاجتماعية وظهرت بالفعل عدة موسوعات تتباين تباينا شديدا فى أحجامها ومحتوياتها والمجالات التى تهتم بتغطيتها وقيمتها العلمية والأكاديمية وذلك إلى جانب عدد كبير من القواميس التى يكتفى أصحابها بتقديم تعريفات لمجموعة من المصطلحات لتكون دليلا ومرشدا للطلاب المبتدئين فى الأغلب. بل إن هناك بعض المحاولات التى لا تخلو من طرافة لتكوين موسوعات أنثروبولوچية بالذات يقوم بها الدارسون والطلاب فى بعض الجامعات الكبرى فى أمريكا تحت إشراف أساتذتهم كوسيلة لتعليمهم أساليب البحث العلمى والكشف عن المراجع إلى جانب ما يكتسبونه من خبرة ومعرفة بطريقة عملية وبجهودهم الذاتية. وربما كان أفضل مثال لهذا النوع الجديد من الموسوعات المشروع المعروف باسم شبكة *السير الذاتية لعلماء الأنثروبولوچيا* ***ANTHROPOLOGY BIOGRAPHY WEB*** الذى يتولى تنفيذه طلبة الأنثروبولوچيا بجامعة ولاية منيسوتا فى منكاو تحت إشراف أساتذتهم ليكون جزءا من المتحف الإلكترونى **Emuseum** الذى تتولى الجامعة إنشاءه. وقد اشتملت هذه الموسوعة حتى الآن على ما يزيد على ثمانمائة سيرة ذاتية

للأنثروبولوچيين والعلماء البارزين في العلوم الاجتماعية الأخرى الذين أثرت أعمالهم في تطوير الأنثروبولوچيا وبخاصة منذ منتصف القرن الثامن عشر. والملاحظ أيضا في هذا الصدد ازدياد الاتجاه نحو بث الموسوعات الكبرى في العلوم الاجتماعية على الشبكات الدولية تيسيرا للحصول على المعرفة في هذه الميادين التي تلقى قبولا شديدا بين طلاب الجامعات الأوروبية والأمريكية. ومن أحدث هذه الموسوعات الكبرى في العلوم الاجتماعية والتي يمكن الوصول إليها بسهولة عن طريق *الإنترنت الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية والسلوكية* ***International Encyclopedia of The Social and Behav- ioral Sciences*** التي أصدرتها عام ٢٠٠١ دار النشر **Elsevier- Science** وأشرف على لتحريرها عالم الاجتماع الأمريكي الشهير نيل سملزر **Neil J. Smelser**، والإصدار الجديد تماما للموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية التي نشرتها دار ماكميلان عام ٢٠٠٨ في ثمانية أجزاء وأشرف على تحريرها وليام إيه دارتي . **William A., Darty Jr.** ومع أن أن هذا الإصدار يحمل ما يشير إلى أنه الطبعة الثانية لموسوعة ١٩٦٨ فإنه في واقع الأمر موسوعة جديدة تماما في كل شيء كما أنه لم يترتب عليه اختفاء الاهتمام بموسوعة ١٩٦٨ التي أعيد طبعها كاملة في ثمانية مجلدات أيضا بدلا من سبعة عشر مجلدا مع الإبقاء على المجلد الثامن عشر الخاص بالسير الذاتية دون تعديل..

ولقد آثرنا هنا – ربما مراعاة لظروف الباحثين والدارسين في مصر خاصة والعالم العربي عامة – أن نتبع في الترجمة التصنيف الذي اقترحته هيئة تحرير الموسوعة الذي تأتي الأنثروبولوچيا **Anthropology** على قمته تبعا للترتيب الهجائي الإنجليزي. ومن هنا كان هذا المجلد الأول مخصصا للسير الذاتية لعلماء الأنثروبولوچيا الواردة في المجلد/ الملحق. ويضم هذا القسم في الأصل الإنجليزي ثلاثين سيرة ذاتية لعلماء ينتمون إلى مختلف فروع الأنثروبولوچيا الاجتماعية والثقافية والفيزيقية بالإضافة إلى عدد محدود من السير الذاتية لبعض العلماء الذين ينتمون إلى ماتعده

هيئة التحرير علوما هامشية وإن كان لها تأثير واضح فى مسار البحث الأنثروپولوچى فى السنوات الأخيرة. ولقد استبعدنا من الترجمة السير الذاتية لثلاثة من هؤلاء العلماء رغم تميزهم الذى لا شك فيه وذلك على أساس أنهم أقرب إلى علم الاجتماع أو اللغويات أو البيولوچيا البشرية. وساعدنا على اتخاذ هذا القرار أن أسماءهم وردت فى التصنيف الأصلى تحت أكثر من مجموعة من المجموعات الأربع عشرة التى تم تصنيف العلوم الاجتماعية إليها. وسوف تظهر السير الذاتية لهؤلاء العلماء الثلاثة فى المجلدات الخاصة بالعلوم التى ارتبطوا بها أكثر من ارتباطهم بالمجال الأنثروبولوجى الدقيق.

ولقد بدأ التفكير فى ترجمة هذا المجلد عن السير الذاتية لأساطين العلوم الاجتماعية منذ سنوات وشرعت فى ترجمة بعض تلك السير بالفعل ، ثم عرضت الفكرة على زملائى الأساتذة أعضاء لجنة الدراسات الاجتماعية فى المجلس الأعلى للثقافة على أمل أن تكون الترجمة عملا مشتركا بدلا من أن تكون عملا فرديا قد ينوء بحمله شخص واحد ، ووجدت الفكرة قبولا وترحيبا شديدين، ويتولى أعضاء اللجنة معظم العبء فى الترجمة مع الاستعانة بعدد من الأساتذة فى المجالات الشديدة التخصص التى لايوجد من بين أعضاء اللجنة من يتولى ترجمتها على الوجه الأكمل وكذلك للاستفادة بخبرات أكبر عدد ممكن من الأساتذة ذوى الكفاءات الخاصة. وقد بذلت جهود صادقة من الأساتذة المترجمين للالتزام بالنص الإنجليزى كما أننى توليت مراجعة الترجمة بكل دقة بحيث إننى كنت أعيد مقابلة الترجمة بالنص الإنجليزى عدة مرات فى بعض الحالات للتأكد من ذلك الالتزام مع السماح بغير شك بهامش محدد من حرية التصرف. فالشكر العميق لما بذلوه من جهد.

ولقد كان شباب الدارسين والباحثين والطلاب نصب أعيننا ونحن نقبل على ترجمة محتويات هذا الملحق الذى نرجو أن تظهر ترجمة بقية أقسامه على فترات متقاربة وإن لم تتبع فى ظهورها بالضرورة الترتيب الهجائى الإنجليزى للمجموعات

كما أوردها التصنيف. والمرجو هو أن يتم تجميع هذه السير الذاتية كلها بعد أن تتم ترجمتها بحيث تظهر فى مجلد واحد أو مجلدين كبيرين حسب الترتيب الهجائى لأسماء أصحاب تلك السير وبغير اعتبار للتقسيمات التخصصية كما هو الحال فى المجلد الأصلى وكما هو متبع فى الموسوعات بوجه عام. والله الموفق .

مارس ٢٠٠٩

أحمد أبو زيد

إلى ذكرى
تالكوت پارسونز
١٩٠٢ - ١٩٧٤

تصدير : عن استخدامات السير الذاتية

ديڤيد إل. سيلز(*)

تصدير أى عمل أكاديمى ينبغى أن يضع ذلك العمل فى سياق يكشف عن علاقته بالأعمال الأخرى المماثلة ، ولذا فإن مهمتى الأولى هى أن أربط هذا الملحق الخاص بالسير الذاتية بكل من طبعة الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية التى نشرت عام ١٩٦٨ والتى تتألف من سبعة عشر مجلدا ، وموسوعة العلوم الاجتماعية التى نشرتها دار ماكميلان فى الفترة مابين ١٩٣٠ و١٩٣٥ والتى تتألف من خمسة عشر مجلدا.

وقد كان عالم الاقتصاد آلڤين چونسون Alvin Johnson الذى شارك فى تحرير موسوعة ١٩٣٠ - ١٩٣٥ (وكان هو فى واقع الأمر المحرر الفعلى) قد بلغ التسعين من العمر حين عرفته فى أوائل الستينيات ولكنه لم يكن نسى الكثير مما تعلمه قبل ثلاثين سنة كمحرر لعمل موسوعى ضخم ، ولذا كانت أولى نصائحه التى قدمها لى عام ١٩٦٢ هى ألا أستمع إلى الذين يقولون إن الوقت لم يحن بعد لإصدار موسوعة جديدة عن العلوم الاجتماعية إذ هناك دائما من يتبنون هذا الرأى الذى يحسن إغفاله تماما. ولكى يدلل على صحة رأيه أشار إلى مثل شعبى كان قد تعلمه فى شبابه يقول " اقطع حين يكون سلاحك حادا ". ومن حسن الحظ أن دار Free Press قررت أن سلاحها حاد ومشحوذ وأن الوقت مناسب لنشر مجلد إضافى. وأعتقد لأسباب سوف أذكرها فيما بعد أن من المهم جدا تخصيص هذا المجلد لسير ذاتية جديدة.

(*) ترجمة : أحمد أبوزيد

وإحدى النصائح الأخرى التى قدمها آلفين جونسون والتى أخذنا بها عام ١٩٦٢ هى أن نكون أكثر منه دقة فى اختيار من نكلفه بكتابة المقالات عن السير الذاتية، ذلك أن الموسوعة السابقة كانت تضم نحو أربعة آلاف سيرة ، ومع أن بعضها لايزال مفيدا حتى الآن فإن من السهل تصور أن عددا كبيرا منها لم يقرأه سوى نفر قليل جدا من الباحثين خلال العقود الخمسة الماضية. ولما كنت - أنا وزملائى - نهدف إلى أن تتناول الموسوعة الأفكار أكثر من أن تكون موسوعة وصفية فإننا فكرنا فى بداية الأمر ألا تضم أية سيرة ذاتية على الإطلاق. ولكن من حسن الحظ أننا استبعدنا تلك الفكرة وكان من دواعى سرورنا فيما بعد أننا قررنا أن تشتمل الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية على ستمائة سيرة ذاتية. ويضم المجلد الحالى مائتين وخمس عشرة سيرة إضافية.

ولقد عملت باربرا إيه. شرنوف Barbara A. Chernow مديرا للتحرير متفرغة طيلة مدة المشروع. وتصف المقدمة التى كتبتها لهذا المجلد معايير اختيار الشخصيات والكتّاب. وسوف أستعرض فى النقاط التالية بعض وجوه إمكان استخدام هذه السير الذاتية.

أوضح هذه الوجوه هو أن السيرة الذاتية تساعد على التوصل إلى إجابات عن التساؤلات الخاصة بحقائق حياة الشخصيات مثل تاريخ الميلاد ومكان التعليم وأهم مؤلفاتهم وأشهر أعمالهم وتاريخ نشرها وما إلى ذلك. فمثل هذه المعلومات يصعب - إن لم يكن من المستحيل - الوصول إليها فى المكتبات ولذا فإن وجود موسوعة تضم مقالات عن السير الذاتية تعتبر عملا مرجعيا لاغنى عنه.

وثمة فائدة ثانية للسير الذاتية الخاصة بالعلماء وهى أنها تساعد على فهم أفكارهم ومناهجهم خاصة أنه فى العلوم الاجتماعية بالذات يكون جوهر العمل الجاد انعكاسا إلى حد ما لحياة الذين أنتجوه ، ولذا فكلما زادت معرفتنا بحياتهم زاد فهمنا لأعمالهم. وليس من شك فى أن تلك العلاقة تتفاوت تفاوتا كبيرا من عالم لآخر. ومن المؤكد أننا لا نعنى هنا أن قراءة السيرة الذاتية هى بديل عن قراءة المصادر الأصلية.

فالعلاقة بين الكاتب وأعماله هى محور أو بؤرة الجدل المستمر فى الإنسانيات.. وبعض المفكرين يرون أن مؤلفات الكاتب يجب أن تكون هى وحدها أساس التحليل النقدى (هو مايعرف باسم النقد الحديث) ، بينما البعض الآخر يعترض على تحليل تاريخ الحياة على أساس أنه نوع من انتهاك الخصوصيات. والكتاب الذى أشرف على تحريره مارك باشتر Marc Pachter عام ١٩٧٩ بعنوان *Telling Lives : The Biographer's Art* يحتوى على ثمانى مقالات مهمة تعرض تلك الآراء وغيرها عن سير الحياة كمصدر للمعلومات .

فمن الواضح إذن أن السير الذاتية – وبخاصة مجموعات السير– يمكن أن تضيف كثيرا للتاريخ الفكرى وللسياق الاجتماعى الذى تظهر فيه الأفكار الجديدة وتكشف عما لانزال نحتاج إلى معرفته عن تاريخ الأفكار كما أنها تساعد على فهم تأثير الأصول الاجتماعية والثقافية والانتماء إلى الأجيال المختلفة فى التطور العلمى. إنها تخبرنا عن الأساتذة والزملاء المؤثرين بشكل خاص، كما أنها تصف " الحلقات العلمية الخفية" التى ينتمى إليها العلماء وبالتالى عن شبكة التأثيرات المتبادلة ، كما أنها تبين كيف أفلحت تلك الأفكار– أو أخفقت – فى أن تصبح نظما مؤسساتية بفضل أصحابها أو من خلال جهود الأجيال التالية سواء من حيث قبول المصطلحات أو الانتشار فى مراكز البحوث. والمجلد الحالى ليس مجرد إضافة إلى المجلدات السبعة عشر السابقة وإنما هو إضافة أيضا إلى مجموعات السير الذاتية الأخرى مثل مجموعة تشارلس سى. چيليسبى Charles C. Gillispie المؤلفة من خمسة عشر مجلدا بعنوان *Dictionary of Scientific Biography (1970 - 1971)* ومجموعة جاردنر ليندزى Gardner Lindzey , A History of Psychology in Autobiography (1971) وهى ذاتها امتداد لمجلدات خمسة سابقة.

وثمة مصطلح يعود إلى القرن الثامن عشر وهو Prosopography كان يستخدم لوصف منهج الدراسة المنهجية المطردة لمجموعات السير الذاتية ، وهو منهج يطلق عليه

المؤرخون تعبير "السير الذاتية الجماعية Collective Biography" بينما غيرهم من العلماء الاجتماعيين يحبون تسميته "التحليل متعدد المسارات للحياة المهنية "-Multiple career line analysis (Stone 1971, p. 46). . ويعطى علماء الاجتماع والمؤرخون فى الوقت الحالى مزيدا من اهتمامهم لهذا الأسلوب. وأحد الأمثلة على ذلك هو التحليل الذى قام به أرنولد ثاكراى وستيفن شابين للمجتمع العلمى البريطانى فى الفترة من ١٧٠٠ – ١٩٠٠ . وثمة مثال آخر هو التحليل الذى قدمته هارييت زوكرمان Harriet Zuckerman فى كتاب *Scientific Elite* (1977) عن الحياة المهنية لاثنين وتسعين من الحاصلين على جائزة نوبل ، وهو عمل يخبرنا عن الأصول العائلية والاجتماعية لهؤلاء العلماء المبدعين فى تفاعلهم مع نسق الاعتراف بهم وتكريمهم فى مجال العلم . والعرض الشامل الذى قام به روبرت ميرتون (١٩٧٩) للتطورات الجديدة فى سوسيولوچيا العلم يؤكد فائدة دراسة مجموعات السير الذاتية كما أنه يقدم دراسة ممتعة عن الطريقة التى كاد كتاب جيليسبى عن *Dictionary of Scientific Biography* يتخذ عن طريقها صورة وطابع التحليل المنهجى للحياة المهنية. وفى وقت من الأوقات كان ثمة من يرى أنه يتعين على كل الكتاب الذين يسهمون فى تأليف (القاموس) أن يقدموا معلومات متسقة عن الشخصيات الذين يكتبون عنهم بطريقة تكفل إمكان حفظ وتنسيق واستعادة وتحليل تلك المعلومات باستخدام الكمبيوتر ، ولكن انتهى الأمر إلى أن هذه خطوة سابقة لأوانها (Merton 1979, pp. 41-47)

والسير الذاتية التى تضمها الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية (بما فيها تلك التى تظهر فى هذا المجلد) – ومثلها فى ذلك مثل السير التى يضمها *قاموس السير الذاتية العلمية* تستخدم على نطاق واسع من قِبَل الأفراد ولكن فائدتها تتفاوت فى تحقيق الأهداف. فعلى سبيل المثال نجد أن بعض الكتّاب لا يوفر معلومات كافية عن الأنشطة المتعلقة بالعمل والبحث بما يتفق ومتطلبات منهج التحليل المنهجى لمسيرة الحياة المهنية بينما آخرون يكادون يقتصرون على استخدام المؤلفات كمصادر للتعريف بالعلماء الذين يكتبون عنهم وبذلك يغفلون كثيرا من المعلومات الخاصة بسياق عمل

هؤلاء العلماء وهو السياق الذى يفضله المؤرخون والمتخصصون فى سوسيولوچيا العلم. إلا أنهم جميعا يقدمون هنا صورة لأحد أعضاء جيل مهم من العلماء الاجتماعيين.

وسوف يجد القارئ فى موضع ما من بداية هذا المجلد قائمة التخصصات التى تمثلها هذه السير الذاتية ، وهى قائمة تمثل بطبيعة الحال كل العلوم الاجتماعية كما تظهر فيها بعض التخصصات التى تقع على هامش تلك العلوم. فالفلسفة والنظرية القانونية تقعان على أحد الهامشين بينما البيولوچيا البشرية تقع على الهامش الآخر. ويعكس اختيار أشخاص العلماء فى مجال الإنسانيات والعلوم الطبيعية اتجاها سائدا الآن داخل العلوم الاجتماعية وضرورة التعلم من هؤلاء العلماء الذين يقعون على الهامش مما يعلى من شأن المجلد وأهميته.

وجيل العلماء الذين يظهرون هنا تلقى تعليمه فى فترة مابين الحربين العالميتين حين كان هناك عدد قليل نسبيا من العلماء الاجتماعيين فى أى مجال. إنه الجيل الذى تولى تعليم نسبة كبيرة جدا من العلماء الاجتماعيين المعاصرين. إنه الجيل الذى ظهر بين الرواد الأوائل المؤسسين للعلوم الاجتماعية الحديثة فى القرن التاسع عشر وبين آلاف العلماء الاجتماعيين الذين يمارسون الآن تلك المهمة ، وهذا وحده يكفى للترحيب بهذا المجلد عن السير الذاتية كإضافة لمكتباتنا الخاصة والمؤسساتية.

والمجلد يتحدث عن نفسه ولكننى أود فقط أن أسجل هنا تقديرى لذكاء ومثابرة ودبلوماسية باربرا إيه شرنوف.

ديڤيد إل. سيلز

BIBLIOGRAPHY

Encyclopedia of the Social Sciences, 1930-1935. Edited by EWdwin R. A. Seligman and Alvin Johnson. 15 volumes. New York; Macmillan.

Gillispie, Charles C. (editor) 1971-1978 Dictionary of Scientific Biography. 15 volumes. New York ; Scribners .

Lindzey, Gardner (editor) 1974 A History of Psychology in Autobiography ,volume 6, Englewood Cliffs, N.J. , Prentice-Hall.

Merton, Robert K. 1979 The Sociology of Science; An Episodic Memoir Carbondale and Edwardsville ;Southern Illinois Univ. Press, First published in 1977 as chapter 1 of The Sociology of Science in Europe, edited by Robert K. Merton and Jerry Gaston .

Patcher, Marc (editor(1979 Telling Lives :The Biography Art, Washington, New Republic Books/National Portrait Gallery.

Shapin, Steven and Thackray, Arnold 1974 Prosopography as a Research Tool in the History of Science ; The British Scientific Community 1700-1900, History of Science 12:1-28.

Stone , Lawrence 1971 Prosopography , Daedalus 100, 1:46-79.

Zuckerman, Harriet 1977 Scientific Elite; Nobel Laureates in the United States, New York, Free Press .

مقدمة

باربرا إيه. شرنوف(*)

هذا الملحق عن السير الذاتية *للموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية* هو الحلقة الثالثة فى سلسلة أعمال موسوعية بدأت عام ١٩٣٠ . ففى الفترة بين ١٩٣٠ و ١٩٣٥ قامت دار ماكميلان بنشر موسوعة العلوم الاجتماعية المؤلفة من خمسة عشر مجلدا وأشرف على تحريرها إدوين آر. إيه. سليجمان Edwin R. A. Seligman وألفين جونسون Alvin Johnson. ولم تخضع تلك الموسوعة الكلاسيكية أبدا للمراجعة بل ولم تعد متاحة إلا على الميكروفيشات. وفى الخمسينيات فكر آلفين جونسون وغيره من أعضاء مجتمع العلم الاجتماعى فى إمكانية مراجعة تلك الموسوعة ولكنهم فضلوا على ذلك فكرة نشر عمل مرجعى جديد تماما يعكس الطبيعة المتغيرة والمتوسعة للعلوم الاجتماعية. وأخيرا وفى الستينيات استقر رأى دار ماكميلان والفرى برس Free Pressعلى نشر موسوعة جديدة تماما، وقد تم نشرها بالفعل عام ١٩٦٨ فى سبعة عشر مجلدا تحت عنوان *الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية* تحت إشراف وتحرير ديفيد إل. سيلز كملخص شامل لحالة المعرفة فى العلوم الاجتماعية. وكما هو الشأن بالنسبة للموسوعة السابقة لم تخضع الموسوعة الدولية الجديدة للمراجعة أبدا ولو أنه أعيد طباعتها كاملة فى ثمانية مجلدات عام ١٩٧٨.

ولما كانت أى موسوعة تعكس إسهامات جيل معين فى المعرفة كان يتعين مراجعة تلك المعرفة وتحديثها أو تكملتها إذا أريد المحافظة على مصداقيتها الفكرية، وحتى

(*) ترجمة : أحمد أبو زيد

يمكن لموسوعة عام ١٩٦٨ أن تستمر كأداة مرجعية مفيدة كان لابد من أن يضاف إليها التطورات التالية فى العلوم الاجتماعية. وهذا الملحق الحالى هو الخطوة الأولى نحو تحقيق هذا المطلب.

ومن الملاحق التى اقترحت فى هذا الصدد وقع الاختيار ، ربما لسهولة التنفيذ ، على ملحق يتألف كله من السير الذاتية للعلماء الاجتماعيين البارزين الذين كانوا لايزالون – فى منتصف الستينيات – أصغر سنا من أن تدرج أسماؤهم فى المجلدات الأصلية. وقد أعدت دار النشر فرى برس Free Press قائمة مبدئية تضم أسماء نحو ثلاثمائة شخصية لكتابة سيرهم الذاتية، وأرسلت تلك القائمة إلى نحو خمسين من أساطين العلوم الاجتماعية لإبداء الرأى. وكانت الاستجابات للمشروع مشجعة للغاية إذ أعادوا تلك القائمة مشفوعة باقتراحاتهم بالإضافة أو الحذف مع اقتراح أسماء بعض الكتاب. وفى ضوء هذه المعلومات وهذا التأييد من المجتمع الأكاديمى بدأ العمل بجدية فى أوائل عام ١٩٧٧.

اختيار أصحاب السير الذاتية

وقد قرر المحررون أن يشتمل الملحق المؤلف من مجلد واحد على نحو مائتى سيرة ذاتية. وكما كان متوقعا ، فإن اختيار الأشخاص كان أشد مراحل المشروع حساسية. فالارتباطات والصداقات الشخصية والمهنية أثرت فى توصيات كل العلماء الذين تقدموا بالنصح لهيئة التحرير، وحتى بعد أن استقر الرأى على القائمة النهائية تدخلت نفس الحساسيات فى موضوع الأهمية النسبية للسير الذاتية المختلفة وبالتالى فى تحديد الحجم النسبى للمقالات.

وكانت معايير إدراج الشخصيات فى الملحق هى نفس المعايير التى اتبعت فى المجلدات السبعة عشر التى ضمت السير الذاتية للعلماء المتوفين وكذلك العلماء الأحياء الذين كانوا قد تجاوزوا سن السبعين أى الذين كانوا قد ولدوا قبل عام ١٨٩١. وكان

هذا معناه أن ظهور أى عالم فى الملحق كان يتطلب أن يكون قد توفى منذ الإعداد للمجلدات الأساسية أو يكون قد ولد ليس بعد نهاية ديسمبر ١٩٠٨ . وبالرجوع إلى نشرات التأبين فى الصحف والمجلات المتخصصة والاستعانة بآراء أكثر من مائتى عالم اجتماعى فى الولايات المتحدة وخارجها بما فى ذلك كل المشاركين والمحررين الذين عملوا ضمن هيئة موسوعة الستينيات تضخم حجم القائمة إلى نحو خمسمائة اسم. وفى نوفمبر ١٩٧٧ اجتمعت لجنة خاصة من العلماء مع المحررين لتعديل وتنقيح القائمة. وعلى أية حال فإن دار النشر فرى بريس اتخذت قرارها النهائى الخاص بمحتوى المجلد الذى يضم مائتين وخمس عشرة سيرة ذاتية.

وقد صنَّف المستشارون السير الذاتية فى ثلاث فئات : الشخصيات الكبرى الأساسية الذين أضافوا إسهامات تمثل مسارا جديدا وقويا ومستمرا للعلوم الاجتماعية ، والشخصيات المهمة الذين تعتبر أعمالهم إضافات جوهرية وأساسية فى نمو مجالات تخصصهم ، ثم العلماء الذين تمثل بحوثهم قطاعا بارزا فى تطورات العلوم الاجتماعية. وهذه الفئة الثالثة فئة ذاتية بوجه خاص ولكننا لا نستطيع أن نزعم أن اختياراتنا كانت هى الوحيدة الصحيحة والملائمة.

ويضم الملحق ثلاث سير ذاتية لعلماء اجتماعيين كانت تراجم حياتهم سقطت لأسباب مختلفة من المجلدات الأساسية. وفى أربع حالات أخرى كان الزوج والزوجة مشاركين فى أعمال واحدة أو متداخلة بحيث كان يصعب تخصيص سيرة ذاتية مستقلة لكل منهما لأن ذلك كان يعنى التكرار ، ولذا خصصت سيرة ذاتية واحدة لهما معاً. وأخيرا فإنه نتيجة لوقوع خطأ فى البحث المبدئى للمعلومات تم إدراج اسم أحد العلماء الذين لا ينطبق عليهم معيار السن لأن المحررين رأوا أنه من غير المناسب استبعاده بعد أن تم تكليف من يتولى الكتابة عنه.

اختيار الكتّاب : –

تتلخص معايير اختيار المسهمين بالكتابة فى معرفة أعمال صاحب السيرة معرفة وثيقة وارتفاع المستوى الفكرى والتمثيل المؤسساتى والجغرافى. (ينتمى الكتّاب

المائتان والسبعة عشر المسهمون فى هذا المجلد إلى ثلاث عشرة دولة مختلفة). وقد قمنا – تبعا لتوصيات المستشارين – بإعداد قوائم بأسماء الكتاب الذين يمكنهم الكتابة عن كل صاحب سيرة على حدة. وحين استعرضنا تلك القائمة وقائمة الأشخاص المقترحة أسماؤهم للظهور فى هذا الملحق تبين أن هناك نوعا من الاستمرارية من *موسوعة العلوم الاجتماعية إلى الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية* إلى هذا الملحق. فمثلا كان تالكوت بارسونز الذى نهدى هذا الملحق إلى ذكراه قد أسهم بالكتابة فى الأعمال الثلاثة كلها كما أنه أحد أصحاب سيرة ذاتية خاصة به فى هذا المجلد ، كما أن ثمانية عشر من العلماء الاجتماعيين الذين أسهموا فى الموسوعتين أصبحوا هم أنفسهم موضوعات للكتابة عنهم. وأن اثنين وخمسين من الكتّاب فى *الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية* أصبحوا موضوعا للكتابة عنهم هنا وأن خمسين من الذين يشاركون بالكتابة فى هذا الملحق كانوا أيضا من الكتّاب فى الموسوعة الأصلية ذات السبعة عشر مجلدا.

وكما هو الشأن فى أى مشروع يقوم على جهود مثل هذا العدد الكبير من المؤلفين ويخضع فى الوقت ذاته لجدول زمنى دقيق جدا أخفق عدد قليل من الكتاب فى تسليم المقالات التى وعدوا بكتابتها، ولذا يشعر المحررون بكثير من الامتنان للعلماء الذين قبلوا القيام بهذه المهمة فى آخر لحظة حتى لا تسقط أسماء أصحاب تلك السير من هذا الملحق .

إعداد المخطوطة :-

جميع المقالات فى هذا الملحق إسهامات أصيلة وتتفق مع قواعد الأسلوب التى كانت قد تبلورت فى الستينيات للنشر فى الموسوعة الدولية. فقد تلقى المؤلفون توجيهات تفصيلية حول مستوى وتنظيم المقالات ، وحرصت هيئة التحرير على أن تحقق التوازن

والتســاوى المطلق فى محتويات تلك السير مع السماح للمؤلفين بقدر من المرونة حتى لا يفقد المجلد وحدته.

وللمحافظة على سياسة الموسوعة كان التركيز فى تلك السير الذاتية على التطور الفكرى لتلك الشخصيات وإسهامهم فى العلوم لاجتماعية وبذلك لم يظهر سوى معلومات قليلة نسبيا حول تفاصيل حياة عدد منهم. وقد كنا نشجع الكتّاب على مناقشة الأوضاع والظروف الفكرية التى أحاطت بأصحاب السير وتحليل المناخ الفكرى السائد أثناء سنوات دراستهم الجامعية وحياتهم المهنية والأفكار والأشخاص الذين تولوا هم تعليمهم والتأثير فيهم والزملاء الذين تعاونوا معهم. وحتى نحصل على صورة متوازنة كنا نحرص على تشجيع المؤلفين على رصد الانتقادات المهمة التى وجهت لأعمال تلك الشخصيات وتحليل الاتجاهات الفكرية التى قامت لتعزيز أو معارضة نتائج بحوثهم. وكان للمؤلفين الحرية فى تقسيم وتوزيع محتوى كتابتهم موضوعيا أو تاريخيا إن كان ذلك يساعد على عرض المعلومات فى صورة منظمة. وقد خضعت كل سيرة للتحكيم من واحد على الأقل من المتخصصين فى مجال صاحب السيرة قبل قبولها للنشر. وقد اطلع جميع الكتاب على نسخ مقالاتهم بعد مراجعتها من هيئة التحرير كما أتيحت لهم فرصة مراجعة البروفة الأخيرة.

قوائم المراجع :

لعل أكثر جوانب أى عمل مرجعى تعرضا للاسترشاد به هو المصادر والمراجع. وقد تولى المؤلفون أنفسهم إعداد مراجع مقالاتهم ولكن قام بتحقيق وإقرار كل عنصر منها ثلاثة من المتخصصين للتأكد من صحتها كما أنهم تولوا – حين يحتاج الأمر – تحديث المعلومات وإضافة أية تعليقات مناسبة. وتنقسم قائمة المراجع إلى أعمال أصحاب السير الذاتية أنفسهم التى تتراوح ما بين أعمال مختارة بكل دقة إلى رصد جميع ما صدر عنهم، وكتابات أخرى إضافية وكذلك القراءات التى تدور حول حياتهم وأعمالهم.

وبتطبيق النظام الذى اتبع فى الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية كان تاريخ أول طبعة لأى عمل يأتى ذكره أولا ولكن المعلومات حول النشر تشير، كلما أمكن ، إلى أحدث طبعة متاحة باللغة الإنجليزية ، وبهذه الطريقة أمكن رصد التطور التاريخى للنمو الفكرى لكل صاحب سيرة. وفى الحالات التى يعاد فيها طبع أى عمل فإن تاريخ نشر الطبعة الأولى يظهر بين علامات تنصيص فى قائمة المراجع ، أما فى النص ذاته فإن تاريخ الطبعة الأولى كان يتم رصده ، وإذا كان المرجع له طبعات تالية فإن تاريخ الطبعة الأولى يظهر بين قوسين بينما تتم الإشارة إلى أية معلومات حول الترجمات أو التغييرات فى العناوين فى تفاصيل الشروح المصاحبة.

شكر وعرفان :

وهذا المجلد هو فوق كل شىء حصيلة عمل مجتمع العلوم الاجتماعية. فخلال عامين ونصف العام حملت هيئة التحرير التزامات خاصة إزاء الأشخاص الذين تضمهم قائمة المستشارين.

ولا يمكن لمثل هذا العمل أن يتم بنجاح دون أن تتوافر له هيئة تحرير متمرسة يتم التنسيق بكل دقة بين جهودهم كما أنهم يؤدون عملهم بدقة وسرعة وصبر لا ينفد. وتضم الهيئة التى ساعدت معرفتهم المتخصصة ومهاراتهم على إنجاز المشروع إفلين جلنر التى تولت مراجعة المقالات ونانسى شرودر وباتريشيا مايجان وسوزان كوبلاند اللواتى تولين تحقيق قوائم المراجع. ولكن هيئة التحرير تشعر بدين خاص من العرفان لمكتبات جامعة كولومبيا والمكتبة العامة فى نيويورك لإتاحة كل التسهيلات الممكنة.

ويستحق ديفيد إل. سيلز شكرا من نوع خاص لمؤازرته المستمرة لفكرة إصدار ملحق بالسير الذاتية ولإرشاداته ونصائحه العديدة فى كل مراحل المشروع. وقد شارك فى اختيار الشخصيات والكتّاب وقرأ كل المقالات فى بروفتها الأخيرة وفى بحث

ودراسة المشكلات الضخمة المتعلقة بالتحرير كما قام بإعداد (التصدير) وكتب واحدا من أطول المقالات وهى عن عالم الاجتماع بول لازرسفيلد.

باربرا إيه. شرنوف

علماء الأنثروبولوچيا

السير الذاتية

إجـان ، فـرد

EGGAN , Fred

فردريك رصِل إجان كان دائما قوة مركزية فى أنثروبولوچيا منتصف القرن العشرين إذ تمزج أعماله الأكاديمية بين المدخل البنائى الوظيـفى المتـبع فى الأنثروبـولوچيا الاجتماعية فى بريطانيا والاهتمام بالعمليات التاريخية الثقافية التى تميـز الاتجـاه الرئيـسى فى الأنثروبولوچيا الأمريكية . وقد أفلحت تحليلاته فى تحاشى التحديدات الضيقة واللاتاريخـيـة الكامنة فى الوضع البريطانى من ناحية ومشكلة التجزىء والتوسع المميزة للدراسـات الأمريكية من الناحية الأخرى ، كما أنه لعب دورا أسـاسـيا كـمعلم وإدارى ومحـاضـر يحرص دائما على توكيد المدخل الكلى التكاملى فى الفهم الأنثروبولوجى .

وقـد ولد إجـان فى سـيـاتل عـام ١٩٠٦ ونشـأ وترعـرع فى منطقـة شـيكاغـو والتـحق بالمدارس الحكومـية حـيث كـشف عن قـدرات واضـحـة فى مـجال العلوم والرياضيات ، ثم التحق بكلية جامعة شيكاغو حيث كانت دراساته الأساسية فى علم النفس وإن كان تلقى دروسا أيضا فى الجغرافيا أيقظت فيه اهتمامات طفولته بالأماكن والشـعـوب النائية . وقـد تلقى دروسه الأولى فى الأنثـروبولوچيـا على أيدى فـاى- كـوبر كـول Fay -Cooper Cole، وكان كـول نفسـه عالما إثنوجرافيا أتم تدريبـه تحت إشـراف بواس ثم كـرس حياته فيما بعد لدراسة أركيولوچيا مناطق الوسط الغربى فى أمريكا وكان مهـتمـا فى ذلك الحين بمشروع إنشاء قسم كـبير للأنثروبولوچيا بجامعة شيكاغو . كذلك تلقى إجان فى مرحلة الدراسـة الجـامـعـيـة الأولى ومـرحلة الدراسات العليا دروسا على العالم الفذ إدوارد سابير . ولكن مع أن قدراته فى البحوث كانت محدودة فإنه اكتسب من تعاليم سـابيـر بعض النمـاذج الفكرية الواسعة عن العمليات الثقافية طويلة المدى وضـرورة الاهـتـمـام بالأبعـاد السيكولوچية للثقافة .

وقد أنهى إجان دراسته الجامعية الأولى عـام ١٩٢٧ وواصل دراسـاته

العليا فى علم النفس ولكنه حصل فى الوقت ذاته على عدة تقديرات فى الأنثروبولوچيا . وقد أعد رسالته للماچستير تحت إشراف عالم القياس النفسى المرموق إل. إل. ثرستون عن " *دراسة تجريبية للاتجاهات نحو العرقية* والقومية " عام ١٩٢٨ وفيها جمع بين اهتماماته فى علم النفس والأنثروبولوچيا. وعلى أية حال فإن البيانات المسحية والأرقام والمعلومات الحسابية كانت أقل إثارة من المادة الأركيولوچية والإثنوجرافية ولذا قرر أن يتجه إلى الأنثروبولوچيا كمهنة له. ولما كان يفتقرإلى التمويل فإنه عمل بتدريس علم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ فى Wentworth وفى الأكاديمية العسكرية Junior College فى ميسورى ، ولكنه كان يعمل خلال أشهر الصيف مع كول فى مشروعاته الأركيولوچية الميدانية .

وعاد إجان إلى شيكاغو عام ١٩٣٠ كطالب دراسات عليا فى الأنثروبولوچيا. وقد أثارت اهتمامه محاضرات ليزلى سبير عن دراسات القرابة وإثنولوچيا منطقة الجنوب الغربى ولذا خطط لكتابة رسالة عن العلاقات بين الثقافات الإثنولوچية والأركيولوچية، ولم تكن المشكلة قد تبلورت فى ذهنه تماما إلا أنه أفلح فيما بعد فى أن ينتج منظورا عن الموضوع حين توافرت لديه معلومات أركيولوچية مؤكدة. وفى عام ١٩٣١ دعا كول الأستاذ إيه. آر. رادكليف – براون لكى يحل محل سابير الذى انتقل للعمل بجامعة ييل. وقد حضر إجان محاضرات رادكليف – براون عن العائلة والقرابة والعشيرة وأعجب بها إعجابا شديدا كما انبهر باتساع المعلومات وبالاتجاه النظرى الجديد لهذا الأستاذ الإنجليزى . وكان رادكليف – براون شديد الانتقاد لمعظم الأعمال التى قام بها الأنثروبولوچيون الأمريكيون وبمالئ الدراسة التزامنية للأبنية الاجتماعية كأنساق للفعل والمعنى كما كان يؤكد على أنه يمكن دراسة تلك الأبنية ككيانات كلية لها وظيفة وأن المبادئ الواقعية للتنظيم يمكن استخلاصها من تلك الأبنية. وقد جاء رادكليف – براون إلى أمريكا ولديه برنامج واضح لإعادة تحليل الأبنية الاجتماعية لقبائل الهنود الحمر

فى أمـريكا الشـمـاليـة حـسب الخطوط والخطوات التى كـان توصل إليـهـا فى دراسـاته فى أسـتـراليـا (١٩٣١). و قـد عمل إجان كباحث مساعد مع رادكليف - براون وتـعـمق فى دراسـة الأدبيـات الخـاصـة بأنسـاق القـرابة فى أمـريكا الشمالية لكى يحصل على فكرة وافية عما كان معروفا حينذاك وما يجب عمله فى ذلك المجال . وفى صيف عام ١٩٣٢ شارك فى برنامج صيفى عن الدراسات الميدانيـة كـان يشـرف عليه ليـزلى إيه. وايت وبذلك بدأ ارتبـاطه الذى اسـتـمـر طيلة حـيـاته بقـبـائل هـوبى . وقـد وفـرت المعلومـات التى حـصـل عليـهـا من تلك الرحلة الميدانية الأسس التى بنى عليها رسـالتـه للدكـتـوراه عـام ١٩٣٣ وهى تحليل بنائى وظيفى للتنظيم الاجتماعى عند قبائل بويبلو .

وقـد ظل إجـان مـرتبطا بـجـامـعـة شيكاغو كـبـاحث مشـارك حـاصل على الدكتـوراه ولذا عاد إلى مناطق الجنوب الغربى لجمع مزيد من المعلومات وإجراء بحث ميدانى قصير بين قبائل شوكتو فى المسيسـبى وقبـائل شايين وأرباهو فى أوكـلاهـومـا، وأدت هذه الخـبـرات الجديدة إلى نشر بحثه عن " *التغيرات التـاريخـيـة فى نسق القـرابة عند الشـوكـتـو*" (١٩٣٧ ب) التى اسـتـخـدم فيـها المعلومـات الإثنوتاريخية للتدليل على تأثير عـمليـات التـثـاقف المطردة المنتظمـة فى تـعـديل السلوك والمصطلحات المستخدمة بين الأقارب . وقـد أكـدت بحـوث تلمـيـذه ألكزاندر سبوهر (١٩٤٧) صحة افتراضاته عن التـغـيرات المنتظمـة المماثلة عند قـبـائل الجنوب الغـربى الأخـرى . وقـد ظـهـرت نتـائج بحـوث إجـان بين قـبـائل شـايين وأرباهـو فى مـقـال رائع قـام بإعـداده لكتاب " الأنثروبولوجيا الاجتماعية لقبائل أمريكا الشـمالية Social Anthropology of North American Tribes" (1955) الذى أشرف بنفسه على تحريره لتأبين رادكليف - براون. واهتم فى هذا المقال بتبـيين العـلاقـات بين أنسـاق القـرابة وملامح التنظيم الاجتماعى الأخرى وأن التحليلات المقارنة توحى بتفسـيرات أوسع لتطور الأنسـاق الاجتمـاعـيـة عند قبائل البلينز (السهول الوسطى). ومن الواضح أن ذلك المقال توقع وجود علاقة

قوية بين كل هذه الجوانب كما أطلق عليه تعبير "منهج المقارنة المقننة Method of Controlled Comparison".

فى الفترة ١٩٣٤-١٩٣٥ أرسل كول وروبرت ردفيلد تلميذهما إجان لبحث مشكلات التغير الاجتماعى فى شمال الفلبين. وقد وقع الاختيار على منطقة تونجويان التى سبق أن أجرى كول فيها دراسات إثنوجرافية واسعة قبل عشرين سنة كما أن ردفيلد أراد أن يعرف إذا ما كانت بعض عمليات التغير العامة التى كان قد درسها مؤخرا بين قبائل يوكاتان يمكن أن توجد فى منطقة أخرى لها علاقة بالثقافة الإسبانية. وقد ساعدت معرفة كول الإثنوجرافية بالمنطقة فى أن يتكيف إجان بسرعة للعمل الميدانى فجمع قدرا هائلا من المعلومات عن التنظيم الاجتماعى والممارسات الاحتفالية والسحر ولكنه وجد صعوبة فى تطبيق نموذج ردفيلد عن المتصل الشعبى- الحضرى على الوضع فى شمال الفلبين ، ووجد أنه رغم أن الاحتكاك بأوروبا أفلح فى فتح مسالك مهمة فى المنطقة فإنه أكد على أهمية تأثير الديناميات البنائية الداخلية على تحديد حجم واتجاه التغير الاجتماعى (١٩٤١ /١٩٦٣) وأنه بعد أن يتم تحليل الاندماج الوظيفى للثقافات والأبنية الاجتماعية الوطنية ومقارنتها ووضعها فى بعدها التاريخى يمكن حينئذ فقط تقييم التأثيرات الأوروبية تقييما صحيحا ودقيقا . ولم ينشر إجان سوى جانب ضئيل فحسب من تلك المعلومات الثرية التى جمعها فى الفلبين .

حين عاد إجان من الفلبين حصل على وظيفة أكاديمية فى شيكاغو وكرس جانبا كبيرا من جهوده للتدريس . ولكن لم تلبث اهتماماته القديمة بالمشكلات التاريخية أن طفت على السطح . وكما يقول هو نفسه إنه "مع وجود رادكليف - براون ودبليو لويد وورنر (ويمكن لنا إضافة اسم ردفيلد) كأعضاء فى القسم كانت معظم محاضراتى فى الثلاثينيات تركز على الإثنولوجيا وتاريخ الثقافات كما أننى ألقيت دروسا فى الإثنوجرافيا عن كل مناطق العالم الرئيسية باستثناء

أوروبا" . وفى الأوقـــات التى لم يكن مضطرا للإقامة فى شيكاغو كان يذهب لاستكمال بحوثه الميدانية فى الجنوب الغربى .

ولقـد تنوعت بحـوث إجـان كـمـا تعـددت المناصب الإدارية التى شـغلهـا خـلال الحـرب العالمية الثانيـة ، إذ عمل مستشارا لمجلس الحرب الاقتصادية فى عـام ١٩٤٢ ثم رئيسـا لبحـوث حكومة الفلبـين فى المنفى ، ثم اختـيـر للعمل بمدرسـة الحكومـة العسكرية. وفى عام ١٩٤٣ استـدعى للعودة إلى شـيكاغـو لتأسيس مدرسة التدريب على الشئون المدنية لمنطقة الشرق الأقصى. وقبيل نهاية الحرب عمل لفترة قصيرة ضابطا للعلاقات الثقافية فى وزارة الخارجية . وقد أسهمت هذه الخبرات أثناء الحرب فى توسـيع مـهاراته الإدارية واتصـالاته الداخلية والدولية.

وقد ازدهرت حياته الأكاديمية فى فترة مابعد الحرب إذ تمت ترقيته لمرتبة أسـتـاذ عـام ١٩٤٨ حـتى عـام ١٩٥٢ وكذلك فى الفترة من ١٩٦١حتى ١٩٦٣ واسـتـمـر فى نشـر نتـائج بحـوثه فى الجنوب الغربى وفى الفلبين . وفى عام ١٩٥٠ ظهرت نسخة معدلة وموسعة من رسالته للدكتوراه تحت عنوان " *التنظيم الاجتماعى عند قبائل بويبلو الغربيين*

***Social Organization of the Western Pueblos*"** وفى هذا الكتاب الذى يعتبر أهم أعمـاله قـدم ملخـصـات رائعـة عن التنظيم الاجتـمـاعى عند قـبـائل هوبى وقـارنه بأربع مـجـمـوعـات أخرى عند البـويبلو الغـربيين . ومن هذا التـحليل البنائى الوظيــفى توصل إلى وجـــود تشابه أساسى بين القبائل التى يسود فيها نسق القرابة الأمومى والإقامة مع أهل الأم ، وهو نموذج القـرابة الموجـود عند قـبـائل كـرو Crow الذى يتـعـارض مع النمـوذج الســائد عند البـــويبلو الشـرقـيـين الذين تعكس تنظيـمـاتهم الاجـتـمـاعـية أنساق القرابة المزدوجة والتـقـسـيمـات الثنائيـة ونؤكد أهمـية التـفـــاوت فى عـــامل السن ، بينمـــا جـمـاعـات بويبلو الكريسـانيـين تحـتل مكانا وسطا بين هذين النموذجين على المستوى البنائى والجغرافى ، وبذلك بيّن إجان وجود نماذج متمايزة من الأبنية الاجـتـمـاعـيـة تكمن وراء التـجـانس

الظاهرى فى ثقافة البويبلو. وقد قدم افتراضات تاريخية عن الطريقة التى يحتمل أن تكون هذه التنوعات تطورت بهما من نموذج مشترك ولكن هذه المحاولات فى إعادة التركيب تحداها روبين فوكس (١٩٦٧) حين قام بدراساته بين المجموعة الكيراسيتية . ومع ذلك فلا تزال المشكلة قائمة بغير حل ولا يزال وصف وتحليلات الأنساق الاجتماعية عند البويبلو الغربيين التى قدمها إجان علامة مميزة فى الدراسات الأمريكية . وفى السنوات التى أعقبت تقاعده عكف على دراسة تكوينات نسق الانحدار من الأسلاف فى التنظيم الاجتماعى الموجود فى قبائل هوبى عند الجماعات التى ترتبط معا لغويا فى منطقة الحوض الكبير Great Basin

فى المحاضرة التى ألقاها عام ١٩٥٣ بمناسبة انتخابه رئيسا للرابطة الأنثروبولوجية الأمريكية وكانت عن "الأنثروبولوچيا الاجتماعية ومنهج المقارنة المقننة" أعطى تفصيلات وتوضيحات عن التركيبة الخاصة التى أوجدها بين الأنثروبولوچيا الاجتماعية البريطانية والتقليد التاريخى الأمريكى ودعا إلى إجراء البحوث المقارنة التزامنية بين المناطق المتقاربة جغرافيا والمترابطة تاريخيا أو بين المجتمعات المتشابهة نمطيا . فمثل هذه المقارنات المركزة يمكن الاستعانة بها فيما بعد فى إعادة التركيب الثقافى واكتشاف الاطرادات فى العمليات الثقافية . وفى الطبعة الموسعة لكتابه " *الأنثروبولوچيا الاجتماعية لقبائل أمريكا الشمالية* " أضاف مقالا عن حالة الأنثروبولوچيا عرض فيه ببراعة مناهج ونتائج المقارنة المقننة فى مجتمعات الهنود الحمر .

وبقدوم الستينيات كان إجان قد أصبح الشخصية السامقة فى الأنثروبولوچيا، وقد استمر فى نشر مقالات مهمة عن الجنوب الغربى وعن الفلبين ولكنه كان كثيرا ما يدعى لكتابة مقدمات لأعمال الآخرين أو كتابة مقالات لتأبين أو تكريم زملائه المتميزين أو للمشاركة كمنسق أو محاضر ومعقب فى الندوات والمؤتمرات المهمة كما تحولت توجهاته إلى الاهتمام بتاريخ الأنثروبولوچيا. وقد أقام علاقة فكرية

قوية مع الباحث الرائد للتنظيم الاجتماعى عند الهنود الحمر وهو لويس هنرى مورجان ونشر عددا من المقالات فى مجموعة المحاضرات التى نشرتها له جامعة روشستر بعنوان "" *الهنود الحمر : منظورات لدراسة التغير الاجتماعى/* The American Indians :Perspectives for the Study of Change "(1966) ولم يقتصر هذا الكتاب على عرض إسهامات مورجان ولكنه قدم تقييمات لتراثه من خلال عرض مجموعة منتقاة من كتاباته التالية عن التنظيم الاجتماعى لأمريكا الشمالية ويمثل إجان ذروة تميز الأنثروبولوجيا فى شيكاغو خلال العقود الوسطى من القرن العشرين. فالمستويات الرفيعة التى أرسى قواعدها بمحاضراته لجيلين من طلبة الدراسات العليا وديبلوماسيته الهادئة ومواهبه الإدارية التى أسهمت فى توفير بيئة صالحة للبحث الأنثروبولوجى الإبداعى ومشاركته فى العديد من اللجان العلمية والعضوية الفخرية النشيطة فى الجمعيات جلبت ارتفاع الصيت والتميز الوطنى والدولى له ولجامعة شيكاغو.

ويرجع تأثير كتابات إجان فى معظمه إلى وضوح الرؤية والقدرة على رد الظواهر المعقدة إلى أصولها الجوهرية مع أقل درجة ممكنة من التشويه وكذلك كفاءته فى تبيين العلاقات المثمرة بين المداخل والنظريات المتنافرة . وقد حققت له كل هذه العوامل مكانة راسخة ودائمة فى العلوم الاجتماعية .

المؤلف: Raymond D. Fogelson

المترجم : أحمد أبوزيد

(كانت وفاة إجان يوم ٧ مايو ١٩٩١) المترجم

WORKS BY EGGAN

1928 An Experimental Study of Attitudes Toward Race and Nationality. Master's thesis, Univ. of Chicago.

1933 The Kinship System and Social Organization of the Western Pueblos With Special Reference to the Hopi Indians. Ph.D. dissertation, Univ. of Chicago.

(1934–1972) 1975 *Essays in Social Anthropology and Ethnology.* University of Chicago, Studies in Anthropology, Series in Social, Cultural, and Linguistic Anthropology, No. 1. Department of Anthropology, University of Chicago.

(1937*a*) 1962 The Cheyenne and Arapaho Kinship System. Pages 35–95 in Fred Eggan (editor), *Social Anthropology of North American Tribes.* 2d ed., enl. Univ. of Chicago Press. → An enlarged paperback edition was published in 1972.

1937*b* Historical Changes in the Choctaw Kinship System. *American Anthropologist* New Series 39:34–52.

(1937*c*) 1955 EGGAN, FRED (editor) *Social Anthropology of North American Tribes.* 2d ed., enl. Univ. of Chicago Press. → An enlarged paperback edition was published in 1972.

1941 Some Aspects of Cultural Change in the Northern Philippines. *American Anthropologist* New Series 43:11–18.

1950 *Social Organization of the Western Pueblos.* Univ. of Chicago Press. → A paperback edition was published in 1973.

1952 The Ethnological Cultures and Their Archeological Backgrounds. Pages 35–45 in James B. Griffin (editor), *Archeology of Eastern United States.* Univ. of Chicago Press.

1954 Social Anthropology and the Method of Controlled Comparison. *American Anthropologist* New Series 56:743–763.

1955 Social Anthropology: Methods and Results. Pages 485–551 in Fred Eggan (editor), *Social Anthropology of North American Tribes.* 2d ed., enl. Univ. of

Chicago Press. → This article did not appear in the 1937 edition of *Social Anthropology*. An enlarged paperback edition was published in 1972.

1963 Cultural Drift and Social Change. *Current Anthropology* 4:347–355. → Papers in honor of Melville J. Herskovits.

1966 *The American Indian: Perspectives for the Study of Social Change*. Chicago: Aldine.

1968a Indians, North American. Volume 7, pages 180–200 in *International Encyclopedia of the Social Sciences*. Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.

1968b Kinship: I. Introduction. Volume 8, pages 390–401 in *International Encyclopedia of the Social Sciences*. Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.

1974 Among the Anthropologists. Volume 3, pages 1–20 in Bernard J. Siegel (editor), *Annual Review of Anthropology*. Palo Alto, Calif.: Annual Reviews.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

BRUZEWICZ, LIZA 1976 The Theoretical Sequelae of Eggan's Philippine Fieldwork. Unpublished manuscript.

FOX, ROBIN 1967 *The Keresan Bridge: A Problem in Pueblo Ethnology*. London School of Economics, Monographs on Social Anthropology, No. 35. London: Athlone; New York: Humanities Press.

RADCLIFFE-BROWN, A. R. (1931) 1948 *The Social Organization of Australian Tribes*. Glencoe, Ill.: Free Press.

SPOEHR, ALEXANDER 1947 *Changing Kinship Systems: A Study in the Acculturation of the Creeks, Cherokee and Choctaw*. Field Museum of Natural History, Anthropological Series, Vol. 33, No. 4. Chicago: The Museum.

STOCKING, GEORGE W. 1978 History of the Department of Anthropology, University of Chicago. Unpublished manuscript.

إرتز، روبير

Hertz , Robert

كان روبير إرتز (١٨٨١ -١٩١٥) واحدا من أنبغ أعضاء الجيل الأصغر الواعدين فى مدرسة المجلة السنوية لعلم الاجتماع التى أنشأها إميل دوركايم، وهم مجموعة من الدارسين الذين دمرتهم الحرب العالمية الأولى (Mauss,1925).

وقد ولد إرتز فى سان كلو بفرنسا وتلقى تعليمه بمدرسة المعلمين العليا (الإيكول نورمال سوبيريور) التى تخرج فيها أولا حاملا شهادة الأجريجيه فى الفلسفة عام ١٩٠٤، وخلال العامين التاليين قام ببحث مكتبى فى مكتبة المتحف البريطانى بلندن. وفى عام ١٩٠٦/١٩٠٧ عين مدرسا للفلسفة فى ليسيه دوواى، وفى عام ١٩٠٧ عين فى المدرسة العملية للدراسات العليا بباريس حيث ظل هناك حتى اندلاع الحرب حين أرسل كملازم فى سلاح المشاة. وقد قتل بنيران المدفعية الألمانية وهو فى سن الثالثة والثلاثين أثناء قيادته لرجاله فى هجوم على مارشيه فيل.

فى أثناء حياته نشر إرتز مجموعة من المقالات حول الموت (١٩٠٧) وتفوق اليد اليمنى (١٩٠٩) وعبادة سان بيس St. - Besse (1913) وكتيبا عن الاشتراكية (١٩١٠). وأثناء وجوده بالجبهة جمع من جنوده عددا من الأمثال الريفية التى نشرت فيما بعد عام ١٩١٧، كما تولى مارسيل موس تحرير مقدمة لعمل رئيسى عن الخطيئة والتكفير عن الذنب (١٩٢٢) كما ضمّن عرضا مطولا لظاهرة الجذب لدى بعض الفرق الصوفية الروسية وذلك فى مجلد يضم مجموعة من كتاباته تولى نشرها عام ١٩٢٨ وقد ترك إرتز أيضا دراسة عن أسطورة أثينا Athena كان قد توافر على العمل فيها لمدة عامين وأتمها بالفعل (Mauss,1925, pp.24-25) وأعلن موس عن عزمه على نشرها ولكنها لم تظهر كما لم يستدل أبدا على الأصل المخطوط. وبالإضافة إلى ذلك عكف إرتز على بحث آخر كان متأثرا

بدراسته لعبادة سان بيس وكان عن خرافات وعبادات الصخور والجبال والينابيع، ولكن الوقت لم يسعفه لإتمامه إذ أدركته الحرب. (A. Hertz in R. Hertz , 1928, pp. x11 - x111).

وقد كشفت أعمال إرتز المنشورة عن تمكنه الطاغى من المصادر وإدراكه الحاد للمشكلة التى يعالجها وأسلوبه المحكم فى التحليل. ومع ذلك وعلى الرغم من برامج المحاضرات التى تعتمد على دراسته للخطيئة والتى ألقاها موس فى الكوليج دو فرانس فى الفترة من ١٩٣٢ - ١٩٣٧ بالإضافة إلى الاهتمامات المتفرقة من الآخرين (cf. Needham 1973, p.x111) فإن إرتز ظل غير معروف إلى حد كبير إلى مابعد الحرب العالمية الثانية حين استرعت إسهاماته انتباه الأنثروبولوچيين الاجتماعيين بفضل المحاضرات التى كان يلقيها إى. إى. إفانز - بريتشارد فى جامعة أكسفورد واقتراحه نقل مقاليه عن الموت واليد اليمنى إلى الإنجليزية (Hertz, 1960) وقد أدى ذلك مباشرة إلى إحياء الاهتمام بموضوع التصنيف الرمزى وبخاصة فيما يتصل بالقيم الجانبية. وفى عام ١٩٧٣ ظهر مجلد ضخم من الدراسات عن رمزية اليمين واليسار ومقال إرتز فى الموضوع ، وقد أهدى الكتاب لذكراه (Needham, 1973).

وخلال سنى الدراسة كان إرتز شديد التردد بين أن يكرس نفسه لعلم الاجتماع الدينى والاقتصادى من ناحية أو الأخلاق والسياسة من الناحية الأخرى ولكنه لم يستقر أبدا على اختيار نهائى. والواقع أن كتاباته تغطى مجالا واسعا من الموضوعات شديدة التفاوت. فمقاله عن التصورات الجماعية للموت، وهو تحليل لشعائر الدفن الثانية مع الإشارة بوجه خاص إلى جماعات الداياك فى جنوب شرقى بورنيو، كان عملا رائعا بشكل يلفت النظر بالنسبة لباحث فى العشرينيات من عمره. وكانت مناقشته تدور حول أن الموت فى المجتمعات البدائية ليس حدثا نهائيا وإنما هو مجرد بداية وأن شعائر الدفن الثانية هى طقوس للانتقال يمكن مقارنتها بطقوس الميلاد والزواج.

وكـــانت هذه النظرة بالضـــرورة وراء الرؤية الشاملة التى عمّمها أرنولد ڤان چنب مع اعترافه بفضل إرتز وذلك فى عرضه العام لشعائر المرور (١٩٠٩). وفى مقاله عن اليد اليمنى ذهب إلى أن أفضلية اليمين على اليسار فى كل أنحاء العالم كانت حالة جديرة بالانتباه وأنها ناجمة عن الثنائية المتأصلة فى الفكر البدائى وأحد أشكال الاستقطاب الدينى الذى يقسم - رمزيا - العالم والجسم الإنسانى. ودراسته عن العبادة السائدة فى منطقة الألب لسان بيس - وهو شخصية غامضة ومبهمة تظهر مدججة بالسلاح كمحارب رومانى ومرتبطة بصخرة منعزلة فى أعلى الجبال- كانت مزيجًا عميقا من البحث الميدانى المحلى والدراسة التاريخية والتنظير السوسيولوجى. وأخيرا فإن العمل الذى كان يخطط له عن الخطيئة والتكفير عن الذنب كان محاولة لتعريف وتحديد إحدى صور التجربة الدينية من خلال الإثنوجرافيا المقارنة وذلك بالبدء بسيطرة فكرة خطيئة الإنسان الأول السائدة فى أوروبا المسيحية وآلام المسيح ثم البحث عن مماثلات ومشابهات فى الحضارات الأقل تقدما وبخاصة عند الماؤرى على أمل أن يبرهن على أن أفكار البولينيزيين وإن لم تكن بدائية تماما فإنها كانت أسبق بشكل ما على الأيديولوچيات اليهودية واليونانية والرومانية التى انبثقت منها المفاهيم الأوروبية الحديثة.

وعلى أية حال فقد كان إرتز أكثر اهتماما بشكل أساسى بفحص الملامح المجردة للتصورات الجماعية والسلوك الاجتماعى التى تكمن وراء تلك النظم المعينة وهى : الانتقال transition (الموت) والتقابل opposition (اليد اليمنى واليد اليسرى) والقوة الرمزية للصخور (عبادة سان بيس) ثم مشكلة كيف يستطيع المجتمع أن يعاقب على الخطيئة وفى الوقت نفسه يعمل على خلاص المذنب كما لو فى الإمكان محو الإثم كلية. وبهذ النوع من التركيز فى التحليل يعتبر إرتز الخليفة لأستاذيه دوركايم وموس فى تطبيق المنهج العلمى. كذلك شارك إلى حد ما فى جوانب الضعفُ التى تظهر فى أعمالهما كما هو الشأن مثلا فيما يتعلق بالمبالغة فى

الاعتماد على التقابل بين المقدس والمدنس والميل إلى تحويل الأمور المجردة فى المجتمع إلى أشياء مادية ملموسة إلا أنه كان على الجانب الآخر أكثر تقدما منهما فى بعض الأمور مثل تجنبه الوقوع فى بعض أخطاء دوركايم عن وجود مغالطات منطقية *petitio principii* وتفسيره الشواهد والأدلة المتعارضة بردها إلى التغيرات التى كان يفترض حدوثها، وكذلك ابتعادده عن ميول موس إلى استنباط حقائق اجتماعية عامة من مجرد وجود عامل علّى واحد، كما أنه كان شديد الاهتمام بالتدقيق فى المصادر التى يرجع إليها.

والشىء الأساسى المميز لمنهج إرتز هو تفسير وشرح العلاقات المتبادلة بين مختلف جوانب أى نظام ودفع التحليل إلى مستويات أبعد لكى يرد الظواهر الاجتماعية فى آخر الأمر إلى وضع أو مناسبة معينة بالذات. وعلى ذلك فإن المظاهر الفيزيقية للموت لا تحدد التصورات والعواطف الجماعية ولكنها تسهم فى تشكيل هذه العواطف وتعززها بشكل ما. كذلك فإن سهولة حركة اليد اليمنى ليست سببا فى القيم الجانبية والاستقطاب الدينى وإنما هى تهيئ الفرصة والحالة المثالية للتقابل. كذلك فإن مغزى صخرة سان بيس لا ينحصر فى ارتباط القصة بالعبادة ولكن فى قيمتها كرمز للوجود الجماعى واستمرار جماعة المؤمنين به.. والشىء المميز بنوع خاص لهذا النمط من التفسير هو أن إرتز لم يحاول أن يفصل بشكل حاسم بين الحقيقة الاجتماعية والمشاعر الداخلية وعلى ذلك فإن نظام الدفن الثانى يساعد على التغلب على الحزن كما يعين الأحياء على أن يتقبلوا بشكل تدريجى حقيقة الفراق. وهذا نفسه هو الوضع بالنسبة لأيديولوچيا الثنائية كمصدر أساسى ونمط الترتيب فى ردود فعل الفرد إزاء ازدراء اليسار والنفور مما يرمز إليه. كذلك فإن التنظيم الاجتماعى لعبادة سان بيس ينبع من رغبة المؤمنين به فى الاستمرار ومن استجابتهم المتخيلة للرمز المحلى (الصخرة) لبقائهم ووحدتهم ، بينما فرض القيود على الجرم الدينى له علاقة بنوع محدد من التجربة.

وقـد تكون هناك رابطة بين هذا المدخل ومـوقف إرتز من البـحث الإثنوجرافى. فبينما دوركايم أو موس لم يقوما بدراسات ميدانية أجرى إرتز على الأقل دراسـتـه عن سـان بيس بالإقامة لستة أسابيع فى قرية كونى Cogne فى الألب كما شارك فى رحلة حج إلى الصخرة ذاتها. وفى سبتمبر عام ١٩١٤ كان يعتزم القيام برحلة إلى المناطق الجبلية فى اليونان كى يتعرف بشكل مباشر، وليس من خلال الكتب، خلفية أسطورة أثينا وعبادات الصخور بشكل عـام (A. Hertz, in R. Hertz 1928,p.x111)، وكـان يحث البـاحـثين الميدانيين فى المناطق الجبلية على أن يأخذوا معهم " زوجا من الأحذية المتينة وعصا للسيو لها سن حديدية" (1928, p. 188).

ولقد كان إرتز فى كثير من الوجوه رائدا مباشرا - نظريا وعمليا - فى كـثـيـر من أفـضل الجـوانب فى الأنثروبولوجيا الاجتماعية الحديثة. وقد لاحظ مـوس (in Hertz,1922, p.1) أن الزمن عـزّز وأكـد صـحـة أسـاليـبـه ومناهجه والقيمة التوجيهية لتحليلاته وأسلوبه فى العرض، فكلها " تدخل فى مضمار المجال الكلاسيكى الجليل ".

المؤلف : Rodney Needham

المترجم : أحمد أبوزيد

(*) ولد رودنى نيدهام فى١٥ مايو ١٩٢٣ وحصل على الدكتوراه فى الأنثروبولوجيا الاجتماعية من جامعة أكسفورد وتوفى فى ٢٣ ديسمبر ٢٠٠٦

Works by Robert Hertz

Supplementary Bibliography

WORKS BY HERTZ

1907 Contribution à une étude sur la représentation collective de la mort. *Année sociologique* 10:48–137. → Translation in Hertz 1960.

1909 La prééminence de la main droite: Étude sur la polarité religieuse. *Revue philosophique de la France et de l'étranger* 68:553–80. → Translation in Hertz 1960; revised translation in Needham 1973.

1910 *Socialisme et dépopulation.* Les Cahiers du Socialiste, No. 10, Paris.

1913 Saint Besse: Étude d'un culte alpestre. *Revue de l'histoire des religions* 67:115–180.

1917 Contes et dictons receuillis sur le front parmi les poilus de la Mayenne et d'ailleurs (campagne de 1915). *Revue des traditions populaires* 32:31–45, 74–91. → Reprinted in Hertz 1928.

1922 Le péché et l'expiation dans les sociétés primitives. *Revue de l'histoire des religions* 86:1–60. → Includes biographical details and an estimation of Hertz's major concerns by Mauss on pages 1–4.

1928 (1970) *Sociologie religieuse et folklore.* Paris: Presses Universitaires de France. → Preface by Georges Balandier. First issued under the title *Mélanges de sociologie religieuse et folklore,* edited by Marcel Mauss, with a preface by Alice Hertz.

1960 *Death and the Right Hand.* Translated by Rodney Needham and Claudia Needham. London: Cohen & West; Glencoe, Ill.: Free Press. → Introduction by E. E. Evans-Pritchard.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

GENNEP, ARNOLD VAN (1909) 1960 *The Rites of Passage.* London: Routledge; Univ. of Chicago Press. → First published in French.

MAUSS, MARCEL 1925 In Memoriam: L'oeuvre inédite de Durkheim et de ses collaborateurs. *Année sociologique* New Series 1:7–29. → For Hertz's works, see pages 23–25.

NEEDHAM, RODNEY (editor) 1973 *Right & Left: Essays on Dual Symbolic Classification.* Univ. of Chicago Press. → Foreword by E. E. Evans-Pritchard. The editor's introduction expatiates on the value of Hertz's ideas. A paperback edition was published in 1978.

إﭬانز- بريتشارد، إى.إى

EVANS-Prichard, E.E

إدوارد إﭬان إﭬانز - بريتشارد (١٩٠٢-١٩٧٣) شخصية رئيسية فى الأنثروبولوچيا الاجتماعية البريطانية إذ أمكنه هو وريموند فيرث وإدموند ليتش وماكس جلكمان الهيمنة على فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية التى تميزت فى بريطانيا بغزارة الإنتاج وقوة التأثير فى مجالى البحوث الميدانية والتنظير وقد ولد إﭬانز- بريتشارد فى كروبوروه من أعمال سسكس لأب من رجال الدين فى كنيسة إنجلترا هو جون إﭬان إﭬانز- بريتشارد وزوجته التى كانت تدعى قبل الزواج دوروثيا إدواردز. وقد درس فى كلية وينشستر (١٩١٦-١٩٢١) ثم فى كلية إكستر (١٩٢١-١٩٢٤) بجامعة أكسفورد حيث حصل على درجة البكالوريوس فى التاريخ الحديث ثم واصل دراساته العليا فى الأنثروبولوچيا بمدرسة لندن للاقتصاد حيث حصل على الدكتوراه عام ١٩٢٧ وقام هناك بالتدريس بين عامى ١٩٢٨ و١٩٣٦.

وقد اعتمدت رسالة إﭬانز - بريتشارد للدكتوراه على البحث الميدانى الذى قام به عند قبائل الأزاندى فى جنوب السودان. وقد واصل بحوثه فى ذلك الإقليم على فترات متقطعة حتى عام ١٩٣٨، ولكنه فى عام ١٩٣٥ قام بأول زيارة لقبائل النوير فى جنوب السودان أيضا واستمر فى دراستهم من حين لآخر حتى عام ١٩٣٦ . وفى عام ١٩٣٥ قام بإعداد مسح إثنوجرافى لقبائل الأنواك كما أجرى فى عام ١٩٣٧ مسحا لقبيلة اللوو Luo فى كينيا. وفى أثناء اهتمامه بالنوير شغل فى عام ١٩٣٢ وظيفة أستاذ الأنثروبولوچيا بجامعة فؤاد الأول بالقاهرة ولكنه استقال من منصبه بعد عامين لكى يتولى منصبا بحثيا فى علم اجتماع إفريقيا بجامعة أكسفورد وذلك فى الفترة بين ١٩٣٥ و١٩٤٠ وهى الفترة التى خضعت فيها الأنثروبولوچيا فى أكسفورد لإشراف وهيمنة رادكليف - براون. وفى عام ١٩٤٠ التحق بخدمة الجيش حيث عمل فى إثيوبيا والسودان والشرق الأوسط وشمال إفريقيا وبخاصة فى برقة (ليبيا) وترك الخدمة

وهو برتبة ميجور. وفى فترة خدمته العسكرية قام بجمع معلومات إثنوجرافية غزيرة ربما كان أهمها دراسته للطريقة السنوسية بين بدو برقة. وأثناء إقامته فى ليبيا تحول إلى الكاثوليكية وهو تحول يعتقد البعض أنه أثر فى بحوثه اللاحقة. وقد عاد إلى إنجلترا عام ١٩٤٥ ليشغل منصبا تدريسيا بجامعة كيمبريدج ، وفى العام التالى ١٩٤٦ أصبح أستاذا للأنثروبولوجيا الاجتماعية فى أكسفورد بعد تقاعد رادكليف - براون. وقد تقاعد هو نفسه فى عام ١٩٧٠ من كرسى الأنثروبولوجيا بجامعة أكسفورد ومنحته ملكة بريطانيا لقب (سيرSir) فى العام التالى.

ويعترف إفانز- بريتشارد بأن الفضل فى اهتمامه بشعوب السودان يرجع فى الأصل إلى أستاذه سليجمان وزوجته برندا وأنه حضر أثناء دراساته العليا محاضرات برونيسلاف مالينوفسكى كما عرف أ. إم. هوكارت A. M. Hocart وأعجب به، ولكنه كان يرفض اتجاهات رادكليف - براون لإنشاء (علم) للمجتمع كما كان يرفض نظرياته التبسيطية عن الوظيفية وذلك على الرغم من أنه كان يدين له بأنه هو الذى وجهه نحو الاهتمام بالتراث السوسيولوجى الفرنسى. ومع أنه لم يكد يشير فى كتاباته وأعماله اللاحقة إلى مالينوفسكى فإنه استمد منه ولو جزئيا اهتمامه المبدئى بطبيعة السحر والتزامه العميق بالنزعة الإمبيريقية التى تتطلب إجراء البحث الميدانى المكثّف الذى يستغرق فترة طويلة من الزمن. وتعتبر دراسته للأزاندى أول دراسة مركّزة لأحد الشعوب الإفريقية يقوم بها أى باحث متمرس فى مجال الأنثروبولوجيا الاجتماعية.

وترجع الجذور الفكرية لإفانز - بريتشارد إلى التراث الكلاسيكى المتمثل فى التأثيرات المتبادلة لدى الفلاسفة العقلانيين الأسكتلنديين وأتباعهم من أمثال وليام روبرتسون - سميث وكذلك تأثيرات علماء الاجتماع الفرنسيين من أمثال إميل دوركايم ومدرسته. وكان لكتاباته عن السحر والشعوذة والدين تأثير قوى وعميق

للغاية وكانت مستمدة من اهتمامه البالغ والدائم بالتساؤلات عن العقلانية والعقيدة التى أثارها چيمس چورچ فريزر وإدوارد بيرنت تايلور ولوسيان ليفى- بريل ودوركايم ومارسيل موس وڤيلفريدو باريتو. ولكن فيما عدا المدرسة الفرنسية وباريتو فإنه لم يشر إلا قليلا إلى الكلاسيكيات السوسيولوچية الأخرى أو إلى علماء الأنثروبولوچيا الأمريكيين أو فى القارة الأوروبية، ونادرا ما كان يشير إلى الأنثروبولوچيين المعاصرين له. ولقد خسر كثيرا من إغفاله أعمال ماكس ڤيبر طيلة حياته رغم انشغالهما المشترك بالنظم الدينية والسياسية واهتمامهما بالتاريخ.

وكان إڤانز- بريتشارد يرى أن الإثنوجرافيا هى المعيار الحقيقى لمعرفة قدر العالم الأنثروبولوجى ولذا أنتج دراسات إثنوجرافية غنية عن مجتمعين إفريقيين هما مجتمع الأزاندى ومجتمع النوير كما كتب دراسة تاريخية مبتكرة عن إحدى الفرق الإسلامية وهى الطريقة السنوسية ودراسة أخرى عن الأنواك وعددا من العروض والمقالات القصيرة نسبيا عن بعض الشعوب الإفريقية الأخرى. وعلى العكس من كثيرين غيره لم يحاول أبدا أن يصل إلى أية نظرية من خلال دراسة ميدانية لمجتمع واحد فقط.

كان إڤانز- بريتشارد يعتقد أن المشكلة الأساسية فى الأنثروبولوچيا الثقافية هى مشكلة الترجمة (1965b) لأنها تتضمن قضيتين معقدتين ومرتبطتين ببعضهما وهما مسألة التغلغل داخل أعماق العالم الذهنى لثقافة أجنبية غامضة ومسألة جعل هذا العالم مفهوما وبالتالى قابلا للمقارنة مع عالم الثقافات الأخرى وبخاصة فى حدود وألفاظ ومفاهيم الفكر الغربى. وقد شغلته هذه المشكلة طيلة حياته العملية.

ويعتبر كتابه الأول عن الأزاندى (١٩٣٧) واحدا من أعمق الدراسات الأصيلة والمؤثرة فى كل تاريخ الأنثروبولوچيا الاجتماعية. وتتمثل أهمية هذا الكتاب فى استخدامه بطريقة فذة بشكل غير مألوف للمعلومات الإثنوجرافية الوفيرة من أجل

الوصول إلى مجموعة من الأهداف السوسيولوچية المحددة والعميقة التى سبق أن أثيرت فى الدراسات السابقة ولكن لم يتح لأى باحث أن يذهب إلى الميدان لتأكيد أو نقض النقاط التى تتضمنها. وتدور هذه المسائل حول البحث عما إذا كانت الشعوب البسيطة التى لم تعرف الكتابة والقراءة تفكر بنفس الطريقة التى تفكر بها الشعوب التى وصلت لتلك المرحلة، فقد كان العلماء السابقون عليه يقدمون إجابات متباينة دون أن يقوم أى منهم بأى بحث ميدانى أو يستعين بقدر كاف من المعلومات لتعزيز رأيه، بينما كتاباته هو تقدم عروضا واضحة وتفصيلية للأفكار التى تكمن وراء معتقدات الأزاندى فى الشعوذة والسحر الأبيض والسحر الأسود. وإذا كان قد تعرض لبعض المفاهيم التكميلية مثل تلك التى لها علاقة بعملية الحمل والإخصاب أو بروابط القرابة أو بالبحث عن الأسباب والعلل فإن اهتمامه كان يتركز طيلة الوقت على الاعتقاد فى الكائنات الإعجازية خاصة أن مثل هذه الأفكار والتصورات كانت موضع استهانة واستخفاف وسوء فهم من العلماء الآخرين.

وقد اهتم بتوضيح الملامح المنهجية المطردة والدائمة التى تتضمنها تلك الأفكار وتبيين كيف أنها تتفق تماما مع التجربة اليومية العقلانية الفعالة، وأنها يجب ألا تكون عرضة لهجمات الانتقادات الأجنبية أكثر من غيرها من الأفكار الفلسفية والمعتقدات الدينية التى يمكن بسهولة أن تتعرض لانتقادات أتباع العقائد الأخرى المخالفة أو هجمات الملاحدة. وفى سياق عرضه كان يبين كيف أن مثل هذه الأفكار الدينية تساند وتؤكد أشكال السلطة والقوة فى المجتمع، أى أنه لم يكن يكتفى بتوكيد أن المعتقدات التى يزعم الباحثون الآخرون أنها تصورات لاعقلانية وغامضة هى أمور لها معنى فى إطار تجربة مجتمع آخر، وأن كل المجتمعات لديها معتقدات وجودية تكاد تكون رافضة تماما لمتطلبات المنطق والاتفاق على أساس أن هذه المتطلبات الأخيرة يتولى تحديدها أشخاص ذوو عقول موجهة توجيها علميا. ولذا فإن

دراسته تبدأ بعرض فكر مجتمع واحد ثم تستخدم تلك المعلومات فى إعادة تقييم وتصحيح التصورات الأنثروبولوجية السابقة عن طبيعة الفكر فى كل المجتمعات التى لم تعرف القراءة والكتابة وتنتهى إلى إقرار وجود أنماط وملامح مشتركة للعقلانية واللاعقلانية والتصورات الوجودية والتصنيفات التقليدية تسود كل أنساق الفكر فى كل مكان فى العالم. ولم يسبق أبدا قبل هذه الدراسة أن درست معتقدات أى مجتمع غير متعلم بمثل هذه العناية أو بمثل هذا التركيز. ومع ذلك فإن الأستاذ وينش Winch يذهب إلى أنه حتى هذه الدراسة تكشف عن بعض آثار التمركز حول الذات لأن إڤانز- بريتشارد ينفى وجود الساحرات على الرغم من أنه لايوجد فى فكر الأزاندى ما ينكر ذلك الوجود ولكن عدم إيمان إڤانز - بريتشارد نفسه أملى عليه الالتزام بالافتراضات الغربية التى تختلف تماما عن تصورات الأزاندى وإن لم تكن بالضرورة أكثر منها عقلانية.

فى كتابه المهم الثانى، وهو كتاب النوير، عالج إڤانز - بريتشارد مشكلة سوسيولوچيا المعرفة من منظور مختلف. فالكتاب دراسة لمفهوم الزمن وحساب الوقت عند النوير وفيه يقدم عرضا للعلاقات المعقدة والدقيقة بين تصورات الزمان والمكان وعلاقاتهما بمختلف جوانب التجربة والاحتياجات الاجتماعية. وقد بين أن هذه العلاقات هى إلى حد كبير نتيجة لمظاهر الزمان الأفقى المطرد والزمان الدائرى التكرارى اللذين يرتبطان بالأحداث الفصلية وبالأنشطة الشخصية، وأن هذه الأفكار لا تتجاوز حد المنفعة الاجتماعية التى تقتضى توافر أوضاع ملائمة للتفكير فى التماسك والاختلاف الاجتماعى حسب ما تتطلبه خصائص التركيب السكانى والاقتصاد والشئون السياسية. بل إن الظواهر الكونية ذاتها ترتبط ارتباطا وثيقا باحتياجات المجتمع ولا تمتد تأثيراتها إلى أبعد من ضرورتها الاجتماعية فى الزمان والمكان. والواقع أن المادة العلمية المتوافرة عنده تؤكد وتدعم النظرة الدوركايمية للمعرفة حتى وإن كان قد

كتب فى مكان آخر بشكل مغاير عن أفكار وآراء دوركايم ومارسيل موس حول هذه القضايا (1965b)

وكتاب النوير (1940a) The Nuer هو أشهر أعمال إڤانز – بريتشارد على الإطلاق، وقد ظهر فى نفس العام الذى ظهر فيه تحليله للنظم السياسية عند الأنواك وكذلك كتاب الأنساق السياسية فى إفريقيا African Political Systems (Fortes & Evans-Pritchard 1940). وقد أحدثت هذه الأعمال الثلاثة ثورة فى بحوث الأنثروبولوچيا الاجتماعية فى إفريقيا وكان لها تأثير عميق وإن لم يكن مفيدا تماما على كل ذلك التخصص. ولا يزال كتاب النوير يعتبر هو العرض الكلاسيكى للنسق الانقسامى للبدنات segmentary lineage system. ويبدأ إڤانز بريتشارد الكتاب بالتساؤل عن كيف يمكن لأى مجتمع أن يكون لديه قانون ونظام دون أن تتوافر فيه المؤسسات التقليدية للحكومة مثل الرؤساء والمحاكم والشرطة وما إليها. والإجابة هنا أيضا تكمن فى وجود نسق مهيمن من المعتقدات والقيم. فالكتاب يؤكد بطريقة هادئة المظاهر المتكاملة للصراع (السلام فى الثأر) والنسبية المتغيرة للتحالفات الاجتماعية الفعالة (مبدأ الانشقاق والالتحام) التى يتم التعبير عنها فى حدود وألفاظ الانتماءات الخطية.. وقد اعترف إڤانز بريتشارد (وإن لم يسجل ذلك كتابة أبدا) أن ذلك النموذج استمده من كتاب وليام روبرتسون سميث *القرابة والزواج فى بلاد العرب القديمة* *Kinship and Marriage in Early Arabia* (1885). ومع أن كتاب النوير ساعد عددا كبيرا من الباحثين الميدانيين فيما بعد على إبراز معنى الحياة الاجتماعية لدى المجتمعات التى يقوم بناؤها على نظام البدنات القرابية فإن من المؤسف حقا إن روعة ذلك النموذج دفعت الكثيرين إلى هوة التبسيط الشديد للمادة العلمية التى كانت تتم صياغتها فى أحيان كثيرة قسرا فى نظم وأنساق انقسامية. ومع أن مثل هذا النموذج يمكن أن تكون له فائدة من الناحية المبدئية على الأقل لفهم كثير من أمور الحياة فى إفريقيا حيث ترتبط نظم القرابة بالنظم السياسية ارتباطا قويا

فـإنه أعـاق التـعـمق فى فـهم مـعظم المجتمعـات فى منطقـة الباسيفيكى والعـالم الجديد حيث تسـود مبـادئ تنظيمية مـختلفة، بل إن هذا النموذج أعاق بعض جوانب الدراسات الأخرى لمجتمعـات إفريقيـا ذاتها حتى بين القبائل الرعوية. وقد كتب بيترز Peters أهم وأعـمق نقـد لهـذه النمـاذج الانقسامية (١٩٦٧). وعلى أية حال فإن أهم ملامح تحليل إڤانز بريتشارد للتفاعلات بين العلاقات السياسية والقرابية والمعتقدات الدينية تظهر بوضوح وعمق فى "محاضرة فريزر التذكارية" لعام ١٩٤٨ وكانت عن الشيلوك .

فى الكتـاب الثـانى عن النوير (١٩٥١) درس إڤانز- بريتشارد نظام القـرابة والزواج عندهم. ومع أن هذا المجلد هو أضعف حلقة فى "ثلاثية " النوير فإنه يحتوى على عروض شائقة للغاية لممارسات النوير التى استعصى فـهمـها على عدد كبير من المحللين السابقين كما هو الشأن مثلا بالنسبة لموضوع زواج الشبح وزواج المرأة من المرأة والزواج من أرملة الأخ الميت. وقد استـمـد إڤانز- بريتشارد أسلوب العرض من هنرى سمنر مين إلى حد كبير ولكن كان يعيبه بشكل فادح التقيد ببعض التفسيرات الأيديولوچية المعيارية والإخفاق فى وضع الأفعال الاجتماعية فى مكانها الصحيح بحيث تتلاءم مع التفاصيل الكثيرة المختلفة عن بعض النظم مثل نظام الملكية والتركيب السكانى والتصرفات الفردية. ولم تلق أدوار المرأة فى الحياة الاجتماعية إلا قليلا جدا من الاهتمام وكذلك الحال بالنسبة للعلاقات المعقدة والمتشابكة بين النوير وجيرانهم من الدنكا (Southall 1976).

ويعتبر آخر كتبه عن النوير (١٩٥٦) أول دراسة علمية وثيقة للتعريف بالمعتقدات الدينية لدى أحد الشعوب البسيطة بطريقة توحى بأن تلك المعتقدات تحمل فى طياتها أبعادا لاهوتية تبيح مقارنتها بعمق مع الفكر الدينى فى المجتمعات الأكثر تعقدا ويختبر إڤانز- بريتشارد عددا من مظاهر معتقدات النوير الدينية مثل الطوطمية والتصنيف والأضحية ورمزية

الجسد وغيرها، وقد زودته معرفته الوطيدة بكلاسيكيات علم الاجتماع الفرنسى وتقديره للدراسات السامية والتوراتية بإطار مفيد لعرض نسق من الأفكار والقيم المعيارية بطرية دقيقة ومحكمة لدرجة أن رجال اللاهوت والفلاسفة المتبحرون يمكنهم الاستشهاد به بكل اطمئنان (Mac-Intyre). وعلى الرغم من تأثره الضمنى بالموقف الدوركايمى فى تقديم وعرض مشكلة الوعى والإدراك الدينى والكونى كمظهر من مظاهر الابتعاد عن التجربة الاجتماعية فإن الكتاب ينتهى بنوع من الإذعان لرجال الدين، وهو موقف غير متسق يرده البعض إلى مشاعره الدينية الخاصة. ويخلو هذا الكتاب تماما من أى مناقشة عن الطريقة التى يمكن للمعتقدات الدينية أو أية معتقدات أخرى أن توفر إمكانات القوة والقهر لبعض الجماعات أو الأفراد وذلك على الرغم من أن معلومات إڤانز- بريتشارد وغيره من الكتاب الذين كتبوا عن النوير مثل بول هاول وبى.إس. لويس والأب كرانزولارا توحى بذلك. كذلك لا توجد أى محاولة لفحص الأفكار الشعائرية أو الرمزية على مستوى أعلى من مجرد عرض المحتوى الظاهرى لتلك الأفكار (Levi-Strauss 1942,Beidelman 1966,1968). وفى استعراضه التالى لمختلف التفسيرات السوسيولوجية للدين (1965b) بدا كما لو كان يرفض حتى المناهج والأساليب السوسيولوچية المعتدلة التى كان استخدمها بحذق وبراعة فى أعماله السابقة.

ومن المحتمل أن يكون تخصصه الأول فى التاريخ هو الذى دفعه إلى تطوير المنظور التاريخى فى الأنثروبولوچيا الاجتماعية البريطانية. فقد ترك رادكليف براون ومالينوفسكى الأنثروبولوچيا الاجتماعية فى بريطانيا غارقة تماما فى التحليل الوظيفى وعاجزة عن تقدير المزايا التى يمكن أن تقدمها المادة التاريخية لفهم المجتمعات المعاصرة وتحليل التغير الاجتماعى. ويتمثل إسهام إڤانز- بريتشارد فى الأنثروبولوچيا التاريخية فى ثلاثة أمور هى: (أ) إحياء الاهتمام بالتاريخ الشفاهى، وكتاباته عن تاريخ الأزاندى التى امتدت طيلة حياته بلغت الذروة فى آخر أعماله عام ١٩٧١.

(ب) دراسته للسنوسية (١٩٤٩) التى تجمع بين المنظورات الاجتماعية لباحث فى الأنثروبولوچيا الاجتماعية ذى خبرة فى تحليل الدين والسياسة فى مجتمع رعوى ودراسة الأحداث باستخدام المصادر الشفاهية والوثائقية. (ج) إيمانه (كما هو شأن بعض المؤرخين) بأن المشكلات الإبستمولوچية التى نفترض أنها توجه الدراسات التاريخية تشبه إلى حد كبير جدا المشكلات التى تواجه الباحث السوسيولوجى أو الأنثروبولوجى المقارن. وهنا أيضا نجد أن عدم اهتمامه بڤيبر وماركس أمر يثير الدهشة والحيرة .

وقليل من الأنثروبولوچيين البريطانيين منذ مالينوڤسكى فعلوا أكثر مما فعل إڤانز- بريتشارد للارتقاء بدراسة الأدب الشفاهى وإنقاذه من الإهمال الذى عانى منه على أيدى الأنثروبولوچيين الاجتماعيين الذين انشغلوا تماما بدراسة البناء الاجتماعى. وقد كان يؤكد دائما على ضرورة دراسة النصوص كأدب. وتتلخص وجهة نظره فى ضرورة التركيز على تحليل الغموض واللبس فى الأمثال الزاندية (١٩٥٦) ونشر بالفعل مجموعة كبيرة من تلك النصوص (١٩٦٧ على سبيل المثال) كما أسهم فى عام ١٩٦٤ فى تأسيس "مكتبة أكسفورد للأدب الإفريقى" التى نشرت عددا كبيرا من الكتب لعدد من الباحثين من مختلف الجنسيات.

ولقد بلغ إڤانز- بريتشارد حد الإبداع فى توجيه الاهتمام نحو دراسة عدد من المشكلات التى أغفلها زملاؤه من العلماء. فقد كان أول من قدم تحليلا سوسيولوچيا عميقا للرقص فى المجتمعات البدائية (1928.In 1965 a) والكتابة المستنيرة عن الوظائف الاجتماعية للخلاعة الجنسية الشعائرية (1929.in 1965a) كما أنه قاد الدعوة إلى إعادة النظر فى وظائف المدفوعات التى تقدم للعروس عند الزواج واستبدال تعبير "ثروة العروس bridewealth " بتعبير "ثمن العروس "bride price" الذى كان يستخدم من قبل.. وقد قدم أدق عرض لمفاهيم الزواج والوالدية منذ كتابات مين

Maine كما كتب أول تحليل معقول ومقبول لنظام أخوّة الدم (.1933 in 1962)، وقليل من الأنثروبولوچيين هم الذين تعرضوا لمثل هذه الاهتمامات الواسعة العريضة وتركوا مثل هذه الثروة الإثنوجرافية الوفيرة. ويكفى أن نشير إلى ذلك التنوع الهائل فى الموضوعات التى تتراوح بين أساليب تنشئة الأطفال وتدريبهم على استخدام مصطلحات القرابة إلى الشعائر التى تمارس فى حالة إنجاب التوائم إلى الألفاظ والكلمات التى ينبغى استخدامها فى الخطاب اليومى مع الآخرين إلى أساليب اختيار أسماء المولودين حديثا إلى السلوك الجنسى المنحرف إلى طرق تشكيل وصناعة الحديد إلى ألعاب الصغار إلى تسمية الأشياء والظواهر حسب الأصوات الصادرة منها إلى أكل لحوم البشر وعلاقته بالتغذية.

وكثيرا ما يقال إن رادكليف - براون هو الذى قدّم كلاسيكيات علم الاجتماع الفرنسى لعلماء الأنثروبولوچيا الاجتماعية، وقد واصل إڤانز- بريتشارد هذه المهمة من بعده وتوسع فيها ليس فقط عن طريق المحاضرة ولكن أيضا عن طريق تشجيعه ترجمة ونشر أعمال دوركايم وموس وهنرى أوبير وسلستان بوجليه وليفى بريل وأرنولد ڤان چنب وغيرهم إلى الإنجليزية. ونحن ندين له فى المقام الأول بتجديد الاهتمام بأعمال روبير إرتز الذى تركت مقالاته الخصبة عن الموت وتجسيدات الموتى أثرا عميقا فى كتاباته هو نفسه.

ويمكن أن نتعلم الشىء الكثير من خلال النظر فى الطريقة التى كان يتبعها فى كتاباته سواء من حيث أسلوب الكتابة أم الاستراتيجية الكامنة وراء أشكال وأماكن وتوقيتات النشر. فقد نشر فى عدد كبير جدا من المجلات المتنوعة ابتداء من الدوريات الكبرى إلى السلاسل المغمورة مما يعكس التزامه (الكاثوليكى) باتساع وشمول مجال الأنثروبولوچيا، كما أنه كان يتبع خطة محكمة تقوم على نشر عدد كبير من المقالات التفصيلية التى قد تستغرق عقدا كاملا يعرض فيها بعض

الاعتبارات النظرية عن فئة محدودة من المشكلات أو القضايا المهمة التى تؤلف وحدة إثنوجرافية متكاملة بحيث نجد أنه حين يظهر الكتاب فى أخر الأمر تكون المناقشات التى سبق تقديمها قد اتخذت طابعا مكثفا ومصقولا وبه كثير من التفاصيل الإثنوجرافية الأساسية التى تتجنب تماما الجدل الأساسى الذى سبق نشره فى تلك المقالات. وقد تكون هذه طريقة مرهقة ولكنها أدت إلى إنتاج كتب متوازنة يتطلب إدراك أهميتها الحقيقية توافر إحاطة ثقافية وعقلية شاملة لدى قراء متميزين. ويستحق أسلوب إڤانز- بريتشارد الاهتمام لأنه ينفرد بلغة قوية وعميقة وإن كانت تبدو سلسة كما أن الألفاظ التى يستخدمها كثيرا ما تكون مفعمة بالغموض. ونادرا ما تتضمن أعماله تلخيصات أو نتائج نهائية تلخص أراءه. ولكن بدلا من ذلك نجد أن نظرياته وتفكيره المنطقى تنساب فى هوادة أثناء العرض كما أن التحليلات والنتائج يجب التوصل إليها من خلال العرض. وفى هذا بالذات نجد أن أعماله تخفى القيم التى يمكن الكشف عنها فقط عن طريق التفكير المكثف والمستمر.

المؤلف : T.O. Beidelman

المترجم : أحمد أبوزيد

Works by Evans-Prichard,
Supplementary Bibliography

WORKS BY EVANS-PRITCHARD

1937 *Witchcraft, Oracles and Magic Among the Azande.* Oxford: Clarendon. → Foreword by C. G. Seligman. An abridged paperback edition was published in 1976.

1939 Nuer Time-reckoning. *Africa* 3:189–216. → Reprinted by Bobbs-Merrill as part of a reprint series in 1966.

(1940*a*) 1963 *The Nuer: A Description of the Modes of Livelihood and Political Institutions of a Nilotic People.* Oxford: Clarendon. → A paperback edition was published in 1968 by Oxford University Press.

1940*b* *The Political System of the Anuak of the Anglo-Egyptian Sudan.* London: Lund, Humphries. → Published for the London School of Economics and Political Science. Reprinted by AMS in 1977.

(1940) 1958 FORTES, MEYER; and EVANS-PRITCHARD, E. E. (editors) *African Political Systems.* Oxford Univ. Press. → Published for the International Institute of African Languages & Cultures. A paperback edition was published in 1970.

(1949) 1954 *The Sanusi of Cyrenaica.* Oxford: Clarendon.

1951*a* *Kinship and Marriage Among the Nuer.* Oxford: Clarendon.

1951*b* *Social Anthropology.* London: Cohen & West. → Reprinted with *Essays in Social Anthropology* as a paperback by the Free Press in 1964.

1956 *Nuer Religion.* Oxford: Clarendon.

1962 *Essays in Social Anthropology.* London: Faber. → Reprinted with *Social Anthropology* as a paperback by the Free Press in 1964. Includes essays on the divine king of the Shilluk, blood-brotherhood, and Zande proverbs.

1965*a* *The Position of Women in Primitive Societies, and Other Essays in Social Anthropology.* London: Faber. → Includes essays on obscenity and on the dance.

1965b *Theories of Primitive Religion.* Oxford: Clarendon. → A paperback edition was published in 1966.
1967 EVANS-PRITCHARD, E. E. (editor) *The Zande Trickster.* Oxford: Clarendon.
1971 *The Azande: History and Political Institutions.* Oxford: Clarendon.
1974a EVANS-PRITCHARD, E. E. (compiler) *A Bibliography of the Writings of E. E. Evans-Pritchard.* Amended & corrected by T. O. Beidelman. London: Tavistock.
1974b *Man and Woman Among the Azande.* London: Faber.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

BEATTIE, J. H. M.; and LIENHARDT, R. G. (editors) 1975 *Studies in Social Anthropology: Essays in Memory of E. E. Evans-Pritchard.* Oxford: Clarendon. → See especially Louis Dumont's essay on the Nuer.
BEIDELMAN, T. O. 1966 The Ox and Nuer Sacrifice. *Man* New Series 1:453–467.
BEIDELMAN, T. O. 1968 Some Nuer Notions of Nakedness, Nudity, and Sexuality. *Africa* 38:113–132.
BEIDELMAN, T. O. (editor) 1971 *The Translation of Culture: Essays to E. E. Evans-Pritchard.* London: Tavistock. → See especially the essays on Nuer kinship by Kathleen Gough and on Nuer political leadership by the editor.
BEIDELMAN, T. O. 1974 Sir Edward Evan Evans-Pritchard (1902–1973): An Appreciation. *Anthropos* 59:553–567.
GLUCKMAN, MAX 1955 *Custom and Conflict in Africa.* Glencoe, Ill.: Free Press. → Lucid popularization of some of Evans-Pritchard's ideas.
LÉVI-STRAUSS, CLAUDE 1962 *Le totémisme aujourd'hui.* Paris: Presses Universitaires de France. → An English translation by Rodney Needham, *Totemism,* was published as a paperback by Beacon in 1963.
LÉVY-BRUHL, LUCIEN 1952 A Letter to E. E. Evans-Pritchard. *British Journal of Sociology* 3:117–123.
LIENHARDT, R. G. 1974 E-P: A Personal View. *Man* New Series 9:299–304.

MacIntyre, Alasdair 1964 Is Understanding Religion Compatible with Believing? Pages 119–133 in John Hick (editor), *Faith and the Philosophers*. London: Macmillan.

Peters, E. L. 1967 Some Structural Aspects of the Feud among the Camel-herding Bedouin of Cyrenaica. *Africa* 37:261–282.

Singer, André; and Street, Brian V. (editors) 1972 *Zande Themes: Essays Presented to Sir Edward Evan Evans-Pritchard*. Oxford: Blackwell.

Southall, Aidan 1976 Nuer and Dinka are People: Ecology, Ethnicity and Logical Possibility. *Man* New Series 11:463–491.

Winch, Peter 1964 Understanding a Primitive Society. *American Philosophical Quarterly* 1:307–324.

بيتسون جريجورى

BATESON, GREGORY

اختبار مدى ملاءمة ومرونة الأفكار الجديدة يشبه عملية تجربة الثوب الجديد. ولكن الأفكار عكس الملابس تحظى بأكبر قدر من التقدير حين تكون لدينا معرفة دقيقة بتطورها- أى بعملية قص حياكة القماش. وبكل التجارب المؤلمة لعملية اختبار ملاءمة الثوب الجديد. ومما يدعو للأسف أن القليلين منا هم الذين يتمتعون بدرجة من الالتزام المحايد بالأفكار يسمح لنا بالكشف عنها (وعن أنفسنا) خلال نموها. وقد كان جريجورى بيتسون من هذه الفئة القليلة وترتب على ذلك أن أصبح تأثيره غير عادى على الدارسين من مختلف التخصصات والأعمار.

ولد بيتسون فى ٩ مايو ١٩٠٤ وهو ابن ويليام وبياتريس (درهام) بيتسون. وكان لأبيه شهرة واسعة فى علم الوراثة وكانت عشيرة بيتسون كلها بصفة عامة ممثلة دائما بشكل جيد فى أوساط المثقفين.

تعكس الأعمال المبكرة لبيتسون اهتماماته الأنثروبولوجية وعلى الرغم من أن معظم أعماله تتميز بالغزارة فإنها غطى عليها فى الوقت ذاته لمعان إسهامات زوجته الأولى (وزميلته) مارجريت ميد Margaret Mead. وقد ظهر كتابه عن *نافن Naven* عام ١٩٣٦ وكان يمثل تطبيقا فريدا للمنهج المقارن المستخدم فى التشريح على الأنثروبولوجيا كما أن ارتباطه مع ميد عن الشخصية البالينزية مزيج من العلم والجماليات وهذا قليلا ما يتحقق. ثم نشر بعد ذلك السلسلة الأكبر من كتبه التى تناولت الطب النفسى ثم تبعها بالتحليلات الخاصة بالاتصال بين الحيوانات المتباينة والمختلفة. وأن هذه القائمة المختصرة تحدد بطريقة أو بأخرى كل إنجازات بيتسون وإسهاماته، كما أنها تمدنا بأكثر من إيحاء يدل على عقله المتقدم القادر على معالجة التباين والاختلاف فى الموضوعات. حقيقة إن رجال النهضة كانوا أكثر من مجرد فئة

من الهواة لأنهم جذبوا اهتمام العلماء وتفكيرهم وإن إسهاماتهم كانت تنطلق بسرعة وبقوة. ولا توجد في أي من اهتمامات بيتسون أو في سلسلة موضوعاته ما يعكس غياب الاستمرارية في تلك الاهتمامات.

كانت اهتمامات بيتسون تتركز على التساؤلات والأفكار : كيف يتم التفاعل بينها ؟ ما نوع النظام الاقتصادي الذي يحدد تكاثرهم واستمرارهم في الوجود ؟ وقد كتب بيتسون في أواخر عام ١٩٦٩" أصبحت مدركا تماما ... أنه في دراساتي للشعوب البدائية أن الشيزوفرينيا والتناسق البيولوجي، وعدم رضائي عن النظريات التقليدية للتطور والتعليم ، كنت قد حددت مجموعة واسعة من العلامات المميزة أو المرجعية التي ينبثق منها مجال علمي جديد يمكن وضعها من خلال منطقة علمية وقد أطلقت على هذه العلامات المميزة اسم " الخطوات"... (1972.P x vi) وبهذه الطريقة يدافع بيتسون عن الاستمرارية التي تكمن تحت أعماله العلمية. ولكن الذي ساعد على قوة تأثيرة ليس هي إسهاماته في مختلف التخصصات ولا حتى الشبكة الهائلة التي استخدمها في جذب التلاميذ من الأنثروبولوجيا إلى علم الحيوان ولكنها بالأحرى كانت توكيده على البحث عن كيف نفهم ما يؤدي بنا الفهم والدور الذي يلعبه التفكير الواعي في التكيف. أو حسب قوله. إنه من المؤكد حقيقة أن محتوى الإدراك ليس عينة عشوائية من التقارير الخاصة بالأحداث التي تحدث في بقايا العقل ، بل إنه محتوى صورة الإدراك التي تتم بطريقة منظمة ويتم اختيارها من الزيادة الضخمة للمخزون للأحداث العقلية ويمكننا ألا نعرف سوى القليل من القواعد وأسباب التفصيل في هذا الاختيار.

(Quoted in M.C. Bateson 1972p. 16)

وأعمال بيتسون الرئيسية خلال السبعينيات (وإن كان هناك عمل رئيسي كان تحت الإعداد هي مجموعة من المقالات بعنوان *خطوات إلى إيكولوجيا العقل* ***Steps to an Ecology of Mind*** *(1972)* وسمح في هذا المجلد بالدخول في عالمه لملاحظة أفكاره الجديدة التي

استطاع المئات من تلاميذه وأصدقائه المشاركة فيها مباشرة وناقش العلاقة بين المبادئ والفروض. وبين الفروض والحقائق وبين الحقائق والمدركات الحسية التي تكون لها من خلال المضمون رؤية ملزمة للبحث العلمي من خلال نوعين متباينين من التأثير وهما عدم إنكار الملاحظة ، وإن المبادئ الرئيسية يجب أن تكون مناسبة (ومرنة). وقد رفض الاستقراء الناتج من التجربة وهذا الاعتراض نادراً ما يكون جديداً في فلسفة العلوم الحديثه. ولكنه يكون على غير العادة معترفًا به بين الممارسين ومدرسي العلوم. فكيف يمكن لنا إذن أن نقيم جسراً بين حقائق الحياة وبين السلوك الذي يعرف اليوم بطبيعة النمط والنظام (1972.P.xxvi) ومن ثم فقد أثار بيتسون الحماس والالتزام للبحث عن طريق السماح بمتابعة صراعاته من أجل هذا التكوين.

وليس من المحتمل أن تتحدث نظرية بيتسون القوية عن أسباب الشيزوفرينيا التي أحدثت ثورة في علاج هذا المرض. وليس من المحتمل أيضاً أن يؤدي تحليله للعلاقة بين المماثلة والتشاكل في دراسة المورفولوجيا إلى تغيير جوهري في النظريات حول تطور الفقاريات التي تؤدي إلى تعديل العادات الذهنية لتلاميذه وهو اعتقاد بيتسون أن أموراً مثل التضادات بين الجانبين للحيوان ، والتنظيم النمطي للأوراق في النبات ، وفي تصاعد السباق نحو التسلح ، وفي عمليات المغازلة. وفي طبيعة اللعب ، وفي قواعد اللغة في الجملة ، وفي غموض التطور البيولوجي ، وفي الأزمات المعاصرة. وفي علاقات الإنسان بالبيئة لا يمكن أن تفهم إلا بالإشارة إلى مصطلحات إيكولوجيا الأفكار ... (Ibid p x v)

وقد ذهب بعض المفكرين إلى أن تعقد العالم الذي نعيش فيه يتجاوز تعقد جهازنا العصبي المركزي مما يمنع قيام تشبيه سوى تشبيه أحدهما بالآخر وهو تشبيه فج إلى أبعد حد. ولكن هذا الاتجاه استجابة متوقعة إزاء الكوارث الإيكولوجية التي نشأت من التبسيطات التي تقلص من حجم الأشياء (كما سجلتها تاريخياً مثلا في

(Commoner 1971) ولا ينحصر أعظم إسهامات بيتسون فى الدعوة لرفض كل من الاتجاهين المتطرفين وهما الاتجاه التقليصى والاتجاه نحو الاحترام المبالغ فيه ولكنه يرجع إلى ارتياده فى تطوير نظريات معرفية أكثر غنى وثراء (Quoted From Bateson 1958P . 54)

المؤلف PETER H. KLOPEER *

المترجم: فاروق أحمد مصطفى

(توفى جريجورى بيتسون فى ٤ يوليه ١٩٨٠ (المراجع)

Works by Bateson

SUPPLEMENTAR BIBLIOGRAPHY

(1936) 1958 *Naven: A Survey of the Problems Sug gested by a Composite Picture of the Culture of a New Guinea Tribe Drawn From Three Points of View.* Stanford Univ. Press. → Includes an epilogue

1942 BATESON, GREGORY; and MEAD, MARGARET *Bali nese Character: A Photographic Analysis.* New York Academy of Sciences, Special Publications, Vol. 2 New York: The Academy.

1943 Human Dignity and the Varieties of Civilization Pages 245–255 in *Conference on Science, Philoso phy, and Religion.* Edited by Lyman Bryson and Louis Finkelstein. New York: The Conference. → Held in New York on August 27–31, 1942.

1944*a* Cultural Determinants of Personality. Volume 2, pages 714–735 in J. McVicker Hunt (editor) *Personality and the Behavior Disorders: A Hand book Based on Experimental and Clinical Research* 2 vols. New York: Ronald.

1944*b* Pidgin English and Cross-cultural Communica tion. New York Academy of Sciences, *Transactions* Series 2 6:137–141.

1944 BATESON, GREGORY; and HOLT, CLAIRE Form and Function of the Dance in Bali. Pages 46–52 in *The Function of Dance in Human Society: A Sem inar Directed by Franziska Boas.* New York: The Boas School.

1946*a* The Pattern of an Armaments Race, Part I: An Anthropological Approach. *Bulletin of the Atomic Scientists* 2, nos. 5–6:10–11.

1946*b* The Pattern of an Armaments Race, Part II: An Analysis of Nationalism. *Bulletin of the Atomic Scientists* 2, nos. 7–8:26–28.

1947 Sex and Culture. New York Academy of Sciences *Annals* 47:647–660. → Paper read before the Con ference on Physiological and Psychological Factors in Sex Behavior on March 1, 1946.

1949 BATESON, GREGORY; and RUESCH, JURGEN Structure and Process in Social Relations. *Psychiatry* 12: 105–124.

(1951) 1968 RUESCH, JURGEN; and BATESON, GREGORY *Communication: The Social Matrix of Psychiatry.* New York: Norton.

1953 The Position of Humor in Human Communication. Pages 1–47 in Conference on Cybernetics, *Cybernetics: Circular Causal and Feedback Mechanisms in Biological and Social Sciences.* Edited by Heinz von Foerster. New York: Josiah Macy, Jr., Foundation. → Conference held in New York City on March 20–21, 1952.

1956 The Message "This is Play." Pages 145–242 in Conference on Group Processes, *Group Processes: Transactions of the Second Conference.* Edited by Bertram Schaffner. New York: Josiah Macy, Jr., Foundation. → Conference held in Princeton, New Jersey, on October 9–12, 1955.

1958 Schizophrenic Distortions of Communication. Pages 31–58 in Sea Island Conference on Psychotherapy of Chronic Schizophrenic Patients, *Psychotherapy of Chronic Schizophrenic Patients.* Edited by Carl A. Whitaker. Boston: Little, Brown. → Conference held at Sea Island, Georgia on October 15–17, 1955.

1959 Cultural Problems Posed by a Study of Schizophrenic Process. Pages 125–148 in American Psychiatric Association, *Schizophrenia: An Integrated Approach.* Edited by Alfred Auerback. New York: Ronald. → Conference held in San Francisco in 1958.

1961 The Biosocial Integration of Behavior in the Schizophrenic Family. Pages 116–122 in M. Robert Gomberg Memorial Conference, *Exploring the Base for Family Therapy.* Edited by Nathan W. Ackerman

et al. New York: Family Service Association of America. → Conference held at the New York Academy of Medicine on June 2–3, 1960.

1963*a* The Role of Somatic Change in Evolution. *Evolution* 17:529–539.

1963*b* A Social Scientist Views the Emotions. Pages 230–236 in Symposium on Expression of the Emotions in Man, *Expression of the Emotions in Man.* Edited by Peter H. Knapp. New York: International Universities Press. → Symposium held in New York on December 29–30, 1963.

1966 Problems in Cetacean and Other Mammalian Communication. Pages 569–579 in International Symposium on Cetacean Research, *Whales, Dolphins, and Porpoises.* Edited by Kenneth S. Norris. Berkeley and Los Angeles: Univ. of California Press. → Symposium sponsored by the American Institute of Biological Sciences in Washington in August 1963.

1967 Cybernetic Explanation. *American Behavioral Scientist* 10, no. 8:29–32.

1968*a* Conscious Purpose *Versus* Nature. Pages 34–49 in Congress on the Dialectics of Liberation, *The Dialectics of Liberation.* Edited by David Cooper. Hammondsworth, (England): Pelican. → Congress held in London on July 15–30, 1967.

1968*b* Redundancy and Coding. Pages 614–626 in Wenner–Gren Conference on Animal Communication, *Animal Communication: Techniques of Study and Results of Research.* Edited by Thomas A. Sebeok. Bloomington: Indiana Univ. Press. → Conference held at Burg Wartenstein, Austria, on June 13–22, 1965.

1970 The Message of Reinforcement. Pages 62–72 in *Language Behavior: A Book of Readings.* Edited by Johnnye Akin et al. The Hague: Mouton.

1971 The Cybernetics of "Self": A Theory of Alcoholism. *Psychiatry* 34:1–18.

1972 *Steps to an Ecology of Mind.* New York: Ballantine.

1978 *Mind and Nature: A Necessary Unity.* New York: Dutton.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

BATESON, MARY CATHERINE 1972 *Our Own Metaphor.* New York: Knopf.

COMMONER, BARRY 1971 *The Closing Circle.* New York: Knopf. → A paperback edition was published by Bantam in 1972.

تاكس، صول

TAX, Sole

ولد صول تاكس فى عام ١٩٠٧، وشارك فى الحوارات وحلقات البحث الأساسية فى حقل الدراسات الأنثروبولوجية على مدى أربعة عقود من ارتباط اسمه بقسم الأنثروبولوجيا فى جامعة شيكاغو منذ بدأ دراسته العليا فى عام ١٩٣١ وقد برزت شخصيته المرموقة أثناء حواراته فى حلقات البحث حول دور الأنثروبولوجيا فى مساعدة السكان الأصليين على الاحتفاظ بالهوية الثقافية، وكان رائداً معترفاً به ومدافعاً ومناصراً عن حق جماعة الهنود الأمريكيين فى تقرير المصير.

ونظراً لأنه كان يعمل فى سياق استمرار الاتصال الثقافى حيث تتباين القيم والمصالح المقررة، ومستويات القوة تبايناً ملحوظاً، وحيث تؤدى الاهتمامات بالهوية وحق تقرير المصير إلى ظهور الجماعات المنشقة والجماعات ذات المصالح المتعارضة، ركز صول وتلاميذه دراساتهم على مسائل الاتصال والزعامة والاستراتيجيات اللازمة لتحقيق الإجماع اللازم لاتخاذ القرار. ولقد واجه تاكس بإخلاص مماثل التحديات التى يواجهها الهنود فى تحقيق وحدة الأهداف داخل ساحة المفاوضات مع فئات أخرى غير الهنود. وأثناء تلك العملية تعلم تاكس الكثير عن استخدام وسوء استخدام القوة ومحاسن كبح من يشغلون مواقع فى السلطة جماح رغباتهم الذاتية.

ولقد بدأ تاكس أولى خطواته فى السلم المهنى بداية تقليدية بدراسة التنظيم الاجتماعى، التى كانت منفصلة نسبيا عن قضية تأثير حضور ومكانة الملاحظ الأنثروبولوجى على المجتمع موضوع الملاحظة، ولكن حدثت نقطة تحول فى أواخر الأربعينيات حين قرر وضع معرفة الأنثروبولوجيين وسلطتهم فى خدمة هنود مسكويك (الثعالب) الذين كان يدرسهم هو وطلابه. وثمة اعتقادان أساسيان شكلا القاعدة التى تقوم عليها فلسفة الأنثروبولوجيا التطبيقية التى اشتهرت وعرفت باسم

أنثروبولوجيا الفعل. [Tax 1952. a, Gearing Netting, & Peattie 1960].

الاعتقاد الأول : أن تأثير الأنثروبولوجي وتفاعله مع المجتمع موضوع الملاحظة يؤلفان بالنسبة للأنثروبولوجي الجدير بالثقة موضوعاً دائم التغير ولا مفر منه، وهو ما أدى إلى بداية اهتمام الدراسات الأنثروبولوجية بالاستعمار والسلطة وما يفترض فى الأنثروبولوجي من قابلية القيام بدور الوسيط. الاعتقاد الآخر : الاستفادة من هذا التفاعل فى تسريع تعلم اتخاذ القرار، واستخدام عملية التغذية المرتدة، فى تعزيز وتقوية الفعل المؤثر للثقافات الأقل قوة داخل الجماعات ذات الثقافات المتعددة عند متابعة عملية تقرير المصير.

إن التساؤل عن الحكمة من التمييز الصارم بين البحث النظرى والبحث التطبيقى، يكشف لنا عن أن أنثروبولوجيا الفعل انحرفت عن المسار الأساسى السائد فى الأنثروبولوجيا التطبيقية فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، بينما نادراً ما كانت الرغبة فى امتصاص التوترات الناجمة عن عمليات التثاقف ترتبط بأية نظرية عن تطوير أو اكتساب المعرفة. ففى أنثروبولوجيا الفعل، تعتبر المساعدة والتعلم هدفين متكافئين عند ملاحظة كيف أن التغذية المرتدة لما هو معروف وما يحدث للناس من تغيير فى إدراكاتهم واتجاهاتهم وسلوكهم. وربما كانت تبصرات تاكس عن الخاصية المتشابكة لتنمية وتطور المعرفة أكبر مساهماته بقاءً واستمراراً فى العلوم الاجتماعية، إلا أن أكبر إسهاماته المعترف بها أثناء حياته المهنية كانت مناصرته لحقوق السكان الوطنيين فى تقرير المصير وتجنيد الأنثروبولوجيين لمؤازرة هذا الهدف. وتقتضى فلسفة الفعل عند تاكس التدخل بالمشاركة عن طريق المساعدة فى تحديد الخيارات المتاحة أمام الناس، والمساعدة على توضيح ما يتضمنه أى فعل يكون مقترحاً، والمساعدة على تنفيذ و تحقيق القرارات التى يتم اتخاذها بطريقة صحيحة. وتشترك فلسفة أنثروبولوجيا الفعل مع الأنثروبولوجيا التطبيقية فى رفضهما القاطع للسماح بأن تؤدى سلطة ومعارف الأنثروبولوجي الغنية

نسبيا بالتدخل فى تقرير ما يعتبره أفضل أنواع الفعل ملاءمة لمصالح الجماعة الخاضعة للملاحظة.

ولقد اتبع تاكس فلسفة الفعل هذه بدرجة ملحوظة أثناء قيامه المتوسع بأدوار الإدارة والقيادة حتى عندما كان مجرد عضو عادى يتيح له مركزه الاطلاع على بواطن الأمور مثل زملائه الآخرين. ولقد انتقل تاكس من دراسة السياقات داخل القبيلة إلى ساحة التنظيم الكلى للهنود مستخدمًا أساليب الإدارة المقبولة لدى الهنود لتحقيق الاتصال والتواصل وتحديد الأهداف التى يمكن الوصول إلى اتفاق بشأنها. وقد قام بتنظيم أول مؤتمر قومى للهنود فى عام ١٩٦١، كما تولى إدارة برنامج مؤسسة كارنيجى للتعليم عبر الثقافات بين الهنود فى أوكلاهوما فى الفترة من عام ١٩٦٢ إلى عام ١٩٦٧، وفى الوقت ذاته بدأت أفكاره عن الفعل المؤثر الفعال تؤثر على جماعات أخرى من دوائر مختلفة : مثل منظمة هايد بارك المجاورة للجامعة، ومدينة شيكاغو (١٩٦٨)، والرابطة القومية للأنثروبولوجيين (كرئيس لعدة دورات للرابطة الأنثروبولوجية الأمريكية ورئيس تحرير مجلتها)، والجمعية الدولية لعلماء الأنثروبولوجيا (كمؤسس ورئيس تحرير مجلة *"Current Anthropology"* فى عام ١٩٥٨ ومنظم للمؤتمر الدولى التاسع للعلوم الأنثروبولوجية والإثنولوجية فى عام ١٩٧٣). وفى كل هذه الروابط والجمعيات اهتم بدعوة - وبإصرار - عدد أكبر من المشاركين من أفراد القواعد الشعبية للتشاور معهم وتبادل الرأى عند صنع القرار ونشر النتائج، وهو مالم يكن الكثيرون يتقبلونه سواء على المستوى النظرى أو على مستوى الفعل المؤثر، ولكن تلك المهام أثبتت قابليتها للتنفيذ وفاعليتها، ولقد شجعه نجاحه فى هذه المحاولات على أن يكتشف فى مرحلة تالية من حياته العملية إمكانية إعادة بناء وبعث القوة فى كثير من النظم و الجماعات، وخاصة الأسرة ومناطق الجوار فى الولايات المتحدة الأمريكية من خلال مساعدة الذات والزعامة السياسية المستنيرة (1976a, 1976b).

وقد ألقت هذه التجارب فى أنثروبولوجيا الفعل ظلالها على اهتمامات تاكس المبكرة والمستمرة عند تدريبه للأنثروبولوجيين والاهتمامات النظرية والمنهجية الأكثر أهمية للعلم. وكان لرالف لينتون الفضل فى تعريف تاكس بالأنثروبولوجيا فى سنوات دراسته الأولى فى جامعة ويسكونسن، كما أشرفت روث بنديكت على أول دراسة حقلية قام بها بين هنود أمريكا الشمالية، وكان لرادكليف براون الفضل فى تعريفه بالأنثروبولوجيا الاجتماعية والتحليل البنائى الوظيفى الذى جاء به من أوروبا،عندما عمل أستاذاً زائراً فى جامعة شيكاغو وقد شجع رادكليف براون تاكس وزميله فيما بعد فرد إجان على إعداد دراساتهما لدرجة الدكتوراه عن التنظيم الاجتماعى عند هنود المسكويك و هنود هوبى فى بداية الثلاثينيات. وفى تحليله لنسق القرابة المتغير عند جماعات الثعالب وهو صيغة منبثقة من النسق السائد عند هنود أوماها الحمر (١٩٣٧)، كان رائدا فى تطوير أسلوب تحليل المتغيرات (Coult 1967)، ومهد بذلك الطريق أمام بحوث فلويد ج. لاونزبرى وآخرين بعد عقدين من الزمان. ورغم أن تأثير راد كليف براون كان واضحًا على دراساته للتنظيم الاجتماعى عند المسكويك، فإن التوجيه الأساسى فى دراساته العليا جاء من روبرت ردفيلد، الذى كان بمثابه المعلم والصديق الودود حتى وفاته عام ١٩٥٨. وكان ردفيلد هو الذى أرشده لدراسة هنود المايا فى جواتيمالا وذلك بعد زواجه من جرترود جزوبى كاتز وإتمام دراسته للدكتوراه من جامعة شيكاغو فى عام ١٩٣٤.

ولقد تبع التزام تاكس الكامل للإثنوجرافيا عند تحليله للنظام القرابى فى مجتمع مسكويك (أى جمع البيانات المتعلقة بأشجار النسب من كل الأفراد فى جماعة مسكويك، وفحصها بالرجوع إلى السجلات والبيانات التى جمعها وليم جونز، والحصول على معلومات عن نسق القرابة من عشرين فردا على الأقل من أجل الكشف عن الفروق وتفسيرها)، القيام بجهد أكثر طموحًا بالمقارنة بين البيانات التى جمعت عن مجتمع باناجاشل، فى جواتيمالا.

وكانت النتائج التى توصل إليها فى مجال اقتصاديات الباناجاشل (١٩٥٣)، حيث اهتم تاكس بقياس دخل المجتمع ونفقاته خلال عام كامل، وقام بترتيب كل الجماعات المنزلية حسب الثروة، واختبار دلالة الفروق بين الثروات، وهى النتائج المعروفة لدى الاقتصاديين والأنثروبولوجيين، وتعد السنوات الثمان التى قضاها تاكس فى جواتيمالا والسنوات الأربع التالية التى تبعتها و قام خلالها بالبحث وتدريب الأنثروبولوجيين فى المكسيك، جزءاً من مشروع معهد كارنيجى للبحوث، ويهدف هذا المشروع إلى دراسة الهنود المعاصرين فى مايا الذى بدأ منذ دراسات ردفيلد لمجتمع يوكاتان، فمجتمع مايا يقع على هضاب غرب جواتيمالا وذو كثافة سكانية عالية ويفصله عن مجتمع شياباس بالمكسيك الغابات الواسعة المطيرة. وقد قدم تاكس فى بحثين (كان الأول عام ١٩٣٧ والآخر عام ١٩٤١) التقرير النهائى عن التنميط الثقافى لأهالى غرب مايا، وسجل فيهما بيانات عن وجود قدر أكبر من العلاقات اللاشخصية أثناء التفاعل الاجتماعى عما ذكره ردفيلد عن مجتمعات يوكاتان ذات الأحجام المتشابهة، وقد أثار تساؤلات عن أصول العلاقات اللاشخصية البسيطة، والعلاقات العملية فى مجتمع حضرى صناعى يحمل خصائص التفاعل الاجتماعى نفسها الموجودة عند سكان هضاب مايا. وعلى مستوى السياق الأكبر، ترأس تاكس ندوة مركز وسط أمريكا للدراسات الأنثروبولوجية، وتعد هذه الندوة أول محاولة لإجراء تقييم منهجى لمكانة الدراسات الإثنولوجية، وقد قام بتحرير الأبحاث ووقائع وقضايا هذه الندوة فى كتاب يحمل عنوان "ميراث الغزو" *"The Heritage Of Conquest"* (1952b).

وقد عين تاكس فى وظيفة باحث مشارك فى جامعة شيكاغو، فى عام ١٩٤٠، أثناء مشاركته فى إجراء بحث تابع لمعهد وسط أمريكا وبعد أن عمل لمدة عام كأستاذ زائر فى المركز القومى للأنثروبولوجيا والتاريخ (١٩٤٢-١٩٤٣)، التحق بقسم الأنثروبولوجيا بجامعة شيكاغو. وقد عاود إجراء

أبحاثه عن هنود مسكويك فى أيوا، واستخلص المبادئ الأساسية التى تقوم عليها أنثروبولوجيا الفعل، وتحمل مسئولية مراجعة مقررات الدراسات العليا، ووضع برنامجًا متكاملاً ميز جامعة شيكاغو لمدة عقدين من الزمان. وقد أصبح شخصية قومية لأول مرة أثناء إعادة تنظيم الرابطة الأنثروبولوجية الأمريكية (١٩٤٥-١٩٤٦)، التى أصبح رئيسًا لتحرير مجلتها فى عام ١٩٥٣ ثم رئيسًا للرابطة فى عام ١٩٥٩، ثم أصبح شخصية عالمية عندما تولى الإعداد للمؤتمر التاسع والعشرين الأمريكى فى عام ١٩٤٩، وفى عام ١٩٥٢ شارك مع مؤسسة ونر - جرن ***Wenner Gren***، فى إعداد حلقة بحث عن (الأنثروبولوجيا فى وقتنا الحاضر)، ***"Anthropology To Day"***، والمحرر الرئيسى لكتاب ***" Appraisal Of Anthropology" . [Tax et al. 1953]*** . وقد أدت كل هذه الأعمال إلى شغله وظيفة باحث مشارك فى مؤسسة ونر - جرن، التى من خلالها انبثقت الرابطة الدولية التى أصدرت مجلة (***Current Anthropology***) وباعتباره أول رئيس تحرير فى الفترة من (١٩٥٨-١٩٧٤)، لعب تاكس دورًا فعالاً فى إصدارها وتطويرها بحيث جعل منها مجلة عالمية، تتيح الحوار المثمر الفعال عن طريق نشر تعليقات واستجابات ما بين عشرة إلى عشرين عالمًا دوليًا على كل مقال، مع نشر رد صاحب المقال على كل تعليق.

ولقد بقيت المجلة تحمل طابعًا مميزًا بالتزامها تحقيق التكامل بين فروع الأنثروبولوجيا. وقد حقق تاكس هذا التكامل فى عدد آخر من الأعمال التى نشرها وبخاصة تحريره لكتاب "التطور بعد داروين" ***Evolution After Darwin 1960*** و"آفاق الأنثروبولوجيا" ***"Horizons of Anthropology 1964"*** وسلسلة "أنثروبولوجيا العالم" ***World Anthropology"*** التى ظهر منها نحو مائة كتاب تضم مجموعة من المقالات المنتقاة من أعمال المؤتمر الدولى التاسع للعلوم الأنثروبولوجية والإثنولوجية.

وثمة عملان منشوران يشتملان على تعليقات على أعمال ومسميات تاكس فى الأنثروبولوجيا. وكانت أنثروبولوجيا

الفعل موضوع مؤتمر الرابطة الدولية للأنثروبولوجيين نشر فى مجلة (*Current Anthropology*) عام ١٩٧٥. ويضم كتاب ***A Festschrift, Currents in Anthropology (Hinshaw 1979)*** مجموعة من الأبحاث أعدها زملاء وتلاميذ تاكس الذين يبلغ عددهم ٢٧ زميلاً وتلميذاً من تلاميذه، ومن بين هؤلاء المشاركين ابنتاه ماريانا تاكس كولدين، وسوزان تاكس فريدمان. وتهتم هذه الأبحاث اهتمامًا أساسيًا بدراسة هنود الشمال وأمريكا الوسطى وأنثروبولوجيا الفعل. وقد تتبعت إحدى هذه الدراسات التى أجراها دافيد بلانشارد العوامل المؤثرة فى تكوين تاكس، والفترات الحاسمة فى مجرى حياته العملية بتفصيل أكثر وأكبر مما هو متاح لنا فى هذا الحيز.

المؤلف : Robert E. Hinshaw

المترجم : سعيد فرج

Works By TAX

Supplementary Bibliography

WORKS BY TAX

1937*a* The Municipios of the Midwestern Highlands of Guatemala. *American Anthropologist* 39:423–444.

(1937*b*) 1962 Some Problems of Social Organization. Pages 3–32 in Fred Eggan (editor), *Social Anthropology of North American Tribes.* 2d ed., enl. Univ. of Chicago Press.

1941 World View and Social Relations in Guatemala. *American Anthropologist* 43:27–42.

1952*a* Action Anthropology. *América Indígena* 12: 103–109.

(1952*b*) 1968 TAX, SOL (editor) *Heritage of Conquest: The Ethnology of Middle America.* New York: Cooper Square.

1953 *Penny Capitalism: A Guatemalan Indian Economy.* Smithsonian Institution, Institute of Social Anthropology, Publication No. 16. Washington: The Institution.

1953 TAX, SOL et al. (editors) *An Appraisal of Anthropology Today.* Univ. of Chicago Press. → Papers presented at the International Symposium on Anthropology in New York in 1952.

1960 TAX, SOL (editor) *Evolution After Darwin.* Univ. of Chicago Press.

(1964) 1977 TAX, SOL; and FREEMAN, LESLIE G. (editors) *Horizons of Anthropology.* 2d ed. Chicago: Aldine. → Tax was the sole editor of the first edition.

1968 TAX, SOL (editor) *The People vs. the System: A Dialogue in Urban Conflict.* Univ. of Chicago Press.

1968 TAX, SOL; and KRUCOFF, LARRY S. Social Darwinism. Volume 14, pages 402–406 in *International Encyclopedia of the Social Sciences.* Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.

1976*a* Proposal for a New Institution: The Family as a Corporate Entity. Center for the Study of Democratic Institutions, *Center Report*, February. Santa Barbara, Calif.: The Center.

1976*b* Self-help Groups: Thoughts on Public Policy. *Journal of Applied Behavioral Science* 12:448–454.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

Action Anthropology Symposium 1975 *Current Anthropology* 16:507–540.

COULT, ALLAN 1967 Lineage Solidarity, Transformational Analysis, and the Meaning of Kinship Terms. *Man* 2:26–47.

GEARING, FRED; NETTING, ROBERT McC.; and PEATTIE, LISA 1960 *Documentary History of the Fox Project*. University of Chicago, Department of Anthropology.

HINSHAW, ROBERT E. (editor) 1979 *Currents in Anthropology: Essays in Honor of Sol Tax*. The Hague: Mouton.

جلكمان، ماكس

GLUCKMAN ,Max

ولد ماكس جلكمان، وهو شخصية رئيسية في الأنثروبولوچيا، في چوهانسبرج بجنوب إفريقيا في السادس والعشرين من يناير عام ١٩١١ وتوفى في چيروسالم في الثالث عشر من أبريل عام ١٩٧٥ أثناء توليه منصب "العالم الزائر المتميز" باسم ليدى ديفيز بالجامعة العبرية.

حياته العملية : كانت مرحلة الشباب في جنوب إفريقيا عاملا حاسما في تحديد نظرته إلى الأنثروبولوچيا على الرغم من أن معظم بحوثه وكل حياته في التدريس جاءت بعد رحيله من جنوب إفريقيا عام ١٩٣٨ ولم يعد إليها إلا لفترات قصيرة فيما بعد كما أصبح من أكبر نقاد التطور السياسي في تلك الدولة. وقد اختار أن يصبح مواطنا بريطانيا عن الانتماء إلى وطنه الأصلى كما كان يعلن بوضوح وصراحة عن معارضته لامتداد ظلال التفرقة العنصرية هناك. وكانت خبرته في جنوب إفريقيا هي التي شكلت كيانه كأحد المناصرين الأشداء للزنوج الأفارقة في كل أنحاء القارة، وهي مؤازرة أدت إلى منعه لعدة سنوات من إجراء أية بحوث ميدانية في جنوب ووسط القارة، فلم يتمكن من العودة إلى وسط إفريقيا إلا بعد أن استقلت روديسيا الشمالية وأصبحت تؤلف دولة زامبيا المستقلة عام ١٩٦٤.

كذاك كان جلكمان يشعر بالانتماء الوجداني القوى نحو إسرائيل، وهو ارتباط يرجع أيضا إلى مرحلة الطفولة. فعلى الرغم من أن أبويه لم يمارسا الديانة اليهودية فإنهما كانا عضوين بارزين في الجالية اليهودية بجنوب إفريقيا ومن أشد أنصار الصهيونية وقد هاجرا ومعظم أولادهما إلى إسرائيل في آخر الأمر. ولم يقم جلكمان أبدا بأى دراسة مركزة في إسرائيل كتلك التي أجراها في جنوب ووسط إفريقيا ولكنه أرسل معظم تلاميذه في السنوات الأخيرة من حياته للعمل في إسرائيل تماما مثلما كان

يفعل مع تلاميذه الأوائل حين كان يرسلهم إلى إفريقيا الوسطى. وجانب كبير من الأبحاث التي أجريت في إسرائيل تمت ضمن مشروع برنشتاين للبحوث في إسرائيل وهو مشروع بحثي كانت قد بدأته جامعة مانشستر عام ١٩٦٣ تحت إشرافه، وقد عرف ذلك المشروع بأنه أول محاولة جادة يقوم بها فريق من الأنثروبولوجيين الاجتماعيين لدراسة دولة صناعية منذ دراسات (لويد) وورنر في يانكي سيتي (Marx 1975, p.1). ومع أنه أمضى جانبا كبيرا من حياته العملية في إنجلترا وشجع تلاميذه على دراسة المصانع والمحلات التجارية ومشروعات الإسكان فإنه هو نفسه لم يقم إلا بالقليل من البحث هناك وذلك باستثناء موضوع الرياضة لأنه كان هو نفسه رياضيا بارعا منذ الصغر ولذا كان من الطبيعي أن يهتم بدراسة موضوعات مثل كرة القدم وغيرها من الرياضات في سياق الحياة المعاصرة.

وقد تلقى جلكمان تعليمه في جامعة ويتوترسراند (البكالوريوس عام ١٩٣٤) وجامعة أكسفورد التي التحق بها عام ١٩٣٤ كباحث موفد من مؤسسة رودس في الترنسفال، وقد حصل على الدكتوراه في الأنثروبولوجيا من تلك الجامعة عام ١٩٣٨ . وفي الفترة من ١٩٣٦ و١٩٣٨ قام بدراسة ميدانية في مناطق الزولو. وفي عام ١٩٣٩ توجه إلى روديسيا الشمالية (زامبيا حاليا) كباحث عامل في معهد رودس ليفنجستون وبدأ يعمل منذ اللحظة الأولى بين قبائل اللوتزي في مناطق باروتسي لاند، ولكنه أوقف البحث حين تم تعيينه مديرا للمعهد عام ١٩٤١. وقد أمكنه العودة فيما بعد إلى باروتسي لاند مرتين لفترات قصيرة ركز خلالها على دراسة نظام القضاء عند اللوتزي، كما أمضى بضعة أسابيع في إجراء بحوث بين قبائل تونجا ولامبا قبل أن يترك رئاسة المعهد عام ١٩٤٧ ليصبح محاضرا في الأنثروبولوجيا الاجتماعية بجامعة أكسفورد إلى أن تركها عام ١٩٤٩ حين عين أستاذا للأنثروبولوجيا الاجتماعية بجامعة مانشستر.

بيد أن مغادرة جلكمان لمعهد رودس ليفنجستون لم تنه مشاركته القوية فى العمل على تطويره، فقد استمر لعدة سنوات فى تدريب معظم الذين التحقوا بالعمل فيه كباحثين وجعل من جامعة مانشستر موطنا لإقامتهم الأكاديمية حين يعودون إلى إنجلترا من وسط إفريقيا كما كانوا يعرضون النتائج الأولى لبحوثهم فى السمينار الشهير الذى كان يعقده فى مانشستر ويخصصه لتحليل المعلومات الميدانية.

وقد أسس جلكمان فى مانشستر مدرسة للأنثروبولوچيا الاجتماعية لها طابعها الخاص من حيث مستوى التميز وملامح الاهتمامات الراقية فى البحث، وقد أكد هذا المستوى وتلك الاهتمامات على ضرورة ربط مايحدث فى أى موقف معين بالسياق العام للنسق كله الذى ظهرت فيه تلك المواقف، وكانت تركز على الأفعال التى تحكمها اعتبارات السمعة الحسنة والقيم الاجتماعية أكثر من تلك التى تعتمد على أمور مثل الأنساق المعرفية. فتحليل المواقف ومنهج الحالة الممتدة ومنهج الدراما الاجتماعية كانت كلها مصطلحات تستخدم للتعبير عن ماهية أسلوبه فى البحث الذى يركز على التفاعل الاجتماعى. وكان من ضمن أول مجموعة من الأنثروبولوچيين البارزين الذين تولى تدريبهم علماء من أمثال إف. جى. بيلى وفيكتور تيرنر وروناالد فرانكنبرج وأرنولد إل. إبشتاين وسكارليت إبشتاين ووليام واطسون وجاب ڤان ڤلسن .

وحين أصبح جلكمان زميلا متميزا فى مؤسسة نفيلد عام ١٩٧٠ تنازل عن رئاسة القسم فى جامعة مانشستر ولكنه استمر فى التدريس هناك. ويرجع جانب من قوته كأستاذ إلى اهتمامه الفائق بتلاميذه وأبحاثهم ولذا كان يكرس جانبا من وقته وطاقته الذهنية لمساعدتهم فى المقتضيات النظرية للمعلومات الميدانية التى حصلوا عليها وكان يبدى سروره باكتشافاتهم التى كان يعتبرها امتدادا لعمله هو. ومع أنه كان مرتبطا فى المحل الأول بجامعة مانشستر فإنه قام فى سنواته الأخيرة بعدة سفريات للعمل كأستاذ زائر فى عدد كبير من الجامعات فى مختلف

أنحاء العالم ولكنه كان يتردد بشكل منتظم على مدرسة الحقوق بجامعة ييل التي قامت بتكريمه لأبحاثه في القانون المقارن. وقد قابل في تلك المدرسة عددا من الزملاء المتميزين الذين شاركوه الاهتمام بدراسة الإجراءات القانونية، وقد اعترف هؤلاء الزملاء بمكانته حين منحوه معظم ألقاب التشريف التي يتمنى أي أنثروبولوجي الحصول عليها.

التطور الذهني : – على الرغم من أن تجارب جلكمان المبكرة أثرت في حياته العملية فيما بعد فإن تطوره النظري حددته تجاربه وخبراته في جامعتي ويتوترسراند وأكسفورد. فحين التحق بجامعة ويتوترسراند عام ١٩٢٨ كان ينوي دراسة القانون ليصبح محاميا مثل والده. ولكن أحد مقررات الأنثروبولوجيا التي كانت تقوم بتدريسها وينيفرد هورنلي Winifred Hoernle أفلحت في جعله يغير اتجاهه إلى الأنثروبولوجيا. وكان مدخل هورنلي النظري متأثرا بشكل قوي بإميل دوركايم ورادكليف – براون ولكنها كانت في الوقت ذاته أحد مؤسسي "معهد جنوب إفريقيا للعلاقات العرقية" الذي أنشئ لجمع البيانات الواقعية عن التعدد العرقي بين سكان المنطقة. وكانت هورنلي – ويشاركها في ذلك أيزاك شابيرا الذي تولى التدريس في ويتوترسراند لمدة سنة – تؤكد على ضرورة اهتمام الأنثروبولوجيا بدراسة حياة الناس أنفسهم وأنه يتعين على الأنثروبولوجيين في جنوب إفريقيا الالتزام بدراسة تأثير الظروف الاجتماعية التي يخضع لها الأفارقة والتي تجبرهم على المعيشة في المعازل داخل المزارع الريفية الكبيرة أو في المدن، وأن إعادة تركيب تاريخ تجارب الأفارقة الثقافي هو مشروع أنثروبولوجي له ما يبرره وإن كان أقل أهمية من توثيق وتحليل الوضع الناجم عن التعددية العرقية، ولذا عكفت هورنلي وشابيرا والباحثون والباحثات الشبان الذين أمكن جذبهم إلى الأنثروبولوجيا على ترجمة النظريات الوظيفية التي كانت مسيطرة على الأنثروبولوجيا الاجتماعية حينذاك بتأثير برونيسلاف مالينوفسكي ورادكليف – براون وإلى إثبات العلاقات

المتبادلة بين بعض الأمور مثل مستوى المعيشة المرتفع للسكان البيض فى جنوب إفريقيا وتصاريح المرور والانتقال وانخفاض الأجور عند الأفارقة وسوء التغذية فى المعازل ومعضلات الزعامة القبلية وتدهور الزراعة فى المعازل وما إلى ذلك. ولقد نظر الاثنان إلى الأفارقة والبيض على أنهما ينتميان إلى نسق اجتماعى واحد وهى نظرة لم تكن مقبولة بأى حال من السكان البيض الذين كانوا يفكرون بمنطق وجود عالمين ثقافيين منفصلين تماما أحدهما عن الآخر.

ولقد جذبت هذه النظرة انتباه جلكمان بشدة ولذا فإنه حين بدأ أول كتاباته المتخصصة اهتم ببحث وفحص الأوضاع الناشئة عن العلاقات بين العرقيات المختلفة التى يتصادم فيها السود والبيض (١٩٤٠) كما قام بتشجيع زملائه وتلاميذه فيما بعد على دراسة المجتمع الصناعى المعاصر الذى كان يرى أنه يضم مناطق تمثل المناطق الريفية الإفريقية. وحين قام فى عام ١٩٤٣ بالتخطيط لمشروع بحثى يستغرق سبع سنوات لمعهد رودس ليفنجستون اعتبر النقطة المحورية التى يركز عليها الباحثون الذين يلتحقون بالمعهد للعمل فى روديسيا الشمالية (زامبيا) وروديسيا الجنوبية (زيمبابوى) ونياسالاند (مالاوى) هى التصنيع والهجرة العمالية. فقد كان يعتبر هاتين القوتين عاملين مناوئين للأنماط القديمة وأنهما يوفران الأساس لإعادة تشكيل المجتمع وكتب يقول "إنه كجزء من هذه الدراسة سوف نقوم بتحليل تكوين وبناء الجماعات والعلاقات الجديدة فى المناطق الحضرية والريفية.... " (١٩٤٥ صفحة ٩). وكان يرى أن الأنثروبولوجيا تشق طريقها بقوة من الحاضر نحو المستقبل، ولذا فإنه انطلاقا من نفس هذا الاتجاه والمنطق حين عكف على التخطيط بعد عشرين عاما، أى فى عام ١٩٦٣، لمشروع برنشتاين فى إسرائيل ركز هذه المرة أيضا على التصنيع والهجرة.

فى جامعة أكسفورد تتلمذ جلكمان على روبرت آر. ماريت و إى.إى. إفانز – بريتشارد ثم على رادكليف – براون.

وقـد ارتبـط فكـريا فـى الثـلاثينيـات بإفـانز بريتـشـارد ورادكليف – براون وأشـاد بفـضلهـما عليـه، فـقـد كـانت أفكارهـمـا عن البناء الاجـتـمـاعى والعـلاقـات الوظيـفـيـة والتـجـانس الاجتمـاعى والنظام السيـاسى أمـورا مـحـببـة إلى نفـسـه لأنهـا ترجع إلى الصـيـاغات الدوركـايمـيـة التى كـانت مـألوفـة لديه منذ أيام تلمـذته على هـورنلى. وكـان جلكمـان يتـفق مع رادكليف – براون ودوركـايم فى أن المجـتـمع نظام أخـلاقى يسـتطيع أن يحـافظ على تماسكه رغم الصـراعـات التى تنشب بين أعضائه الذين يتبعون مصالحهم المتعارضة والذين قد يثورون أحـيـانا ضـد كل مـايمـثل الضـوابط الاجـتـمـاعـية. ولكنه أخـذ يبـتـعـد عن رادكليف – براون بعـد أن بدأ يهـتـم ويؤكد على عدوانية ومرارة الصراعات التى كـان يتـعـين على المجـتـمع أن يواجـهها ويكافـحـها، فقد كـان يعتـبر القانون والمراسم أو الشعائر أهم ركائز النظام الاجتمـاعى ويرى فيهمـا الآليات التى تسمح بإعادة الوفـاق بعـد خـرق قـواعـد السـلام أو حـين يكشف الناس عن خلافـاتهم الجوهرية. ولذا كـان يرى أنه يتـحـتم عليـه أن يقـوم بإسـهـامـات أساسية فى دراسة القـانون والشعائر. وقـد نشـر جلكمـان كـتـابين مـؤثرين يعتمدان على دراسته الميدانية للمحاكم (مـجـالس القـضـاء) عند اللوتزى وهمـا كـتـاب " الإجـراءات القـانونيـة عند البـاروتسى فى روديسيـا الشـمـالية ***The Juridical Process among the Barotse of Northern Rhodesia (1955)*** وكـتـاب *"الأفكار فى التـشـريع عند الباروتسى"* ***The Ideas in Barotse Jurisprudence" (1965)***. وقـد اتهم النقـاد المتخـصـصون فى ذلك المجـال جلكمـان بأنه فـرض التـصـنيـفـات القـانونيـة الإنجليـزية والهـولندية والرومـانيـة على قضـاة اللوتزى، ولكنه دافع عن نفـسـه ضـد هذه الاتهـامـات مـتـعللا بأنه كـان عليـه أن يفـسـر ويشـرح ويبـين أفكار اللوتزى فى لغة مفهومة لفقهاء القانون وللأنثروبولوجيين على السواء فى الوقت ذاته كان يترجم المفهومات المألوفة لدى المتخاصمين والقضاة عند اللوتزى، وأن اللوتزى أنفـسـهـم هـم الذين كـانوا يستخدمون كلمة "الرجل العاقل الحكيم"

فــى فـحــص الأدلة والشـواهـد وأن كل مـا كان عليـه أن يفـعله هو العـثور على مفـهوم قـانونى مـألوف فى سياق غـيـر مألوف. وفى هذين الكتابين وفى مقالات أخرى عديدة حول المحاكم والإجراءات القـانونيـة عند اللوتزى عـالج المسـائل الفنيـة الدقـيـقـة فى القـانون بطريقـة تكشف عن عمق تدريبه القانونى المبكر ولكن اهتـمـامـه العـام بالمحـاكم كـان ينحصر فى دورها كقوة أخلاقية.

كـانت رسـالتـه للدكـتـوراه فى أكسفورد عن "عالم ما فوق الطبيعة عند البـانتــو فى الجنوب الغـــربى" (من أفريقيا) *The Realm of the Supernatural among the Southeastern Bantu* وقد اعتـمـد فـيـهـا على البـحث المكتبى وكانت تبدو لأول وهلة على أنها موضوع غير ملائم لرجل "لاأدرى" يعترف بأنه يجد صـعوبة فى فـهم العقيدة الدينية. ولم ينشـر جلكمـان تلك الرسـالة ولكنه اسـتـخرج منهاعددا من المقـالات التى تدور حـول المراسم والشـعـائر، وهـو الموضـوع الذى يرتبط باهتـمـامـاته الأصلية. وقد عنيت هذه المقالات بفحص التسـاؤلات التى تعتبر فى رأيه مشكلات أبدية تثـور بانتظام عن كـيـف تعكس الشـعـائر والمراسم النظام الاجتـمـاعى وكيف أنها حين ترمز إلى ذلك النظام فإنها تؤكد صدقه وشرعيته، ولذا وجد أن عليه أن يكتب فى هذا المجال مرارا وتكرارا فيصف مثلا الاحتفال بافتتاح أحد الجسور فى مناطق الزولو على أنه يرمز إلى الاهتمامات المتباينة والمشتركة عند المشـاركـين فى تلك الاحـتـفـالات (١٩٤٠)، وأن يكتب عن الحـــرب بين الجنسين أثناء مراسم الختان عند قبائل (ويكو) على أنهـا تؤكـد الاسـتـمـرار الاجـتـمـاعى (١٩٤٩)، وأن يكتب عن مـراسـم التـمـرد فى سـوازيلاند على أنهـا عـوامل مـسـاندة للدولة وهكذا (١٩٥٤). وقـد عـبـر عن رأيه النهـائى حـول الموضـوع فى آخـر مـقـال نشـره حيث يقـول " إن ما تؤكده الشـعـائر فى آخر الأمر هو أن الانسجام بين الناس يمكن تحـقـيـقه رغم الصراعـات، وأن النظم والقيم الاجتماعية هى فى الحقيقة مشاعر متجانسة ونهائية ويكمن تحتها إلى حد ما ممارسة الشعائر ذاتها وأن فى إمكان الشعائر أن تقوم بهذه المهمة

لأن كلا منها يختار بشكل أو بآخر من بين سلسلة من الحالات المزاجية والارتباطات التعاونية والصراعات (Gluckman &Gluckman,1977, p. 236)

وقد ارتبط جلكمان فى أواخر الثلاثينيات ارتباطا قويا بإفانز بريتشارد ومايير فورتس وعمل الثلاثة معا فى وضع الأسس لدراسة الأنثروبولوجيا السياسية. وقد أدت مناقشاتهم إلى ظهور كتاب "الأنساق السياسية فى إفريقيا *African Political Sysiems*" (*Fortes & Evans*-Prichard,1940) وهو الكتاب الذى مهد الطريق لظهور فيض من الدراسات حول موضوع الانقسام والتعارض المتوازن. وقد تأثر جلكمان تأثرا شديدا بهذا الكتاب الذى أسهم فيه مثلما تأثر بكتاب إفانز - بريتشارد عن النوير الذى ظهر فى العام نفسه، وكان يعتقد أن من واجبه أن يتولى تطوير مقتضيات هذين العملين فى كتب وأعمال أخرى كما حدث فى كتاب " العرف والصراع فى إفريقيا *Custom and Conflict in Africa*"(1955a) وكتاب "السياسة والقانون والشعائر فى المجتمع القبلى *Politics, Law and Ritual in Tribal Society*(1965b). وربما لم يكن جلكمان على وعى بأنه بدأ يتخذ مسارا آخر فى تحليله للصراع والنظام. فبينما إفانز بريتشارد وفورتس كانا يؤكدان على وجود أبنية معرفية مستقرة وثابتة مع وجود تعارض متوازن بين الأحداث الاجتماعية كان جلكمان يركز على الفرد ويبين أن القواعد التى يتوقع أن يعيش الناس تبعا لها كثيرا ما تكون هى ذاتها متناقضة وغير واضحة، ولذا يعيش الناس فى صراع فيما بينهم ومع الآخرين ومع المجتمع على السواء، كما أن الأدوار المختلفة التى يقومون بها تفرض عليهم مطالب متضاربة ولكنها حقيقية وأن السلوك الذى يعتبر سليما فى دور معين قد يعتبر سلوكا سيئا فى موقف آخر، وأن من المحتمل أن تكون المعضلات الأخلاقية أكثر تعقيدا فى المجتمعات الأقل تعقيدا والأكثر بساطة لأنه فى مثل هذه المجتمعات لابد أن يقوم الفرد فى الوقت نفسه بعدد من الأدوار المختلفة ويواجه مختلف التوقعات من أعضاء المجتمع الآخرين.

وقد وصف جلكمان هذه المجتمعات بأنها متعددة الأدوار وكان يعتقد أنه فى مثل هذه المجتمعات تقوم الشعائر بوظيفتها بشكل فعال للغاية سواء بالنسبة لتحديد الأدوار أو بالنسبة لإقناع الناس بأنه رغم الصراع فإنهم يشتركون معا فى القيم المسيطرة المتعلقة بالخصوبة والتجانس.

أما فى المجتمعات الأكثر تعقيدا فإنه كان يبحث عن الحلول القانونية أكثر مما يبحث عن الحلول الشعائرية لأنه كان يرى أن هذه الحلول يتم اللجوء إليها باعتبارها اهتمامات طبقية أو فئوية لا تخضع لأية قيم أخرى أعلى منها وتكون مفروضة على المجتمع بأسره. فالالتجاء فى الصرع إلى الشعائر لم يعد مؤثرا ولم يعد مسموحا به لعدم وجود رموز شعائرية يمكن أن تسيطر على الصراع. وكان جلكمان قد قرأ كثيرا عن كارل ماركس ورأى فى كلامه سيطرة التاريخ إلا أن ذلك التأثير تضاءل فيما بعد فلم يعد يبدى أى اهتمام بالمنهج الجدلى ولذا جاءت نظرته إلى دور الشعائر فى المجتمع الصناعى المعاصر مستمدة من أفكاره القديمة المبكرة.

وبعض اهتماماته الأخرى كانت امتدادا لاعتباراته المحورية الأساسية. فقد اهتم بتدريس وظائف الثرثرة والإشاعات وكتب عنه (1963a). وقد قوبلت آراؤه بكثير من الانتقادات من الأنثروبولوچيين الشبان الذين نظروا إلى الثرثرة على أنها نسق من أنساق الاتصال بينما اهتمام جلكمان الخاص كان أكثر تحديدا لأنه كان معنيا بمعرفة كيف كانت المعايير الاجتماعية تراعى أثناء الثرثرة وكيف استطاعت الثرثرة أن تكون وسيلة من وسائل الضبط الاجتماعى. ومقالته التى أثارت الجدل عن مصادر استقرار الحياة الزواجية (١٩٥٠) أدت إلى كثير من البحوث عن معدلات الطلاق وعن العوامل الاجتماعية المختلفة التى يحتمل أن يكون لها علاقة بذلك. ومع أن هذا الموضوع كان من الأمور الهامشية بالنسبة لاهتماماته الرئيسية فإنه كان من ضمن ما يشغله أن يكتشف الظروف التى يمكن تحتها أن تزداد حالات

انهيار الحياة الزواجية دون أن يؤدى ذلك إلى تعرض النسق الاجتماعى العام للخطر.

ولقد كان الخيط الذى يمر خلال كل أعمال جلكمان هو دراسة الصراع الكامن داخل نظام أعلى درجة على الرغم من أنه مهدد بعدم القبول من أناس يرفضون أى اتفاق قد يضر برغباتهم المباشرة. وقد أدى تركيز جلكمان على الصراع وعلى المواقف المتعارضة إلى الظن بأنه يتبع خطوات جيورج زيمل مع أنه كان قد أتم بلورة أفكاره قبل أن يقرأ كتابات زيمل. وعلى الرغم من إصراره العنيد على أنه كأنثروبولوچى اجتماعى لم يهتم بالتفسيرات السيكولوچية فإن دينه لسيجموند فرويد واضح تماما فى أنه كان يهتم بالصراع داخل الفرد وبين الأفراد على السواء. وقد اعترف هو نفسه بأنه بعد اهتمامه المبكر بالماركسية أصبح منتميا إلى معسكر دوركايم وإلى الذين يعتبرون المجتمعات أنساقا أخلاقية وليست مجرد تجمعات من الأفراد المتنافسين الحذرين

المؤلف : Elizabeth Colson

المترجم : أحمد أبوزيد

Works By Gluckman

Supplementary Bibliography

WORKS BY GLASS

1935 *The Town and a Changing Civilization.* London: Lane.

1936 *The Struggle for Population.* Oxford: Clarendon. → With an introduction by Alexander M. Carr-Saunders.

1938 GLASS, D. V.; and GRAY, J. L. Opportunity and the Older Universities: A Study of the Oxford and Cambridge Scholarship System. Pages 418–470 in Lancelot Hogben (editor), *Political Arithmetic.* London: Allen & Unwin.

(1940) 1967 *Population Policies and Movements in Europe.* 2d ed. London: Cass. → Includes a new introduction.

1950*a* Graunt's Life Table. *Journal of the Institute of Actuaries* (London) 76:60–64.

1950*b* Gregory King's Estimate of the Population of England and Wales, 1695. *Population Studies* 3: 338–374.

(1953) 1966 GLASS, D. V. (editor) *Introduction to Malthus.* London: Cass.

(1954) 1963 GLASS, D. V. (editor) *Social Mobility in Britain.* Atlantic Highlands, N.J.: Humanities Press.

1954 GLASS, D. V.; and GREBENIK, E. *The Trend and Pattern of Fertility in Great Britain: A Report on the Family Census of 1946.* London: H.M. Stationery Office.

1956 Education and Social Mobility in Industrial Societies: Introductory Remarks. In volume 5, World Congress of Sociology, Third, *Transactions.* London: International Sociological Association.

1963 John Graunt and His Natural Political Observations. Royal Society of London, *Proceedings* Series B 159:1–38. → Includes six pages of discussion.

1965 GLASS, D. V.; CARLSSON, GÖSTA; and SVALAS-

TOGA, KAARE Social Stratification and Mobility. *Acta Sociologica* 11, parts 1–2.

1965 GLASS, D. V.; and EVERSLEY, D. E. C. (editors) *Population in History: Essays in Historical Demography*. London: Arnold.

1967 Demographic Prediction. Royal Society of London, *Proceedings* Series B 168:119–147. → The third Royal Society Nuffield lecture.

1972 GLASS, D. V.; and REVELLE, ROGER (editors) *Population and Social Change*. London: Arnold.

1973*a* *The Development of Population Statistics*. Edited by D. V. Glass. Farnborough (England): Gregg International.

1973*b* *Numbering the People*. Farnborough (England): Heath.

1973*c* *The Population Controversy*. Farnborough (England): Gregg International.

1976 Recent and Prospective Trends in Fertility in Developed Countries. Royal Society of London, *Philosophical Transactions* 274:1–52.

1976 GLASS, D. V.; and TAYLOR, P. A. M. *Population and Emigration*. Dublin and London: Irish Academic Press.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

CARLSSON, GÖSTA 1958 *Social Mobility and Class Structure*. Lund (Sweden): Gleerup.

CARR-SAUNDERS, ALEXANDER M. (1936) 1965 *World Population: Past Growth and Present Trends*. New York: Barnes & Noble.

GREBENIK, E. 1979 D. V. Glass. *Population Studies* 39. → Forthcoming publication.

HOBCRAFT, JOHN 1978 David Victor Glass. *Population Index* 44, no. 4.

HOGBEN, LANCELOT (editor) 1938 *Political Arithmetic*. London: Allen & Unwin.

KUCZYNSKI, R. R. 1936 *Population Movements*. Oxford Univ. Press.

Professor David Glass: Pioneer Studies on Population. 1978 *The* (London) *Times*, Sept. 27, p. 16.

دارت، رايموند إيه

Dart, Raymond A.

وُلد رايمـــــوند آرثر دارت فـي بريسـبـان بأسـتـراليـا فى الرابع من فـبـراير من عـام ١٨٩٣، والده صـمـويل دارت ووالدته أليـزا آن بريمـبلكومب. تلقى تعليـمــه فى مــدارس كـوينزلاند وجامـعـات كوينزلاند وسـيـدنى. وبعد حصوله على بكالوريوس العلوم (بمرتبة الشـرف) فى عـام ١٩١٣، التحق بكلية الطب بجامعة سيدنى. وفى عام ١٩١٥ مُنح درجة الماجسـتـير فى العلوم وفى ١٩١٧ بكالوريوس الطب وماجستير فى الجـراحــة (بمرتبـة الشـرف) من نفس الجامـعـة. وقد شـهـد هذا العام الأخير تعيينه مـعـيداً للتشريح تحت إشـراف جيمس تى. ويلسون الذى كان يعتبر - كما سيصبح دارت نفسه فيما بعد- "صانعًا للإنسان": فقد ترك سجلاً حافلاً بالطلاب البـارزين أكثـر منه بالبحـوث المميزة. وقد كان على دارت أن يثبت أنه "صانع للإنسان" إضافة إلى كونه باحثًا لامعًا حاد الذكاء سريع البديهة. وبعد تجنيـده فى الفـيلق الطبى بالجـيش الأسـترالى، خدم فى إنجلترا وفـرنسا (١٩١٨ - ١٩١٩). وبعـد تسـريحـه من الجيش عُين مدرسًا مساعدًا للتشريح تحت إشـراف جرافـتون إليوت سـمـيث بكليـة الجـامـعـة (University College) بلندن. وقد كـان لإليـوت سـمـيث، الذى كان شديد الاهتمام بالجهاز العصبى ودوره فى تطور الرئيسـات، تأثير قـوى آخـر على حـيـاة دارت. وعندمـا بدأت مؤسسة روكفلر برنامجها فى الزمالة كـان دارت وزمـيله الأسـترالى خـبـير التـشـريح جـوزيف شلشـيـر Joseph Shellshear من أوائل من حـصلوا على زمـالة روكـفلر (١٩٢٠ - ١٩٢١). وقـد أمـضى دارت غالبية زياراته الأمـيركية تحت إشـراف روبرت جـيـه. تيـرى فى قـسم التـشـريح بجـامـعـة واشنطن فى سـانت لويس، ميسـورى. وخلال عـام من عـودته إلى كلية الجـامـعـة، قبل كرسى أستاذية التشريح بجامعة ويتوترسراند بجوهانسبرج، خلفًا لشاغل ذلك المنصب الأول إدوارد بى. ستيبى. وشغل دارت كرسى التشـريح فى الفـتـرة من ١٩٢٣ إلى ١٩٥٨، أى لمدة ٣٦ عامًا. وقد تولى

الإشـــراف على كليـــة الطب الوليـــدة (أنشئت عام ١٩١٩) كما عمل عميداً لهذه الكلية لمدة ١٨ سنة. وخلال فترة إدارته تم إنشـــاء كليـــة طب الأسنان وتدريس مقررات فى العلاج الطبيعى والعلاج المهنى والتمريض. وقد أعطى الكثير من وقته لمتطلبات الكلية والخدمة العامة.

وبعد تقاعده من كرسى الأستاذية بسنوات عُين أستاذًا زائرًا فى معهد إنجاز الجهد البشرى Institute for the Achievement of Human Potential فى فيلادلفيا وكان يمضى ستة أشهر من كل عـــام هناك فى الفـــتـــرة بين السبعين والثمانين من سنى عمره.

إن إسهامات دارت البحثية الأولى كانت فى التشريح العصبى المقارن وعلم الأجنة العصبى المقارن، وتبعه فى ذلك جيل من الباحثين. وقد انصب اهتمامه على شعوب إفريقيا وكان أول من أثار فكرة أن الشعوب الخوسية بجنوب إفريقيا انحدرت من جماعة سكانية قديمة أطلق عليها "سلالة بوسكوب" (نسبة إلى الجمجمة البشرية الحفرية التى تم العثور عليها فى بوسكوب Boskop بالقـــــرب من بوتشيفستروم بالترانسفال فى ١٩١٣). وقد استُبدلت بهذه الفكرة مفاهيم أحدث لا تستند إلى النماذج وتركز على تاريخ شعوب جنوب إفريقيا.

إن اسم دارت سيرتبط دائمًا باكتشاف جمجمة تاونج Taung skull وإدراكه المسبق لأهميتها. ففى الوقت الذى أدت اكتشافات جاوة والصين إلى النظر إلى آسيا باعتبارها مهد البشرية، وقع فى يدى دارت فى نوفمبر من عام ١٩٢٤ خبيئة من العظام الحفرية المغطاة بطبقة من الصخور الشظوية الصلبة المتحجرة. وقد تم العثور على العظام فى كهف من الحجر الجيرى الرخامى بين كيمبرلى ومافيكنج على حافة صحراء كالهارى الكبرى. وفى تلك المرحلة كانت القردة الحفرية الوحيدة التى تم العثور عليها فى إفريقيا قد جاءت من الشمال البعيد. وقد أمضى دارت ستة أسابيع من العمل على إحدى هذه العينات، ولفت نظره مباشرة أن القالب الطبيعى لفراغ القحف البارز

جزئيًا كان أكبر من أن يكون لأحد قردة الربّاح (البابون) (إن أول ما شد انتباه دارت إلى تاونج كان جمجمة ربّاح متحجرة). وقد توصل إلى أن الجمجمة المحفوظة جيداً و"قالب المخ" ربما كانا يخصان طفلاً فى الخامسة من عمره. وعلى الرغم من أن قالب فراغ القحف لم يكن أكبر من ذلك الذى يخص قرداً من نفس العمر، فقد أظهر عدداً من السمات الشبيهة بتلك الموجودة لدى الإنسان، مثل الأسنان، وخاصة الأنياب الصغيرة. وقد نشر دارت (1925a) وصفا مفصلاً للجمجمة واقترح أن يجعل من هذا المخلوق النموذج الطرازى لجنس ونوع جديدين، هو الأوسترالوبثكس أفريكانوس *Australo-pithecus africanus* (انسان جنوب إفريقيا القرد). وقد رأى دارت أن هذا الكائن ينتمى إلى الرئيسات العليا ولكنه ليس من القرديات (أو عضو فى الفصيلة الحيوانية للقردة) : فقد انحرف عن التركيب القردى، متجهًا بلا تردد صوب الاتجاه البشرى، على الرغم من أن مخه كان فى حجم مخ القرد. بل إنه برهن أيضًا على أن الرأس لابد أن كان قائما من الناحية العملية على عمود فقرى مستقيم.

وقد قوبلت مزاعم دارت الذى كان فى الثانية والثلاثين من عمره فى ذلك الوقت بالكثير من العداء الشامل. ولم يساعده تذكيره لزملائه أن تشارلز داروين قد تنبأ فى عام ١٨٧١ بأن مثل تلك الأشكال السلفية من المحتمل جداً أن توجد فى إفريقيا بنسبة تفوق أى مكان آخر. إن مكان الأوسترالوبثكس ظل محل خلاف لمدة ربع قرن، ولكن دارت أصر على موقفه. وقد اكتشف روبرت بروم بعد ذلك عينات بالغة فى ستركفونتين، وقد أوضح ويلفريد إى. لوجروس كلارك من جامعة أكسفورد أن الرئيسات العليا بجنوب إفريقيا ليست قردة فقط، ولكنها أيضًا أعضاء فى الآدميات Hominids أو عائلة الإنسان، وهى رؤية أصبحت مقبولة بعد ذلك على نطاق واسع.

وقد عثر دارت وتلاميذه وزملاؤه على موقع كهفى آخر يحوى حفريات للأوسترالوبثكس - وهو كهف ماكابانسجات بشمال الترانسفال. كان

دارت مسئولاً قبل اكتشاف الآدميات الأولى وبداية ظهورها في شرق إفريقيا بفترة طويلة عن سلسلة مميزة من الإنجازات الجديدة:

(١) أثبت صحة نبوءة داروين القديمة بأن إفريقيا ستكون مهد الجنس البشرى.

(٢) فرض في عالم متردد فكرة أن مخلوقًا لا يزيد حجم مخه على حجم مخ القرد الحديث (حجم مخ الإنسان المعاصر يبلغ ثلاثة أضعاف حجم مخ القرد) يمكن رغم ذلك أن يظهر علامات التحول نحو الاتجاه الآدمي.

(٣) أوضح أن مبدأ التطور الفسيفسائي Mosaic evolution ينطبق على الأفراد الأوائل من أسلاف البشر بمعنى أن بعض أعضاء الجسم (مثل الأسنان وآلية الوقوف) تأنّست قبل غيرها من الأعضاء.

(٤) بيّن أن النمط المميز من الفسيفسائية الذى أظهره الأوسترالوبثكس يختلف كلية عن ذلك الذى بشّر به معلمه القديم إليوت سميث، الذى اعتقد أن كبر حجم المخ يجب أن يكون في طليعة الاتجاه نحو البشرية. بدلاً من ذلك فإن كبر حجم المخ لم يكن ظاهراً في الأوسترالوبثكس، بينما السمات البشرية كانت واضحة في الأسنان والوقفة المنتصبة.

إن إدراك دارت وتفسيره للسمات شبه البشرية للأوسترالوبثكس كان أهم تقدم معرفي يحدث في علم الإنسان القديم Paleoanthropology في القرن العشرين، أما كل الاكتشافات الأفريقية الأخرى التى تلت ذلك فهى لا تمثل سوى مجرد تكملة في التفاصيل. وقد عاش دارت ليشهد صحة مزاعمه الأولى. فدعواه بأن الأوسترالوبثكس قد استخدم عظام وقرون وأسنان الحيوانات التى كان يتغذى عليها كأدوات وجدت مقاومة عنيفة من غالبية علماء الإنسان القديم. ويعتقد البعض أن دارت بالنسبة لهذه الفكرة قد أضاف بذرة أخرى نحو فهم المراحل المبكرة من عملية التحول إلى الآدمية.

لقد حصل دارت على تقدير جدير بالاعتبار في العديد من بلدان العالم،

فعلى شرفه أُنشئ معهد دراسة الإنسان فى إفريقيا Institute for the Study of Man in Africa فى جامعة ويتوترسراند Whitwatersrand لتشجيع دراسة الإنسان فى إفريقيا، فى الماضى والحاضر، وفى الصحة والمرض. وقد أنشأ هذا المعهد أيضاً وظيفة محاضر Lectureship تحمل اسم ريموند دارت.

المؤلف : Philip V. Tobias

المترجم : مصطفى عوض إبراهيم

(*) توفى دارت فى ٢٢ نوفمبر ١٩٨٨ (المراجع)

Works By Dart

Supplementary Bibliography

1920 A Contribution to the Morphology of the Corpus Striatum. *Journal of Anatomy* 55:1–26.

1923 Boskop Remains From the South-east African Coast. *Nature* 112:623–625.

1925*a* *Australopithecus africanus:* The Man–Ape of South Africa. *Nature* 115:195–199.

1925*b* Note on Makapansgat: A Site of Early Human Occupation. *South African Journal of Science* 22:454 only.

1926 Taungs and Its Significance. *Natural History* 26:315–327.

1929 Notes on the Taungs Skull. *South African Journal of Science* 26:648–658.

1934 Dentition of *Australopithecus africanus. Folia anatomica japonica* 12:207–221.

1937*a* The Hut Distribution: Genealogy and Homogeneity of the Auni–Khomani Bushmen. Pages 101–116 in J. D. Rheinallt Jones and Clement M. Doke (editors), *Bushmen of the Southern Kalahari.* Johannesburg (South Africa): Univ. of the Witwatersrand Press.

1937*b* The Physical Characters of the Auni–Khomani Bushmen. Pages 117–188 in J. D. Rheinallt Jones and Clement M. Doke (editors), *Bushmen of the Southern Kalahari.* Johannesburg (South Africa): Univ. of the Witwatersrand Press.

1937*c* Racial Origins. Pages 1–31 in Isaac Schapera (editor), *The Bantu Speaking Tribes of Southern Africa.* London: Routledge.

1938 Fundamental Human Facial Types in Africa. *South African Journal of Science* 35:341–348.

1940*a* Recent Discoveries Bearing on Human History in Southern Africa. *Journal of the Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland* 70:13–27.

1940*b* The Status of *Australopithecus. American Jou: nal of Physical Anthropology* 26:167–186.

1948 The Makapansgat Proto-human *Australopithecu prometheus. American Journal of Physical Anthr pology* New Series 6:259–283.

1949 The Predatory Implemental Technique of *Au. tralopithecus. American Journal of Physical Anthr pology* New Series 7:1–38.

1951 *African Serological Patterns and Human Migr tions.* Cape Town: South African Archaeologic Society. → Presidential address.

1953 The Predatory Transition From Ape to Man. *I ternational Anthropological and Linguistic Revie* 1:201–218.

1954*a* *Africa's Place in the Human Story.* Johanne burg: South African Broadcasting Corporation.

1954*b* *The Oriental Horizons of Africa.* Johannesburg South African Broadcasting Corporation. → Seri of eight talks.

1954*c* The Significance of Makapansgat. *Zeitschri für Morphologie und Anthropologie* 46:119–123.

1955 *Australopithecus prometheus* and *Telanthrop capensis. American Journal of Physical Anthr pology* New Series 13:67–96.

1956 The Relationships of Brain Size and Brain Pa tern to Human Status. *South African Journal Medical Science* 21:23–45.

1957 The Osteodontokeratic Culture of *Australopithec prometheus. Transvaal Museum Memoirs,* No. 1 Pretoria (South Africa): The Museum.

1959 DART, RAYMOND A.; and CRAIG, DENNIS *Adve tures with the Missing Link.* New York: Harpe London: Hamish Hamilton. → A paperback editio was published in 1967. This book was translate into Japanese (1960), Polish (1961), Spanis (1962), and Czechoslovakian (1963).

1960 *Africa's Place in the Emergence of Civilisatio* Johannesburg: South African Broadcasting Corp ration. → Inaugural Van Riebeeck lectures.

1962 The Gradual Appraisal of *Australopithecus.* Pages 141–156 in Gottfried Kurth (editor), *Evolution and Hominisation.* Stuttgart (Germany): Fischer.

1973 Recollections of a Reluctant Anthropologist. *Journal of Human Evolution* 2:417–427.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

JACKSON, S. P. (proposer) 1964 Citation for Degree of D.Sc. *honoris causa. University of the Witwatersrand Gazette* 6:12–14.

Professor Dart at 80. 1973 *South African Journal of Science* 69:36 only.

South African Journal of Medical Sciences 1958 23:111–288. → Volume in honor of Dart.

TOBIAS, P. V. 1964 Dart and Taung Forty Years After. *South African Journal of Science* 60:325–329.

TOBIAS, P. V. (editor) 1973 *Journal of Human Evolution* 2:417–577. → Festschrift for Dart's eightieth birthday.

TOBIAS, P. V. 1975 Star Scoop That Shook the World. *The Star* (Johannesburg) Feb. 3:p.24.

TOBIAS, P. V. and PLOTKIN, REUBEN (editors) 1958 Raymond A. Dart: Commemorative Number. *The Leech* 28:85–155.

ديميزيل، چورج

DUMEZIL ,George

فى العقود الأولى من القرن العشرين، وكنتيجة لغروب نظرية "الميثولوچيا الشمسية" التى كان يقول بها ماكس موللرMax Müller (انظر Dorson,1955) وصل علم الأساطير المقارن وبخاصة الميثولوچيا الإندو- أوروبية المقارنة - إلى أدنى مستوياتها وأصبحت البحوث تهتم بالتركيز الشديد على الموروثات والتقاليد الإندو- أوروبية القديمة بالذات سواء أكانت إغريقية أو إيطالية أم كلتية أم هندية أم غير ذلك وظلت التساؤلات الأساسية التى أثارها ماكس موللر وأتباعه دون إجابة. وفى عام ١٩٢٠ ظهر عالم شاب متخصص فى الدراسات الإندو- أوروبية وهو چورچ ديميزيل الذى عكف على البحث عن إطار جديد يمكن تطبيقه ويصلح لدراسة تلك المشكلات مرة أخرى داخل حدود ذلك الإطار، وهى المشكلات فرضتها التشابهات فى الفكرة الأساسية إن لم يكن فى الأصول التاريخية لعدد كبير جدا من الآلهة والأبطال الإندو- أوروبيين القدامى.

وقد ولد ديميزيل بباريس عام ١٨٩٨ والتحق بليسيه لوى جران (لويس الأكبر) وبعدها مدرسة المعلمين العليا (إيكول نورمال سوبيريور) المتميزة، وبعد أن أدى الخدمة العسكرية كضابط فى المدفعية فى الفترة ١٩١٧-١٩١٨عاد إلى الدراسة بجامعة باريس حيث أكمل رسالته للدكتوراه تحت إشراف عالم الدراسات الإندو- أوروبية المرموق أنطوان مييّه وكانت بعنوان *Le féstin d'immortalit? : Etude du mythologie comparé indo-europee'nne* التى حددت بداية ظهور واحد من أبرز الباحثين الأكاديميين الذين شهدهم القرن العشرون.

وتستمد محاولات ديميزيل المبدئية (مثلا فى عامى ١١٩٢٤ و١٩٢٩) لإقامة "ميثولوچيا مقارنة جديدة " أصولها من نظرية چيمس چورچ فريزر (١٨٩٠ على سبيل المثال) التى لم تعد لها أهمية الآن والتى كانت تذهب إلى أن الدين فى كل مكان يعكس الرغبة فى تجديد العالم

عن طريق قتل الملوك من حين لآخر لكى يحل محلهم أشخاص آخرون يعتبرون رموزا لكائنات إلهيـة مقدسـة. (انظر Littleton 1966,1973,p.5). وعلـى أيـة حال فإنه فى عام ١٩٣٨ توصل ديميزيل إلى اكتشاف هائل ساعده على الوقوف على قاعدة نظرية مختلفة تماما، إذ اكتشف أن عددا كبيرا من المجتمعات الناطقة باللغات الإندو- أوروبية كانت تتميز على الأقل خلال مراحلها الأولى المبكرة بوجود نسق ثلاثى من الطبقات الاجتماعية يشبه إلى حد كبير الطوائف الآرية الثلاث التى كانت سائدة فى المجتمع الهندى الكلاسيكى ثم فى المجتمع الحديث (Dumezil,1936). والقاعدة النظرية الجديدة مستمدة من علم الاجتماع الدوركايمى وأتباعه الذين تولى مارسيل جرانيه Marcel Granet مهمة تقديم ديميزيل لهم. وليس من الإنصاف اعتبار ديميزيل عالما دوركايميا بالمعنى الدقيق للكلمة لأن تعليمه الأساسى كان فى الفيلولوچيا وتاريخ الأديان، إلا أنه اعتنق واحدة من أهم المسلمات الدوركايمية وهى أن الحقائق الاجتماعية والثقافية الهامة تجد لها تمثيلات جماعية فى الكائنات والتصورات الإعجازية الفائقة للطبيعة Durkheim,1912. وفى سلسلة متميزة من الكتب والمقالات التى كتبها خلال العقد التالى (١٩٣٨-١٩٤٨) أفلح ديميزيل فى أن يجمع بين الشواهد التى اكتشفها حديثا عن الثلاثية الاجتماعية وبين علم E الاجتماع والأساليب الفنية التقليدية المتبعة فى الفيلولوچيا المقارنة كما توصل إلى نموذج شامل للأيديولوچيا الإندو- أوروبية، أى البناء المعرفى الذى كان الإندو- أوروبيون القدامى ينظمون فى حدوده وبالإشارة إليه عوالمهم الاجتماعية والإعجازية. وحسب الفهم السائد الآن فإن لهذه الأيديولوچيا ثلاثة ملامح أساسية هى : (١) المحافظة على السيادة الشرعية والمقدسة، (٢) ممارسة الشجاعة الفيزيقية، (٣) تنمية الرفاهية المادية والخصوبة والثروة وما إليها. وكل مبدأ من هذه المبادئ الثلاثة يؤلف أساسا لما يطلق عليه ديميزيل لفظ "وظيفة" *fonction* وهو مفهوم كلى معقد يشتمل على المبدأ الأيديولوجى ذاته والمظاهر الاجتماعية والإعجازية العديدة.

وربما نجد أوضح مثال لذلك فى الهند الفيدية حيث تتجلى "الوظيفة الأولى "(السيادة) فى طائفة البراهمة وفى التصورين الجماعيين الأولين وهما ميترا (المظهر التشريعى) وفارونا (المظهر الكهنوتى). و"الوظيفة الثانية" (الشجاعة الفيزيقية) كانت تتجلى فى طائفة الكشاتريا (الصفوة العسكرية/ الحاكمة) وتمثيلها المبدئى هو إندرا إله الحرب العظيم. و"الوظيفة الثالثة" كانت تنعكس على المستوى الاجتماعى فى الفيشيا (طائفة الرعاة/المزارعين) وعلى المستوى الإلهى فى الثنائى آشفن أو الفرسان المقدسين وكذلك الإلهة ساراڤاتى وكانوا جميعا يهتمون من حيث المبدأ بالرفاهية المادية والخصوبة وما إلى ذلك.

وثمة على الأقل بعض الشواهد التى تشير إلى إمكان وجود ثلاثيات اجتماعية وإعجازية مشابهة فى تراث كل الشعوب تقريبا الناطقة باللغات الإندو- أوروبية ابتداء من إيطاليا حتى أيسلندا، كما أصبح من الواضح أن الوظائف الثلاث تنعكس بأشكال مختلفة فى عدد كبير جدا من الظواهر الثقافية بحيث يدخل فيها مثلا ثالوث أبطال الملاحم (Wikander 1947; Littleton 1970) والمجموعات الثلاثية من الأمراض (Puhvel 1970) بل أيضا التصورات الثلاثية للمكان الفيزيقى (Mole' 1952 ; Dumézil 1968-1973,vol.1)

ويبدو من النظرة الأولى أن مدخل ديميزيل يشبه المدخل الذى اتبعه مواطنه كلود ليفى - ستروس انظر مثلا Lévi - Strauss 1964 إلا أن هناك بعض الاختلافات المهمة، بل والأساسية بين الاثنين. فعلى العكس من ليفى- ستروس لم يفترض ديميزيل أن البناء المعرفى الثلاثى الذى اكتشفه هو خاصية للعقل البشرى بوجه عام بل إنه ذهب بدلا من ذلك تماما إلى اعتبار هذه الأيديولوجيا سمة أندو- أوروبية خالصة على الأقل فى العالم القديم ولذا فهى محددة بالضرورة بالمكان والزمان.، وهذا معناه أن هذين العالمين الفرنسيين كانا يعملان على مستويين مختلفين تماما من التجريد (Littletlon 1974).

ومع ذلك فإنه إذا كانت الظواهر البنائية المحددة التى جلبها ديميزيل إلى النور مقصورة - بالتعريف - على العالم الإندو - أوروبى فإن المنهج الذى استخدمه لابد أن تكون له بعض المقتضيات العامة بالنسبة للبحث الاجتماعى. فقد يكون من المحتمل أن معظم، إن لم يكن كل العائلات اللغوية الكبرى فى العالم - مثل الأتو/أزتكية والملايو/بولينيزية والبانتو والسامية /الحامية وغيرها كانت فى وقت من الأوقات من تاريخها مرتبطة وراثيا (جينيا) بأيديولوجيا مماثلة بحيث يكون لكل عائلة منها منظومتها الخاصة من "الوظائف" .(Littleton 1973 pp.232-233).

ومن المؤكد أن نظريات ديميزيل وأساليبه البحثية لم يتم قبولها كلها من الجميع بل كان هناك من يتهمه بأنه كان يفرض فى بعض الأحيان نموذجه الثلاثى على معلومات يمكن أن يكون لها تفسيرات أخرى (Littleton، 1966-1973,pp.186-202). ولكن على الرغم من هذه الانتقادات فإن ديميزيل الذى ظل يشغل منصب أستاذ الحضارة الإندو- أوروبية فى الكوليج دو فرانس (وهى الوظيفة التى أنشئت له خصيصا عام ١٩٤٨) كان ناجحا بشكل غير عادى وبارزا فى جهوده التى استمرت طيلة حياته لتطوير "ميثولوجيا مقارنة جديدة" وأن مقتضيات ما أنجزه بالفعل كانت عميقة حتى بالنسبة للعلوم الاجتماعية ككل.

وفى نوفمبر من عام ١٩٧٨ وهو فى خريف الثمانينيات من عمره تم انتخابه عضوا فى الأكاديمية الفرنسية

المؤلف: C. Scott Littleton

المترجم : أحمد أبوزيد

(*) توفى چورچ ديميزيل فى ١١ أكتوبر ١٩٨٦ (المترجم)

Works By Dumezil

Supplementary Bibliography

WORKS BY DUMÉZIL

1924 *Le festin d'immortalité: Étude de mythologie comparée indo-européenne.* Annales du Musée Guimet, Bibliothèque d'études, Vol. 34. Paris: Geuthner.

1929 *Le problème des Centaures: Étude de mythologie comparée indo-européenne.* Annales du Musée Guimet, Bibliothèque d'études, Vol. 41. Paris: Geuthner.

1930 La préhistoire indo-iranienne des castes. *Journal asiatique* 216:109–130.

1934 *Ouranos-Varuna: Étude de mythologie comparée indo-européenne.* Paris: Adrien-Maisonneuve.

1935 *Flāmen-Brahman.* Annales du Musée Guimet, Bibliothèque de vulgarisation, Vol. 51. Paris: Geuthner.

1939 *Mythes et dieux des Germains: Essai d'interprétation comparative.* Paris: Leroux.

(1940) 1948 *Mitra-Varuna: Essai sur deux représentations indo-européennes de la souveraineté.* 2d ed. Paris: Gallimard.

1941 *Jupiter, Mars, Quirinus: Essai sur la conception indo-européenne de la société et sur les origines de Rome.* Paris: Gallimard.

1942 *Horace et les Curiaces.* Paris: Gallimard.

1944 *Naissance de Rome: Jupiter, Mars, Quirinus II.* Paris: Gallimard.

1945 *Naissance d'archanges, Jupiter, Mars, Quirinus III: Essai sur la formation de la théologie zoroastrienne.* Paris: Gallimard.

1947 La tripartition indo-européenne. *Psyché: Revue internationale de psychoanalyse et des sciences de l'homme* 2:1348–1356.

1948 *Loki.* Paris: G. P. Maisonneuve.

1949*a* *L'héritage indo-européen à Rome.* Paris: Gallimard.

1949*b* *Le troisème souverain: Essai sur le dieu indo-iranien Aryaman et sur la formation de l'histoire mythique d'Irlande.* Paris: G. P. Maisonneuve.

1952 *Les dieux des Indo-Européens.* Paris: Presses Universitaires de France.
1953 Les trois fonctions dans quelques traditions grecques. Volume 2, pages 25–32 in *Hommage à Lucien Febvre.* Paris: Colin.
1954 *Rituels indo-européens à Rome.* Paris: Klincksieck.
1956*a* *Aspects de la fonction guerrière chez les Indo-Européens.* Paris: Presses Universitaires de France.
1956*b* *Déesses latines et mythes védiques.* Brussels: Collection Latomus, Vol. 24.
1958 *L'idéologie tripartie des Indo-Européens.* Brussels: Collection Latomus, Vol. 3.
1959 *Les dieux des Germains: Essai sur la formation de la religion scandinave.* Paris: Presses Universitaires de France. → Translated in *Gods of the Ancient Northmen,* 1973.
(1966) 1970 *Archaic Roman Religion.* Univ. of Chicago Press. → First published in French.
1968–1973 *Mythe et épopée.* 3 vols. Paris: Gallimard. → A translation of the third part of the second volume was published by the University of Chicago Press in 1973 with the title *The Destiny of a King.*
(1969) 1970 *Heur et malheur de guerrier.* 2d ed., rev. Paris: Presses Universitaires de France. → A translation of the first edition was published by the University of Chicago Press in 1970 with the title *The Destiny of the Warrior.*
(1970) 1973 *From Myth to Fiction.* Univ. of Chicago Press. → First published in French.
1973 *Gods of the Ancient Northmen.* Berkeley and Los Angeles: Univ. of California Press. → Includes a translation of *Les dieux des Germains,* 1959, and four other articles written between 1952 and 1959.
1978 *Romans de Scythie et d'alentour.* Paris: Payot.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

DORSON, RICHARD 1955 The Eclipse of Solar Mythology. *Journal of American Folklore* 68:393–416.

DURKHEIM, ÉMILE (1912) 1976 *The Elementary Forms of the Religious Life.* 2d ed. London: Allen & Unwin. → First published as *Les formes élémentaires de la vie religieuse, le système totémique en Australie.* A paperback edition was published in 1961 by Collier.

FRAZER, JAMES G. (1890) 1955 *The Golden Bough: A Study in Magic and Religion.* 3d ed., rev. & enl. 13 vols. New York: St. Martins; London: Macmillan. → A one-volume abridged edition was published in 1922, and reprinted in 1955.

GERSCHEL, LUCIEN 1957 Georges Dumézil's Comparative Studies in Tales and Traditions. *Midwest Folklore* 7:141–148.

LÉVI-STRAUSS, CLAUDE (1964) 1969 *The Raw and the Cooked: Introduction to a Science of Mythology.* New York: Harper. → First published in French.

LITTLETON, C. SCOTT (1966) 1973 *The New Comparative Mythology: An Anthropological Assessment of the Theories of Georges Dumézil.* Rev. ed. Berkeley and Los Angeles: Univ. of California Press.

LITTLETON, C. SCOTT 1970 Some Possible Indo-European Themes in the *Iliad.* Pages 229–246 in Jaan Puhvel (editor), *Myth and Law Among the Indo-Europeans.* Berkeley and Los Angeles: Univ. of California Press.

LITTLETON, C. SCOTT 1974 "Je ne suis pas . . . structuraliste": Some Fundamental Differences Between Dumézil and Lévi-Strauss. *Journal of Asian Studies* 34:151–158.

MOLÉ, M. 1952 Le partage du monde dans la tradition iranienne. *Journal asiatique* 240:455–463.

PUHVEL, JAAN 1970 Mythological Reflections of Indo-European Medicine. Pages 369–382 in George Cardona et al. (editors), *Indo-European and Indo-Europeans.* Philadelphia: Univ. of Pennsylvania Press. → Papers presented at the third Indo-

European conference held in 1966 at the University of Pennsylvania.

WIKANDER, STIG 1947 Pāṇḍava-sagen och Mahābhāratas mytiska forutsättningar (The Pāṇḍava Sagas and Some Mythological Persistences in the Mahābhārata). *Religion och Bibel* 6:27–39.

ريتشاردز ، أودرى آى

RICHARDS , Audrey I

أفلحت أودرى آى . ريتشاردز – وهى عالمة أنثروبولوچيا إنجليزية ولدت عام ١٨٩٩ وأمضت سنوات طفولتها الأولى فى الهند – فى أن تضفى الحس الأنثروبولوجى الحيوى الحديث على فهم المجتمعات التراتبية التسلطية فى جنوب وغرب إفريقيا . ولم تكن حياتها العملية مقصورة على النشاط الأكاديمى المحدود بل يمكن القول إن خبرتها الشخصية الواسعة فى السلم الوظيفى للإدارة العامة ساعدتها على إضفاء المصداقية على وصفها للثقافة السياسية السائدة فى القصور ومجالس الصفوة والاستعمار عند قبائل البمبا فى زامبيا (١٩٦٠ , ١٩٦٩ , ١٩٧١) وقبائل الجاندا فى أوغندا (١٩٦٩ , ١٩٦٤). وكان تدريبها المبدئى فى البيولوچيا وقد حافظت طيلة حياتها على الاهتمام بالبحوث البينية وأن توجه عن عمد كتاباتها لرجال الإدارة ولعامة الناس مثلما توجهها للسوسيولوچيين. وقد ترأست عدة فرق بحثية فى بحوث ميدانية بينية وتطبيقية وقت أن كانت فى أول الأمر مديرة لمعهد البحوث الاجتماعية فى شرق إفريقيا من عام ١٩٥٠ إلى ١٩٥٦ ثم حين قامت بعد ذلك بتأسيس مركز الدراسات الإفريقية بجامعة كيمبريدچ عندما شغلت كرسى سمطس Smuts مابين عام ١٩٦٢ وتقاعدهاعام ١٩٦٧ . وجانب كبير من بحوثها المبكرة تم إجراؤها، كما فسرت هى نفسها فيما بعد ، فى "وزارة المستعمرات ومنظمة البحث الاجتماعى " (١٩٧٧) وذلك فى وقت كانت " وزارة المستعمرات والحكومات الاستعمارية لاتستفيد كثيرا من الأنثروبولوچيين وتنظر إليهم بشىء من الارتياب وتبخل عليهم بالتمويل " (p. 287) وأثناء الفترة الأولى من الحرب العالمية الثانية عملت على تغيير هذا الموقف والحصول على تمويل للبحوث الميدانية الاجتماعية وذلك حين أصبحت رئيسة مسئولة فى وزارة المستعمرات البريطانية وسكرتيرة لمجلس بحوث العلم الاجتماعى فى المستعمرات. ولم تفقد أبدا تحمسها للبحث الميدانى حتى بعد تقاعدها

فقامت بإجراء بحث فى إحدى القرى الإنجليزية .

كانت ريتشاردز إحدى تلاميذ برونيسلاف مالينوفسكى فى مدرسة لندن للاقتصاد مع إى.إى. إفانز - بريتشارد ورايموند فيرث وأيزاك شابيرا وهورتنس باودرميكر Powdermaker، وقد شاركتهم وعدد من أفراد الجيل التالى لهم مباشرة من أمثال ماير فورتس وإس. إف. نادل S.F. Nadel وجودفرى ويلسون ومن بعدهم فيليس كابرى Phyllis Kaberry فى تطوير المناقشات التى أدت إلى تغيير الوظيفية كمنهج ومدخل للأنثروبولوجيا . وبعد وفاة مالينوفسكى ذكرت أنه كان يميل إلى اعتبار تلاميذه - على الأقل إلى أن ابتعدوا عنه بشكل واضح وصريح - وهو ما لم تفعله هى أبدا - " على أنهم فريق يشتبك فى معركة مشتركة أكثر منهم مجموعة من الأفراد لكل منهم اهتماماته واحتياجاته المختلفة ... فهم تلاميذ يعملون فى أى مشكلة يكون هو نفسه غارقا فيها بشكل مكثف ." (Richards ,1943, p.3). وكان من الطبيعى أن يظهر تأثيره بشكل مباشر وقوى فى أول أعمالها وقد استمر هذا التأثير واضحا فى كل كتاباتها وبذلك ظلت (مالينوفسكية) الاتجاه طيلة الوقت . ومن هنا كان كتابه عن *الجنس والكبت فى المجتمع الوحشى* *Sex and Repression in Savage Society* وراء ظهور كتابها عن *الجوع والعمل فى قبيلة وحشية* *Hunger and Work in a Savage Tribe (1932)* وهو كتاب يرتكز على رسالتها للدكتوراه (١٩٣١) وكان كل التحول الذى حدث هو فى التركيز على الطعام بدلا من الجنس وعلى إنتاج الغذاء بدلا من إنتاج الأطفال ولكن المناهج المستخدمة كانت متماثلة فى الكتابين. فالمعلم والتلميذ أكدا معًا "الاحتياجات الاجتماعية الأولية " وعلى إشباع "المطالب الثقافية" التى تقوم على أسس بيولوجية . كذلك اتبعت كتابه عن حدائق المرجان وسحرها *Coral Gardens and Their Magic (1935)* فى كتابها عن *الأرض والعمل والغذاء فى روديسيا الشمالية* *Land, Labour and Diet in Northern Rhodesia (1939)* . وفى هذا العمل الضخم الذى تابعته فى بعض كتاباتها القصيرة عن الزواج

والخصوبة وشعائر تكريس الإناث وكذلك فى كتابها عن الزواج عند *قبائل البمبا والأحوال الاقتصادية الحديثة* ***Bemba Marriage and Modern Economic Conditions (1940)*** وكتابها **Chisungu (1956)** شايعت النظرة إلى الحياة القبلية ككل متكامل وأن التغيرات الكبرى وتهديد ذلك التكامل جاءت من الخارج . وإذا كان نسقها الوظيفى اختلف عن النسق المبدئى عند مالينوفسكى فإنه ظل مع ذلك نسقا كليا ومن الضرورى وصفه وصفا شاملا ودقيقا مما كان يعنى أن تؤخذ فى الاعتبار الأنشطة الزراعية مع أكبر قدر ممكن من المظاهر الثقافية ذات الصلة. وكانت النتيجة ظهور أول دراسة أنثروبولوچية أساسية فى إفريقيا عن تبادل اقتسام الطعام وانخفاض الإنتاج فى اقتصاد يقوم على إعادة التوزيع فى مجتمع يتعرض لتغيرات سريعة بسبب زيادة هجرة الأيدى العاملة من الريف إلى المدن .

وبعد فترة من بداية الأربعينيات انصرفت الأنثروبولوچيا الاجتماعية البريطانية عن ذلك المدخل إذ ظهر موقف معارض للوصف الذى يترك النظم الاجتماعية - حسب مايقول أحد كبار النقاد - "مثقلة بالوقائع أكثر مما يجب" (**(Gluckman,{1947} 1960 p. 226** ، وظهرت الدعوة لقدر أكبر من التجريد المستمد من السياق الثقافى الكلى وإلى تفصيص النظم إلى وحدات أصغر تكون أكثر قابلية للتحليل المقارن . وفى مقالها " مشكلة المدخل الأنثروبولوجى" **A Problem of Anthro pological Approach (1941)** توقعت رد الفعل المعارض وذكرت الاعتراضات التى يحتمل إعادة اكتشافها - كما لو كانت تظهر لأول مرة - بعد مرور عقود على رد الفعل المعارض . وقد جاء أول (اختراق) سافر لآرائها فى كتاب إڤانز - بريتشارد عن النوير **The Nuer**، وكان من الطبيعى إلى حد كبير أن تنشر أودرى ريتشاردز اعتراضاتها فى مقال عميق عرضت فيه ذلك الكتاب وأثارت الشكوك حول صحة "الاقتصار الجامد للتعميمات على مشكلة البناء الاجتماعى وحدها " وأكدت على ملاءمة أنواع أخرى مختلفة من البيانات الثقافية للمشكلة التى فرضها إڤانز - بريتشارد

(1941.p. 40) ورفضت التمييز القاطع بين الأنساق العائلية والسياسية الذى أصبح بمثابة إحدى المسلمات فى الأنثروبولوچيا الاجتماعية إلى أن ظهرت الاتجاهات المعارضة لذلك ، " إذ يبدو لى أن النسقين انبثق أحدهما من الآخر وأنهما يتداخلان فى ديناميات أى موقف اجتماعى " .(*Ibid* ,p. 51). وقد انتقدت النموذج الأساسى الذى وضعه إفانز - بريتشارد والقائم على " التشبيه الانقسامى" segmentary simile الذى يوحى "بوجود تقسيم منطقى وشديد التساوى إلى جماعات فرعية أكثر مما يحدث فى الواقع " (Ibid, p. 47). وقد بنت اعتراضاتها على خبراتها فى المجتمعات التى تتميز بوجود درجات عالية من التفاوت فى المكانة والتنوع فى التنظيم تبعا " لعدد من مبادئ التقارب المختلفة مثل السن والانتماء المحلى والمرتبة وما إليها ... حيث يتمتع كل منها بأيديولوچيته الخاصة التى تتحدد ثقافيا . وتقوى هذه المبادئ بعضها بعضا وتوجد جنبا إلى جنب أو حتى قد تتصارع فيما بينها " (Ibid, p. 51). وكان رأيها هو أن النموذج الانقسامى Segmetary Type نموذج استاتيكى لن يصمد أمام التاريخ والتغيرات التى تطرأ على العلاقات بين هذه المبادئ بمرور الزمن.

ولقد أصبحت ريتشاردز أخصائية على درجة عالية من الكفاءة فى الدراسات الإقليمية . ومن بين كل الأنثروبولوچيين كانت تعبر دائما عن أسمى تقديرها لزملائها من تلاميذ مالينوفسكى وابعض المتخصصين فى الدراسات الإفريقية وبخاصة مونيكا ويلسون Monica Wilson وماكس جلكمان وهيلدا كوبر Hilda Kuper، وربما كان الاستثناء الواضح من غير هؤلاء هو جريجورى بيتسون Gregory Bateson الذى كتبت عن جهوده فى فك شفرة الخنوثة فى غينيا الجديدة (١٩٣٦) " ربما بشىء من السخرية" (Firth 1973, p. 183) والواقع أن كتابتها كانت مجرد ترجمة لكتابات بيتسون أكثر منها نظرة باحث فى الشئون الإفريقية ، فقد ساوت بين وجهتى النظر المختلفتين تماما بربطهما معا تاريخيا وهما نظرة بيتسون ونظرة

جلكمان مع الاعتراف (الساذج) بنوع من التعويض اللاشعورى كتفسير لدور مختلف تماما للشعائر (pp. 119-151 , 1956) وقد ترتب على ذلك أن تفسيراتها فى كتاب " شيزونجو" للأنماط المتتالية فى ممارسة الشعائر الخاصة بأدوار الجنسين كانت تعانى من نقص شديد فى فك شفرات تلك الشعائر بطريقة منهجية سليمة.

كان منهج أودرى ريتشاردز يتطلب أعلى مستويات العمل الميداني. وقد أفلحت فى تنفيذ ذلك عند البيمبا ولكن بدرجة أقل عند الجاندا. ففى دراستها للبيمبا أفلحت بشكل واضح فى أن تدخل نوعا من التوازن على تقارير الإخباريين حول ما كان يحدث وما يجب أن يكون تبعا للمعتقدات والقيم التقليدية.وذلك عن طريق الملاحظة الطويلة المدى لما يفعله الأشخاص ذوو المكانة. أما عند الجاندا فإنها شغلت نفسها بدرجة كبيرة فى المسوح الإحصائية الكبيرة الحجم التى لم تكن على نفس الدرجة من الكفاءة مع ملاحظاتها هى المباشرة، كما أن المهام الإدارية للمعهد لم تترك لها الوقت الكافى لممارسة أى شيء آخر ، ولذا فإن كتابها عن التنمية الاقتصادية والتغير القبلى Economic Development and Tribal Change (1956) وكتابها الآخر عن البناء المتغير لإحدى قرى الجاندا The Changing Structure of a Ganda Village (1966) لايظهر فيهما نفس القوة والحيوية التين نجدهما فى أعمالها السابقة رغم أنهما يحتويان على قدر كبير من المعلومات التفصيلية الكاشفة عن التغيرات فى هجرة الأيدى العاملة وحيازة الأرض مع دخول نظام حرية التملك للأفراد .

ويظهر مدى قوة واتساع تأثير ريتشاردز من الكتابين اللذين يضمان عددا من المقالات التى كتبت على شرفها . الكتاب الأول (Schneider & Gough,1960) اهتم بمقارنة أبنية القرابة الأمومية التى تحمست لها فى تصنيفها لقبائل وسط البانتو (١٩٥٠) وهو موقف دفع إدموند ليتش Edmund Leach إلى الإشادة به بطريقة فجة واتهامه فى شيء من القسوة فى الوقت

ذاته بأنه أشبه بكتابات رادكليف – براون وأن فيه كثيرا من التكرار (1961.p. 2). أما الكتاب الثانى (La Fontaine, 1972) فهو إشادة وتقدير لفكرها الذى يظهر بأجلى صوره فى كتابها شيزونجو الذى يظهر فيه بوضوح تأثير مالينوفسكى فى مقاله "بالوما : أرواح الموتى فى جزر التروبرياند" "Baloma ; the Spirits of the Dead in the Trobriand Islands" (1916) وأن السلوك الرمزى بطبيعته متعدد المعانى : Malinowski ; "Orthodox" , "Popular" and "Individual" "Interpretations" (1916, p.429) كما يجب أن يكون قابلا للعديد من التفسيرات مع وجود رؤية للتنوع فى العواطف والوجدانات والقيم.

المؤلف : Richard P. Werbner

المترجم : أحمد أبوزيد

(*) توفيت أودرى ريتشاردز عام ١٩٨٤ – المترجم

WORKS BY Richards

Supplementary Bibliography

WORKS BY RICHARDS

1932 *Hunger and Work in a Savage Tribe: A Functional Study of Nutrition Among the Southern Bantu.* London: Routledge. → A paperback edition was published in 1964 by World Books.

(1939) 1961 *Land, Labour and Diet in Northern Rhodesia: An Economic Study of the Bemba Tribe.* 2d ed. Published for the International Institute of African Languages and Cultures. Oxford Univ. Press. → Includes a new foreword and bibliography.

1940 *Bemba Marriage and Modern Economic Conditions.* Rhodes–Livingstone Papers, No. 4. Livingstone (Zambia): Rhodes–Livingstone Institute.

1941 A Problem of Anthropological Approach. *Bantu Studies* 15:45–52.

1943 Bronislaw Kaspar Malinowski. *Man* 43:1–4.

1950 Some Types of Family Structure Amongst the Central Bantu. Pages 207–251 in A. R. Radcliffe-Brown and Daryll Forde (editors), *African Systems of Kinship and Marriage.* Published for the International African Institute. Oxford Univ. Press.

(1954) 1973 RICHARDS, AUDREY I. (editor) *Economic Development and Tribal Change: A Study of Immigrant Labour in Buganda.* Rev. ed. Published for the East African Institute of Social Research. Nairobi: Oxford Univ. Press.

1956 *Chisungu: A Girl's Initiation Ceremony Among the Bemba of Northern Rhodesia.* London: Faber; New York: Grove.

1960 Social Mechanisms for the Transfer of Political Rights in Some African Tribes. *Journal of the Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland* 90, part 2:175–190.

1961 African Kings and Their Royal Relatives. *Journal of the Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland* 91, part 2:135–150.

1964 Traditional Values and Current Political Behaviour. Pages 294–335 in Lloyd A. Fallers (editor), *The King's Men: Leadership and Status in Buganda on the Eve of Independence.* Published for the East African Institute of Social Research. Nairobi: Oxford Univ. Press.

1966 *The Changing Structure of a Ganda Village: Kisozi, 1892–1952.* Published for the East African Institute. Nairobi: East African Publishing House.

1969 Keeping the King Divine. Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland, *Proceedings* 1968:23–35.

1971 The Conciliar System of the Bemba of Northern Zambia. Pages 100–129 in Audrey I. Richards and Adam Kuper (editors), *Councils in Action.* Cambridge Univ. Press.

1973 RICHARDS, AUDREY I.; STURROCK, FORD; and FORTT, JEAN M. (editors) *Subsistence to Commercial Farming in Present-day Buganda: An Economic and Anthropological Survey.* Cambridge Univ. Press.

1977 The Colonial Office and the Organization of Social Research. *Anthropological Forum* 4:168–189.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

BATESON, GREGORY (1936) 1958 *Naven: A Survey of the Problems Suggested by a Composite Picture of the Culture of a New Guinea Tribe Drawn From Three Points of View.* 2d ed. Stanford Univ. Press. → Includes an epilogue.

EVANS-PRITCHARD, E. E. (1940) 1963 *The Nuer: A Description of the Modes of Livelihood and Political Institutions of a Nilotic People.* Oxford: Clarendon. → A paperback edition was published in 1968 by Oxford Univ. Press.

FIRTH, RAYMOND 1973 *Symbols: Public and Private.* London: Allen & Unwin; Ithaca, N.Y.: Cornell Univ. Press. → A paperback edition was published in 1975 by Cornell University Press.

FIRTH, RAYMOND 1975 An Appraisal of Modern Social Anthropology. Volume 4, pages 1–26 in Bernard J. Siegel et al. (editors), *Annual Review of Anthropology.* Palo Alto, Calif.: Annual Reviews.

GLUCKMAN, MAX 1945 How the Bemba Make Their Living: An Appreciation of Richards' *Land, Labour and Diet in Northern Rhodesia.* Rhodes-Livingstone Institute, *Journal* 3:55–75. → Reprinted by Bobbs-Merrill in 1963.

GLUCKMAN, MAX 1947 Malinowski's "Functional" Analysis of Social Change. *Africa.* 17:103–121. → Quotes in the text are from the reprint on pages 207–234 in Max Gluckman, *Order and Rebellion in Tribal Africa,* published by Cohen & West in London in 1963.

LA FONTAINE, J. S. (editor) 1972 *The Interpretation of Ritual: Essays in Honour of A. I. Richards.* London: Tavistock. → A bibliography of the principal writings of Richards, prepared by P. H. Gulliver, is on pages 285–289.

LEACH, EDMUND R. 1961 *Rethinking Anthropology.* London School of Economics and Political Science, Monographs on Social Anthropology, No. 22. London: Athlone Press. → A paperback edition was published in 1968.

MALINOWSKI, BRONISLAW 1916 Baloma: The Spirits of the Dead in the Trobriand Islands. *Journal of the Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland* 46:353–430.

MALINOWSKI, BRONISLAW (1927) 1953 *Sex and Repression in Savage Society.* London: Routledge; New York: Harcourt. → A paperback edition was published by Meridian in 1955.

MALINOWSKI, BRONISLAW 1929 *The Sexual Life of Savages in North-western Melanesia: An Ethnographic Account of Courtship, Marriage, and Family Life Among the Natives of the Trobriand Islands, British New Guinea.* London: Routledge. → A paperback edition was published by Harcourt in 1962.

MALINOWSKI, BRONISLAW (1935) 1965 *Coral Gardens and Their Magic.* 2 vols. Bloomington: Indiana Univ. Press. → A paperback edition was published in 1978 by Dover.

SCHNEIDER, DAVID M.; and GOUGH, KATHLEEN (editors) 1961 *Matrilineal Kinship.* Berkeley: Univ. of California Press. → A paperback edition was published in 1974.

WERBNER, RICHARD P. 1969 Constitutional Ambiguities and the British Administration of Royal Careers Among the Bemba of Zambia. Pages 245–281 in Laura Nader (editor), *Law and Culture in Society.* Chicago: Aldine.

ستيوارد، چوليان إتش

STEWARD, Julian H.

چوليان هاينز ستيوارد (١٩٠٢ - ١٩٧٢) هو أحد المفكرين النظريين فى الأنثروبولوچيا الثقافية، وهو مؤسس منهج الإيكولوچيا الثقافية كما يعتبر إحدى الشخصيات البارزة فى مدخل التطورية الجديدة فى التغير الثقافى كما كان رائدا فى مجال دراسة المناطق الجغرافية الواسعة ودارسا مؤثرا للتحول الاجتماعى لدى السكان الريفيين. وفى محاولته الاحتفاظ بهذه الاهتمامات تميزت أعماله بالنظرة المنهجية التركيبية الشمولية العريضة من أجل الوصول إلى نظرية عامة للثقافة. وقد ظل المنهج والتوجه النظرى اللذين وضع أسسهما قائمين ومثمرين حتى الآن.

وقد بدأ انشغال ستيوارد بالأنثروبولوچيا حين ترك موطنه الأصلى فى ولاية واشنطن وهو فى السادسة عشرة من العمر لكى يلتحق بمدرسة خاصة فى وادى أوينز Owens Valley فى كاليفورنيا حيث التقى أولا بهنود البايوتى Paiute والشوشنوى Shoshnoi الذين أجرى بينهم بعض بحوثه فيما بعد. وبعد دراسته لمدة عامين فى جامعة كاليفورنيا فى بركلى اتجه إلى جامعة كورنل حيث حصل على درجته الجامعية الأولى فى علم الحيوان والچيولوچيا. وقد كان تركيزه على هذين التخصصين فى خلفية اتجاهه الوضعى الذى برز فى بحوثه التالية للطبيعة. وعاد إلى بركلى للدراسة العليا فى الأنثروبولوچيا تحت ألفرد إل. كروبر وروبرت إتش. لوى Lowie وكانا تلميذين لفرانز بواس ومن الشخصيات السامقة الشامخة فى أنثروبولوچيا النصف الأول من القرن العشرين. وقد حصل على الدكتوراه عام ١٩٢٩ ببحث مكتبى عن فكرة المهرج فى احتفاليات هنود أمريكا الشمالية.

كان قسم الأنثروبولوچيا فى بركلى فى العشرينيات صغير الحجم ولكن توجهاته كانت واسعة ولذا جاءت

بعض أعمال ستيوارد الأولى فى مجال الأركيولوچيا. وقد نقل ذلك الاهتمام إلى جامعة ميتشجان حين عمل فى الفترة من ١٩٢٨ إلى١٩٣٠على إدخال تدريس الأنثـروبولوچيـا هناك، وتابع نفس الجهود بكل جدية واهتمام أثناء إقامته التالية فى جامعة يوتا. وقد دشن بحثه الأركيولوجى فى شمال يوتا دراسات ما قبل التاريخ فى منطقة الحوض الكبير. لكن أهم أعماله كانت فى الجزء الجنوبى من تلك الولاية على الأطراف الشمالية لثقافات البويبلو Pueblo البائدة ، وقد استطاع باستخدام الأساليب والمعلومات الأركيولوچية والتاريخية والإثنوجرافية أن يتتبع تطورات البناء الاجتماعى لدى البويبلو من بداياته الأولى فى آفاق القنص والجمع حتى مرحلة النمو الكامل فى مجتمع البويبلو الكلاسيكى. وكان مدخله تطوريا لأنه كان يؤكد بزوغ النظم واحدا بعد الآخر فى ترتيب دقيق. ولكنه أدخل فى الوقت ذاته المنظور الوظيفى إلى الأركيولوچيا، وهنا بالذات يرد إليه الفضل فى أنه جعل من دراسة ما قبل التاريخ علما اجتماعيا.

وترك ستيوارد جامعة يوتا لكى يتولى التدريس فى بركلى عام ١٩٣٣ /١٩٣٤ وأمضى السنة التالية فى إجراء بحث إثنوجرافى بين الشوشنوى الغربيين فى نيفادا ويوتا، وأدت به هذه البحوث إلى وضع نظرية الإيكولوچيا الثقافية التى يمكن اعتبارها أهم إنجازاته فى العلوم الاجتماعية وحجر الأساس فى كل تفكيره التالى. ونظرية الإيكولوچيا الثقافية محاولة لتفسير الأنساق الاجتماعية فى ضوء التكيف مع الظروف والأوضاع البيئية والتكنولوچية. فهى تقرر ببساطة أنه حين يحصل شعب ما على نوع معين من التكنولوچيا للتغلب على أوضاع طبيعية معينة تظهر أنماط محددة بالذات من العمل كما يكون لتنظيم العمل بالتالى تأثير قاطع وحاسم ونهائى على أساليب التسلسل الاجتماعى الأخرى، وبهذه الطريقة يكون لظروف الحياة المادية علاقة سببية ببقية مظاهر الثقافة.

كانت نظرية الإيكولوچيا الثقافية نتاجا لتدريب ستيوارد نفسه وأحداث

الفترة التاريخية ودراسة الشوشنوى كما أن انشغاله بالبيئة كان امتدادا لاهتمامات كروبر بينما تركيزه كان على القرابة وعلى التنظيم الاجتماعى متمشيا تماما مع اتجاهات لوى ، إلا أن توكيده على المحددات الاقتصادية والتكنولوجية تجاوز اهتمامات أستاذيه بمراحل وعكس بشكل واضح المناخ الفكرى السائد فى فترة الكساد الكبير. وقد تأثر تركيزه البيئى بشكل كبير بطبيعة مجتمع الشوشنوى الذى كان يتميز طيلة الوقت ومنذ عصوره البدائية الأولى بوجود تكنولوچيا بسيطة وبيئة قاسية وإمكانات تساعده بالكاد على البقاء، ولذا فإن كتابه الكلاسيكى *Basin-Plateau Aboriginal Sociopolitical Groups* (1938) بين أن الموارد الشحيحة المتناثرة وكميات الطعام غير المستقرة والتكنولوچيا الفقيرة أنتجت تنظيما هشا للعمل وجماعات صغيرة تتغير عضويتها بصفة دائمة عند الشوشنوى، ونتج عن هذا كله قيام مجتمع لا توجد فيه أية وحدة تتمتع بأى قدر من الاستقرار سوى العائلة الزواجية التى تفتقر إلى أى شكل من أشكال المكانة السياسية ولا توجد فيها أية فئات متعاونة ومتماسكة اقتصاديا أكبر من تلك العائلة الصغيرة.وعلى ذلك فإذا كان الشوشنوى عانوا من الضغوط البيئية القاسية فإن ذلك لم يؤد إلى ظهور وضع من الحتمية البيئية البسيطة، فقد كان ستيوارد على وعى بأن وطأة الطبيعة على المجتمعات الأكثر تقدما لا تظهر بكل ذلك العنف والقوة.

فى عام ١٩٣٥ انتقل ستيوارد إلى واشنطن حيث أمضى السنوات الإحدى عشرة التالية فى البحث والإدارة مع مكتب الإثنولوچيا الأمريكى ومؤسسة سميثزونيان وهناك قام بتحرير وكتابة مقالات فى المجلدات السبعة التى تؤلف دليل هنود *أمريكا الجنوبية* *Handbook of South American Indians* (1946-1959). و قد مهد هذا العمل الطريق لإجراء بحوث إثنوجرافية تالية فى أمريكا الجنوبية. وقد تفرعت اهتماماته بعد ذلك من السكان الهنود فى القارة إلى ثقافات أمريكا اللاتينية الحديثة وأصبح عنصرا فاعلا فى تدشين وتطوير بحوث

المجتمعات المحلية والمناطق الجغرافية الواسعة. وكثير من العلماء الذين ينتقلون من بحث منطقة معينة إلى منطقة أخرى يعمدون إلى فصل كل موضوع على حدة بعيدا عن الموضوعات الأخرى ولكن ستيوارد كان يحاول دائما أن يمد ويوسع إطار بحثه ويركب الموضوعات والمشكلات الجديدة على النظريات القديمة. وقد أدى ذلك إلى إدماج دراساته عن مجتمع الأمة الحديثة مع بحوثه المبكرة فى كتاب *Area Research; Theory and Practice* (1950) الذى أثار دعوة ووضع تخطيطا للبحوث البيئية فى المناطق الواسعة كما كان دافعا قويا لتأسيس عدد من المؤسسات الإقليمية خلال العقدين التاليين.

وقد أدى ذلك الاهتمام الجديد بالمجتمعات المركبة إلى نظرية فى التطور الثقافى لها مصدران : الأول كان قد حدد خطوطه العريضة فى كتابه عن بحوث المناطق الجغرافية الواسعة الذى يذهب فيه إلى أن ظهور تسلسل التعقد الاجتماعى أو مستويات التكامل الاجتماعى الثقافى يرتبط بتطور المجتمع الإنسانى ولذا يتم التكامل عند الشوشنوى على المستوى العائلى، بينما العائلة فى المجتمعات المركبة تكون كامنة فى الجماعات المحلية التى تؤلف بدورها أجزاء فى مجتمع الدولة/الأمة . والمصدر الثانى لتطورية ستيوارد كان نظرية كارل إيه. فيتفوجل Karl A. Wittfogel والأدلة الأركيولوچية. فاعتمادا على النظرة القائلة بأن الزراعة القائمة على الرى تؤدى إلى نمو وتعقد التراتب الاجتماعى ومركزية الضبط الاجتماعى برهن ستيوارد على وجود علاقة سببية بين القحولة المناخية ونظام الرى من ناحية وقيام الدولة فى ست مناطق من العالمين الجديد والقديم من الناحية الأخرى وأن فكرة أن القحولة شجعت على تطور نظام الرى الذى تطلب بدوره قيام العمل الجماعى والسلطة المركزية القاهرة التى تتولى تشييد ذلك النظام والمحافظة عليه فكرة تتوافق تماما مع منهج الإيكولوچيا الثقافية. وأنها أدت على أية حال إلى ظهور نظرية تطورية تنطبق على مناطق محلية ومجتمعات ويمكن

للتغير الاجتماعي والتنمية أن يتخذا اتجاهات مختلفة عديدة تبعا للموقع والتاريخ، ولذا يشير ستيوارد إلى نظريته على أنها "تطور متعدد الجوانب"

فى عام ١٩٤٦ ترك ستيوارد خدمة الحكومة ليتولى منصب الأستاذية فى جامعة كولومبيا حيث ظل حتى عام ١٩٥٢ . وقد قام أثناء ذلك بالإشراف على عدد كبير من طلبة الدراسات العليا الذين قام بعضهم ببحوث للدكتوراه باعتبارهم أعضاء فى مشروع ستيوارد فى بورتوريكو. وقد قسم فريق ستيوارد الجزيرة إلى عدة أقسام تبعا لنوع النشاط الاقتصادى فى كل منها وتولى كل عضو فى الفريق إعداد دراسة عن المجتمع المحلى فى المنطقة المخصصة له، ونجم عن مجموع تلك الدراسات صورة مركبة للثقافة البورتوريكية فى أبعادها الإيكولوچية وعمقها التاريخى (Steward et. al. 1956). وقد واصل ستيوارد بعد ذلك دراسة المجتمع المركب كأستاذ بحوث فى جامعة إلينوى فى أوربانا حيث ظل يعمل حتى وفاته عام ١٩٧٢ . وكان قد أجرى فى أواخر الخمسينيات دراسة ضخمة عبر القارات عن تحديث المجتمعات الريفية التقليدية حيث تولى أحد عشر باحثا أنثروبولوچيا القيام بدراسات فى أربع قارات. وفى المقدمة التى كتبها للتقرير المؤلف من ثلاثة مجلدات عن تلك الدراسات الذى ظهر تحت عنوان : التغير المعاصر فى المجتمعات التقليدية *Contemporary Change in Traditional Societies* (1967) حدد العمليات التى تتكرر بانتظام والتى تجذب الفلاحين بشكل متزايد إلى الأسواق العالمية مما "يؤدى إلى اغترابهم عن أراضيهم وعن جيرانهم " وهو اتجاه يتزايد شيوعا منذ ذلك الحين.

وقد ظهرت بعض أهم أعمال ستيوارد الأنثروبولوچية والنظرية فى شكل مقالات علمية رفيعة المستوى وتم جمعها فى مجلدين هما : نظرية التغير الاجتماعى Theory of Cultural Change (1954) *والتطور والإيكولوچيا : مقالات عن التحول الاجتماعى* *Evolution and Ecology : Essays on Social Transformation* (1977). وكل هذه المقالات مع إنتاجه الذى ظهر فى شكل

كـتب كـانت مـوجـهـة نحـو الموضـوع الأســـاسى الدائم عن أن ثلاثيـــة التكنولوجيا والموطن والعمل تؤلف النواة الأولى التى تصاغ حولها المجتمعات ويتأثر بها تاريخها. فقد كان ستيوارد يرى الأنثروبولوچيا كعلم تقف على نفس المستوى مع العلوم الطبيعية وتشاركها دعـاوى وجـود صـور من النظام كـامنة تحـتـهـا وأننا نعـيش فى عـالم تحكمـه الحتمية ويفرض علينا هذه الحتمية، كما كـــان يرى فى المنهج المقـــارن عند الأنثروبولوچيين وفى نزعته التاريخية الأدوات التصورية والإدراكية لمعرفة الجانب الإنسانى فى هذا الكون.

المؤلف : Robert F. Murphy

المترجم : فاروق العادلى

Works by Steward

Supplementary Bibliography

WORKS BY STEWARD

1938 *Basin-Plateau Aboriginal Sociopolitical Groups.* U.S. Bureau of American Ethnology, Bulletin No. 120. Washington: Government Printing Office. → A paperback edition was published by the University of Utah Press in 1970.

(1946–1959) 1963 STEWARD, JULIAN H. (editor) *Handbook of South American Indians.* 7 vols. New York: Cooper Square.

1950 *Area Research: Theory and Practice.* Social Science Research Council, Bulletin No. 63. New York: The Council.

1955 *Theory of Culture Change: The Methodology of Multilinear Evolution.* Urbana: Univ. of Illinois Press. → A paperback edition was published in 1972.

1956 STEWARD, JULIAN H. et al. *The People of Puerto Rico: A Study in Social Anthropology.* Urbana: Univ. of Illinois Press.

1959 STEWARD, JULIAN H.; and FARON, LOUIS C. *Native Peoples of South America.* New York: McGraw-Hill.

1967 STEWARD, JULIAN H. (editor) *Contemporary Change in Traditional Societies.* 3 vols. Urbana: Univ. of Illinois Press.

1968 Ecology: II. Cultural Ecology. Volume 4, pages 337-344 in *International Encyclopedia of the Social Sciences.* Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.

1973 *Alfred Kroeber.* New York: Columbia Univ. Press.

1977 *Evolution and Ecology: Essays on Social Transformation.* Edited by Jane C. Steward and Robert F. Murphy. Urbana: Univ. of Illinois Press. → Includes an introduction by Robert F. Murphy.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

HARRIS, MARVIN 1968 *The Rise of Anthropological Theory: A History of Theories of Culture.* New York: Crowell.

MANNERS, ROBERT (editor) 1964 *Process and Pattern in Culture: Essays in Honor of Julian H. Steward.* Chicago: Aldine.

شابيرا : أيزاك

SCHAPERA , Isaac

أيزاك شابيرا واحد من مجموعة صغيرة من الأنثروبولچيين الاجتماعيين فى جنوب إفريقيا الذين خضعت أعمالهم للتأثير المباشر للظروف الفيزيقية والسياسية والاجتماعية السائدة فى تلك الدولة ، وكانت تطلعاته الفكرية متجهة نحو وصف وتفسير الحياة الاجتماعية والثقافية للجماعات التى يبدو أنه كان يألفها منذ طفولته أكثر مما كانت تنزع نحو مجالات التفكير البعيدة والغريبة.

وقد ولد شابيرا عام ١٩٠٥ فى جاريز Garies وهى موقع صغير ومنعزل فى ناماكلاند الصغرى إلى جنوب نهر الأورانج بالشمال الغربى لمدينة الكاپ، وكانت تلك منطقة جرداء قاحلة قليلة السكان الذين ينتمون - حسب التصنيف العنصرى السائد فى جنوب إفريقيا - إلى الجنس الأبيض وينتسبون فى الأغلب إلى البوير أحفاد المستوطنين الهولنديين الأوائل وإلى الملونين المنحدرين من تزاوج البوير وجماعات الناما (السكان الأصليون فى تلك المنطقة والذين يعرفون على العموم باسم الهوتنتوت Hottentot). وكانت بقايا جماعات البوشمن يعيشون فى المنطقة المجاورة لأرض بوشمنلاند الصغرى مع فلول الناما الأصليين فى محطات ومزارع الإرساليات الدينية فى حين لم يكن هناك أى سكان يتكلمون الإنجليزية أو أية جماعة من الجماعات الإفريقية الناطقة بلغة البانتو.

وقد انتقل والدا شابيرا من منطقة جاريز إلى مدينة الكاپ وهو فى السابعة من العمر ، وهناك أرسلوه إلى مدرسة متوسطة إنجليزية ولكنه ظل محافظا على لغة الأفريكان وعلاقاته مع أهالى جاريز. وأثناء إحدى العطلات عام ١٩٢٠ زارها جاريز وأقام علاقة صداقة مع الطبيب الجراح فى المنطقة وكان من هواة الفولكلور والأركيولوچيا ويملك مكتبة صغيرة من كتب الأنثروبولوچيا التى فتحت أمام شابيرا آفاقا جديدة وأثارت فيه روح الاهتمام بالإثنوجرافيا.

حين التحق شابيرا بجامعة كيبتاون كان ينوى دراسة القانون ، ولكن بعد أن حضر إحدى محاضرات رادكليف - براون الذى كان قد عاد مؤخرا من أستراليا وكان أول أستاذ للأنثروبولوجيا الاجتماعية فى جنوب إفريقيا ، تحول شابيرا إلى الأنثروبولوجيا وبدأ تلمذته المهنية فى ذلك المجال. وقد دفعه رادكليف - براون إلى كلاسيكيات الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع كما تركت دراساته المنهجية والعملية للبنائية الدوركايمية آثارا دائمة فى تفكير شابيرا.

وحين أنهى رسالته للماجستير عام ١٩٢٥ تم قبوله كطالب للدكتوراه فى مدرسة لندن للاقتصاد حيث كان برونيسلاف مالينوفسكى فى قمة حياته التدريسية كما كانت الوظيفية الخلاقة هى صيغته فى العمل. وقد حضر شابيرا حلقات البحث التى كان مالينوفسكى يعقدها وعمل مساعدا له فى بحوثه لبعض الوقت ولكن المشرف على رسالته كان سى.جى. سليجمان C. G. Seligman وهو أحد علماء المدرسة التقليدية فى الإثنوجرافيا وكانت له إنجازاته الهائلة فى إجراء المسوح فى سيلان وإفريقيا.

بعد حصوله على الدكتوراه من مدرسة لندن للاقتصاد عام ١٩٢٩ عاد شابيرا إلى جنوب إفريقيا حيث اشتغل بالتدريس وإجراء البحوث كما قام بإلقاء المحاضرات لمدة عام فى جامعة ويتووترسراند فى جوهانسبرج عيّن بعدها وهو فى الثلاثين من العمر فى المنصب الذى كان يشغله رادكليف - براون. وقد ظلت جامعة كيبتاون هى مقره الأساسى حتى عام ١٩٥٠ حين استدعى لشغل كرسى للأنثروبولوجيا بمدرسة لندن للاقتصاد. ولكنه كمعلم لم ينشئ أى مدرسة معينة ولكنه كان يعطى دائما تلاميذه تدريبا عريضا وعميقا فى النظرية البنائية الوظيفية مع التركيز على الوصف الإثنوجرافى. وقد تقاعد من التدريس عام ١٩٦٩ وظل يعيش فى إنجلترا عاكفا بشكل رئيسى على تحليل المعلومات التى جمعها فى إفريقيا.

ولم يكن من قبيل الصدفة أو الاختيار العشوائى أن تكون مقالاته

الأولى عن البوشمن (1925a, 1925b) وأن تكون رسالته للماجستير بعنوان " *وأى مبدئى فى العلاقة بين البوشمن الهتنتوت* "*Preliminary Consideration Of the Relationship of Bushmen and Hottentots*"، وأن يكون كتابه الأول القائم على رسالته للدكتوراه تحت عنوان الشعوب الخوسية The Khoisian Peoples (1930" ، وأن تحل المصطلحات التى أرساها فى الأدبيات ولأنثروبولوجية محل الكلمات التى تدمج الهتنتوت الذين يسمون أنفسهم " خوى"Khoi والبوشمن الذين يشير إليهم الخوى باسم سان San.

وكان عمله الميدانى الرئيسى فى بلاد البوشمن (بتسوانا حاليا) التى كانت تحت الحماية البريطانية حتى استقلت عام ١٩٦٦ وكان غالبية سكانها من التسوانا (وهم أفارقة يتكلمون لغة البانتو) ، بينما الأقلية كانت من "السان" والبيض. وبينما الأنثروبولوجيون يقيمون فى الميدان فترة طويلة واحدة قد تصل إلى عام أو عامين وقد يعود بعضهم أحاينا بعد فترة غياب طويلة لكى يرصد التغير فإنه - نظرا لسهولة الوصول إلى بتشوانالاند التى تحدها من الشرق الترنسفال ومن الجنوب مقاطعة الكاب ، ونظرا أيضا لاهتمامات شابيرا الخاصة والتزاماته الشخصية فإنه قام بعدد كبير من الزيارات الميدانية التى كان بعضها يستغرق عدة شهور والبعض للآخر بضعة أسابيع وذلك على مدى أكثر من عشرين سنة من ١٩٢٩ حتى ١٩٥٠ . وبهذه الطريقة كان فى استطاعته أن يرصد عملية التغير بكل تعقيداتها.

والواقع أن المعلومات المتوفرة لديه عن البتسونا لا يعلى عليها سواء من حيث الكم أو التفاصيل. فالمادة التى جمعها عن طريق الملاحظة الدقيقة كانت تحتوى على ثروة هائلة من النصوص (إذ كان يتقن اللغة ويسجل الكثير باللهجة العامية) وعدد كبير من دراسات الحالة التى جمعها واستخرجها من سجلات المحكمة والوثائق القديمة. وعلى العكس من الكثيرين من الباحثين الميدانيين كانت

مذكراته دقيقة إلى أبعد الحدود وكان يحفظها بطريقة يمكن معها للباحثين الآخرين الرجوع إليها والاستعانة بها كمراجع ، كما أن قائمة الأعمال التى يرجع هو إليها كانت طويلة وشاملة وكان كل مرجع منها يخضع للفحص الدقيق ويتم تسجيله بدقة وعناية ووضوح. وكانت إسهاماته الرئيسية فى مجال السياسة والقانون والقرابة التى كان يعالجها كلها كأنساق.

كان شابيرا يعنى بالتاريخ قدر عنايته بالأنثروبولوچيا الاجتماعية. فكتابه عن الشعوب الخوسية يقوم على البحث المكتبى. ومع أن المادة التى قدمها وعرضها فى فصول تحمل عناوين إثنوجرافية تقليدية فإن طريقة عرضها تشير بوضوح إلى وجود منظور تاريخى فى الوقت الذى كان هناك اتجاه قوى بين الأنثروبولوچيين البريطانيين البنائيين الوظيفيين إلى التفكير والكتابة فى نطاق "الحاضر الإثنوجرافى". وكان شابيرا واحدا من الأنثروبولوچيين الأوائل فى جنوب إفريقيا الذين قاموا بجمع ونشر مادة التاريخ الشفاهى مع الاهتمام بتنقيح المذكرات والرسائل التى تركها المبشرون المبكرون (1951; 1959; 1960; 1974) ولكنه لم يكن يعنى كثيرا بالجدل المتواصل حول إذا ما كانت الأنثروبولوچيا الاجتماعية (فنا) مثل التاريخ أو (علما) مثل الرياضيات بقدر ما كان يعنى باستخدام الاتجاهين فى إثراء المعرفة وفهم العادات والعلاقات الاجتماعية المتغيرة ، وهو مدخل حرص على تطويره فى محاضرته الافتتاحية حين انتخب رئيسا لمعهد الأنثروبولوچيا الملكى Royal Anthropological Institute وكانت بعنوان"هل ينبغى أن يكون الأنثروبولوچيون مؤرخين ؟"Should An-thropologists Be Historians?.

كانت نظرة شابيرا وبخاصة فى فترة ماقبل الحرب العالمية الثانية مشوبة بالحساسية إزاء المشكلات العنصرية فى جنوب إفريقيا وبالافتراض السائد عن أن فى إمكان الأنثروبولوچيين أن يكونوا طرفا مؤثرا فى حل تلك المشكلات. وكانت جامعة كيبتاون وكذلك مدرسة لندن للاقتصاد تكرسان ضمن

مناهجهما مقررات لرجال الإدارة الذين لهم علاقة عملية بتلك المشكلات. وفى محاضرة له أمام " رابطة جنوب إفريقيا لتقدم العلم" South African Associa-tion of the Advancement of Science" عام ١٩٣٩ وصف الأنثروبولوچيا بأنها " أداة للارتقاء برفاهية الجنس البشرى "(1939.p.89) وأوصى باستخدام الأنثروبولوچيين المحترفين وتدريب غيرهم فى مجال "الأنثروبولوچيا التطبيقية" Applied Anthropology.

وفى بتشوانالاند عمل عن قرب مع السلطات البريطانية ومع زعماء التسوانا كما احتك بالجماهير العادية مما أسفر عن ظهور ثلاثة كتب هى : *دليل القانون والعرف لدى التسوانا* *A Handbook of Tswana Law and Custom* (عام ١٩٣٨) وكتاب *حيازة الأرض الوطنية فى محمية بتشوانالاند* *Native Land Tenure in Bechuana-land Protectorate* (عام ١٩٤٣) وكتاب *هجرة الأيدى العاملة والحياة القبلية* *Migrant Labour and Tribal Life* (عام ١٩٤٧) وفيها جميعا لقى تعاونا كاملا من الجميع رغم أنها كانت تعالج السياسات التى كانت موضوعا للخلاف. ومع أنه كان يؤمن أن رأى الأنثروبولوچى فى السياسة العامة مسألة شخصية وليس مشكلة مهنية فإنه كان يشعر كباحث أنثروبولوچى أن له كل الحق فى أن يناقش الأساليب والوسائل (1939, p.9). فقد كان يفترض أن "الحقائق" يمكن أن تكون "موضوعية" وأن المعرفة هى أول شىء مهم وأساسى لحل كل الصعوبات. وكانت المعلومات التى يوفرها وبخاصة فى دراساته عن الهجرة وحيازة الأرض تكشف تأثير القرارات الحكومية التى كثيرا ما يتم التغاضى عنها ولا يسمح بالاطلاع عليها أو مناقشتها.

وقد كان شابيرا أول أنثروبولوچى بريطانى يقوم بتوثيق وجهة النظر التى اقترحها فى الأصل رادكليف - براون عن أنه لكى نفهم عملية التغير الاجتماعى فلا بد من القيام بتحليل شامل ليس للعناصر أو الملامح فقط ولكن للتفاعل بين الأشخاص كأعضاء فى جماعة داخل البناء الكلى (١٩٢٨) فالحاكم الإقليمى والزعيم القبلى والمبشر

والساحر والمطبب والمتنبئ يتفاعلون معا في نسق اجتماعي واحد تحت مظلة نظام ضبط سياسي لا يستبعد الصراع والاختلافات الثقافية. وقد تم قبول هذا المدخل على نطاق واسع وخلال سنوات طويلة وعمل الكثيرون على تطويره نظريا رغم أنه كان ضد تفسير عملية التثاقف التي كانت سائدة في أمريكا والتي تتعارض مع نموذج التغير الثقافي المناوئ للتاريخ الذي كان مالينوفسكي يتبناه.

و"نظريات" شابيرا تكمن عادة في المادة التي يعرضها. فهو كباحث إمبيريقي يتوخى الموضوعية ويؤمن بالعقلانية كان يتجنب التجريدات والتخمين. وتتبلور إسهاماته في تطوير الأنثروبولوچيا كتخصص في أسلوبه الذي يتميز بالتركيز على الحقائق المتعلقة بموضوعات معينة بالذات داخل سياق أنساق الحياة الاجتماعية المختلفة. ففي مجال السياسة مثلا (وهو اهتمام أساسي ومستمر) كان يحلل التوترات البنائية داخل التركيب السياسي لأحد شعوب جنوب إفريقيا (١٩٣٨) وتأثير علاقات القرابة على الخلافات العائلية (1947a, 1949b) والظروف التاريخية المحيطة بالزعماء القبليين (١٩٦٥)، كما أنه في أحد أكثر أعماله أصالة يهتم بتحليل تطور التشريع الجديد الذي أدخل منذ ١٧٩٠ بواسطة الزعماء القبليين التقليديين الذين كانوا يتعاملون من خلال قيمهم الثقافية ومصالحهم الخاصة مع الأيديولوچيات الخارجية والضغوط التكنولوچية (١٩٧٠). وفي مجال القرابة كان تركيزه يشمل شجرات النسب ومصطلحات القرابة kinship nomenclature ونماذج الزواج واستراتيجياته. ويظهر تأثير اتجاهه العقلاني بأوضح ما يكون في كتاباته عن الدين التي تنظر إلى الشعائر على أنها أفعال وممارسات وتتجنب التأمل في معنى وقيمة الرموز (1955a; 1955b; 1958).

وقد دفعته دقته الأكاديمية إلى التشكك في التعميمات والارتياب في المقارنات التي تجرى على نطاق واسع حول موضوع التقاطع الثقافي (1953a, p.353). فبالنسبة له ، وكذلك بالنسبة لرادكليف براون ، فإن المقارنة

الصحيحة تبدأ فى مجتمع محلى محدد وتقوم على أساس عدد محدود من المتغيرات حول موضوعات أساسية قليلة. فالمسح الشامل للنماذج (مثل المسح الذى أجراه على شعوب جنوب إفريقيا وتسوانا) هو بالضرورة مسح مبدئى ، ولكى يتم اختيار أمثلة من أى مكان فى العالم فإن ذلك يؤدى إلى التشويه. وأكثر دراساته المقارنة جرأة وخطورة تتمثل فى كتابه الحكومة والسياسة فى المجتمعات القبلية Gov- ernment and Politics in Tribal Socie- ties الذى استعان فيه بالمعلومات المستمدة من "الخوى" و:السان" ومن الشعوب الناطقة بلغة البانتو فى جنوب إفريقيا لاختبار طبيعة الحكومة فى ضوء التفسيرات التى قام بها الآخرون. ومن المفارقات أنه بينما شابيرا كان يتشكك فى جدوى المقارنات فى دراسات التقاطع الثقافى تمثلت القيمة الحقيقية لكل عمله تظهر فى اعتماد العلماء المتزايد على معلوماته وبياناته فى أغراض المقارنة.

المؤلف: Hilda Kuper

المترجم : أحمد أبوزيد

(*) توفيت أودرى ريتشاردز عام ١٩٨٤ – المترجم

WORKS BY Richards

Supplementary Bibliography

1925a Bushmen Arrow Poisons. *Bantu Studies* 2:199–214.

1925b Some Stylistic Affinities of Bushmen Art. *South African Journal of Science* 22:504–515.

1928 Economic Changes in South African Native Life. *Africa* 1:170–188.

1930 *The Khoisan Peoples of South Africa: Bushmen and Hottentots*. London: Routledge & Kegan Paul; New York: Humanities Press.

1933 SCHAPERA, ISAAC (editor) *The Early Cape Hottentots Described in the Writings of Olfert Dapper (1668), Willem ten Rhyne (1686) and Johannes Gulielmus de Grevenbroek (1695)*. Cape Town: Van Riebeck Society.

(1934) 1967 SCHAPERA, ISAAC (editor) *Western Civilization and the Natives of South Africa: Studies in Culture Contact*. London: Routledge & Kegan Paul.

(1937) 1956 SCHAPERA, ISAAC (editor) *The Bantu Speaking Tribes of South Africa: An Ethnographical Survey*. London: Routledge.

(1938) 1970 *A Handbook of Tswana Law and Custom*. 2d ed. London: Cass.

1939 Anthropology and the Native Problem. *South African Journal of Science* 36:89–103.

(1940) 1966 *Married Life in an African Tribe*. London: Faber; Evanston, Ill.: Northwestern Univ. Press.

1943 *Native Land Tenure in the Bechuanaland Protectorate*. Lovedale (South Africa): Lovedale Press.

1947a *Migrant Labor and Tribal Life: A Study of Conditions in the Bechuanaland Protectorate*. Oxford Univ. Press.

1947b SCHAPERA, ISAAC (editor) *The Political Annals of a Tswana Tribe: Minutes of Ngwaketse Public Assemblies 1910–1917*. Cape Town: School of African Studies.

1949a *Some Problems of Anthropological Research in Kenya Colony*. London: Oxford Univ. Press.

(1949b) 1963 The Tswana Conception of Incest. Pages 104–120 in Meyer Fortes (editor), *Social Structure: Studies Presented to A. R. Radcliffe-Brown*. New York: Russell.

1951 SCHAPERA, ISAAC (editor) *Apprenticeship at Kuruman—Being the Journals and Letters of Robert and Mary Moffat (1820–1828)*. London: Chatto & Windus.

1952 *The Ethnic Composition of the Tswana Tribes*.

London School of Economics and Political Science, Monographs in Social Anthropology, No. 11.

1953*a* Some Comments on the Comparative Method in Social Anthropology. *American Anthropologist* 55:353–362.

(1953*b*) 1968 *The Tswana.* London: International African Institute.

1955*a* The Sin of Cain. *Journal of the Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland* 85:33–43.

1955*b* Witchcraft Beyond Reasonable Doubt. *Man* 55:72 only.

(1956) 1967 *Government and Politics in Tribal Societies.* London: Watts; New York: Schocken.

1957*a* Marriage of Near Kin Among the Tswana. *Africa* 27:139–159.

1957*b* The Sources of Law in Tswana Tribal Courts: Legislation and Precedent. *Journal of African Law* 1:150–162.

1958 Christianity and the Tswana. *Journal of the Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland* 88:1–9.

1959 LIVINGSTONE, DAVID *Family Letters, 1841–1856.* Edited with an introduction by Isaac Schapera. 2 vols. London: Chatto & Windus.

1960 LIVINGSTONE, DAVID *Private Journals, 1851–1853.* Edited with an introduction by Isaac Schapera. London: Chatto & Windus; Berkeley: Univ. of California Press.

1961 LIVINGSTONE, DAVID *Missionary Correspondence, 1841–1856.* Edited with an introduction by Isaac Schapera. London: Chatto & Windus; Berkeley: Univ. of California Press.

1962 Should Anthropologists Be Historians? *Journal of the Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland* 92:143–156.

1963 LIVINGSTONE, DAVID *African Journal, 1853–1856.* Edited with an introduction by Isaac Schapera. 2 vols. London: Chatto & Windus.

1965 *Praise Poems of Tswana Chiefs.* Oxford: Clarendon.

1970 *Tribal Innovators: Tswana Chiefs and Social Change, 1795–1940.* London: Athlone Press; New York: Humanities Press.

1974 LIVINGSTONE, DAVID *South African Papers (1849–1853).* Edited by Isaac Schapera. Cape Town: Van Riebeck Society.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

FORTES, MEYER; and PATTERSON, SHEILA (editors) 1975 *Studies in African Social Anthropology.* London: Academic Press. → Essays presented to Isaac Schapera.

فورتس، ماير

FORTES, Meyer

اشتهر مايير فورتس – الذى شغل كرسى ويليام وايز للأنثروبولوچيا الاجتماعية بجامعة كيمبريدج فى الفترة من١٩٥٠ –١٩٧٣ بأعماله فى مجال القرابة والدين فى المجتمعات غير الصناعية، كما أنه كتب عن الجوانب الأنثروبولوچية فى التحليل النفسى، وقد قام بمعظم أبحاثه الميدانية بين شعوب التالنزى والأشانتى فى غانا وشكلت المعلومات الإثنوجرافية التى توصل إليها من تلك البحوث نقطة الانطلاق فى كل مناقشاته، إلا أن تفكيره النظرى لا يمتد وراء مجالات هذه البحوث ليشمل كل أشكال المجتمعات وقد ولد فورتس عام ١٩٠٦ فى جنوب إفريقيا لأبوين من اليهود المهاجرين. وقد تعرض لتنوع ثقافى هائل. فأثناء دراسته الجامعية الأولى فى كيبتاون أبدى اهتماما بمسألة تعليم المراهقين الملونين فى تلك المنطقة وأدى به ذلك الاهتمام إلى اختيار موضوع رسالة الدكتوراه فى مجال علم النفس فى كلية لندن الجامعية وكانت عن اختبارات الذكاء عبر الثقافات المختلفة كما قام ببحوث عن العلاقة بين انحراف المراهقين فى شرق لندن وروابط الأخوّة وكان ذلك تحت إشراف عالم التحليل النفسى إمانويل ميللر Emanuel Miller (1933)

وقد وجه برونيسلاف مالينوفسكى الدعوة لفورتس للانضمام إلى سمينار الأنثروبولوجيا بكلية لندن للاقتصاد باعتباره متخصصا فى علم النفس وفى هذا الاعتبار أيضا رتب له سى. جى.سليجمان C.G. Seligman القيام ببحث ميدانى فى إفريقيا. وإحدى كتاباته الإثنوجرافية المبكرة كانت فى مجال علم النفس التنموى والتعليمى (١٩٣٩)، إلا أن انبهاره بإڤانز – بريتشارد وريموند فيرث وغيرهما من أعضاء السمينار دفعاه إلى أن يوسع دائرة اهتماماته المهنية إلى النظم الاجتماعية والثقافية. وقد ساعد على تعميق ارتباطه بالأنثروبولوچيا صداقته مع أيزاك شابيرا ثم لقاؤه عام ١٩٣٩ مع

رادكليف – براون. وقد أصبح هو الشارح والمفسر الأساسى لرادكليف – براون بعد وفاته عام ١٩٥٥ .

وقد ظهر اهتمامه بالروابط بين العلاقات السياسية والعائلية لأول مرة فى كتابيه عن التالنزى وهما The Dynamics of Clanship (1945) و The Web of Kinship (1949). وقداستمر ذلك الاهتمام الذى أثار كثيرا من الجدل فى مقالاته العديدة التى جمعها فى كتابه الذى اعتمد فيه على محاضرات لويس هنرى مورجان وهو كتاب Kinship and the Social Order القرابة والترتيب الاجتماعى (١٩٦٩). ومع أن إحدى مقالاته الأولى كانت عن الشعائر عند التالنزى (١٩٣٦) فإنه لم ينشر كتابه *أوديب وأيوب فى غرب إفريقيا* *Oedipus and Job in West Africa* إلا عام ١٩٥٩ وفيه عرض معتقدات وممارسات الأفارقة فى سياق إقليمى ومقارن أكثر اتساعا كما أن تحليلاته المتنوعة للنظم الاجتماعية والمعايير الثقافية والمعتقدات الدينية كانت تقوم كلها على مبادئ سيكولوچية فى أساسها. وفى كتاباته المتأخرة بدأ يركز بشكل أوفى ومباشر على العمليات السيكولوچية. وكانت دراساته المبكرة عن روابط الأخوّة فى شرق لندن وتجربته الشخصية كالابن الأول لوالديه، وارتباطه طيلة حياته بنظرية وممارسات التحليل النفسى واضح فى كتاباته عن "الطفل الأول" (١٩٧٤) و"العرف والضمير من منظور أنثروبولوجى" (١٩٧٧).

وقد ذكر فورتس أنه يفضل بطبيعته الابتعاد عن الدخول فى أى مناقشات حول المنهج (١٩٦١صفحة ٢١١) وقد كشف ذلك التفضيل عن نفسه فى استخدامه أسلوبا متميزا لعرض المعلومات بدلا من الالتجاء لأى نظرية أنثروبولوجية أو تأليف نظرية خاصة به. ولذا تعددت إنجازاته كإثنوجرافى وصفى إذ أسهم إسهاما ضخما فى تحديد معالم خريطة إثنوجرافية لغرب إفريقيا. ومع أن التصنيفات التى استخدمها فى الوصف كانت مستمدة إلى حد كبير من الثقافات نفسها إلا أنها كانت إلى حد كبير من وضعه هو نفسه كما أن تحليله

كان جديدا ومبتكرا أكثر منه تحليلا تقليديا مألوفا وكان يعرض رؤاه وآراءه كما لو كانت وصلت إليه عن طريق الاستنباط من المعلومات الميدانية، ولذا لم يكن يصوغها فى أية صيغة مجردة، ومن ثم فإن مكانته النظرية تتحدد بحدود كل عمل من أعماله على حدة. والواقع أن فورتس كان يؤكد دائما على التفاعل المستمر بين الملاحظة والتحليل وبين العمل الميدانى والنظرية باعتبارها تؤلف أساسا هامة لتحديد المكانة العلمية للأنثروبولوچيا الاجتماعية.

وتنتمى دراسات فورتس لنظم القرابة والنظم السياسية إلى التقليد البنائى الوظيفى المميز للأنثروبولوچيا الاجتماعية فى بريطانيا. ففى المجتمعين اللذين درسهما دراسة تفصيلية، وهما مجتمع التالنزى ومجتمع الأشانتى، توجد أنساق سياسية يعرضها الأهالى أنفسهم فى لغة ومصطلحات القرابة مما دفعه إلى تكريس جانب كبير من وقته لدراسة أوجه الشبه والاختلاف بين ما يسميه "مجال الجماعة المنزلية" و"المجال السياسى القانونى". فمجال القرابة الذى يمتد فى هذين المجتمعين إلى ما وراء حدود الأسرة أو العائلة المنزلية يتميز بوجود قاعدة للمودة والتفاهم والإيثار على الذات، وكانت هذه القاعدة تعمل بأقصى قواها الأخلاقية فى العلاقات الأسرية. أما فى المجال السياسى القانونى فإن التركيز يكون أوضح على الحقوق والواجبات. وهذا التعارض يصدق حتى على المجتمعات التى يقوم فيها النظام السياسى الأكثر اتساعا على القرابة كما هو الشأن عند سكان أستراليا الأصليين.

والتصور الأساسى الذى يقوم عليه هذان المجالان هو التقابل التكاملى complementary opposition الذى يظهر بوضوح فى التقابل بين علاقات القرابة الأبوية والأمومية أو فى نظام البنوة التكاملى الذى عن طريقه تتفاضل سلسلة النسب الأبوى داخليا فى حين تتوحد خارجيا عن طريق الروابط الأمومة. أما على المستوى المنزلى فإن التكامل ينشأ من خلال الأدوار المختلفة التى يقوم بها الرجال والنساء

التى يحددها المجتمع أو المتفق عليها اجتماعيا . كذلك ميز فورتس بين علاقات الأصل أو النسب وهو مفهوم قانونى يستطيع الشخص بواسطته أن يرد نسبه إلى الآخرين عن طريق أنواع معينة من الروابط الجنيالوچية وروابط البنوة أو عن طريق ارتباط الشخص عائليا بأحد الوالدين نتيجة ولادته فى ظروف معينة مقبولة من المجتمع. فالمجالان المتعارضان فى السياسة بمعاييرها وقواعدها القانونية تعمل كلها معا من أجل التوصل إلى نوع من التوازن كما أنها تتوحد وترتبط فى كثير من المجتمعات غير الصناعية من خلال بناء چنيالوچى انقسامى. وهذا التحليل الذى يقدمه فورتس ليس تحليلا استاتيكيا أو تحليلا تتابعيا خالصا لأنه كان يعطى قدرا قليلا نسبيا من الاهتمام للاتجاهات طويلة المدى، ولكنه كان رائدا فى تحليل ما أصبح يعرف باسم الدورة التنموية للجماعة المنزلية. فالأشكال العديدة لعضوية السكن الواحد التى توجد فى أى مجتمع وفى أى زمان يمكن تصنيفها على أنها مراحل مختلفة فى دورة تكرارية من التكوين فالامتداد فالتشتت، أما البنوة التى تربط الأفراد فى تلك الدورة فإنها تقوم بتصنيفهم أيضاإلى أجيال متقابلة.

وكان فورتس يصر على أنه ليست له سوى تطلعات نظرية متواضعة للغاية وأنه يحاول فقط البحث عن ميكانيزمات يمكن رصدها عن طريق الملاحظة ويكون لها دور أساسى فى البناء الاجتماعى. (١٩٦٩ صفحة ٧٣). ومع ذلك فكثيرا ما كان يكتب كما لو كان لديه نظرية عامة. وقد انتقده رودنى نيدهام Rodney Needham ليس لأنه حاول إنشاء نظرية كبرى دون أن يكون مؤهلا لذلك ولكن لأنه كان يعطى الانطباع بأنه حاول ذلك بالفعل مع أن كل ما قدمه فى الحقيقة كان مجرد بعض التعميمات المبهمة والعادية جدا (نيدهام ١٩٧١). كذلك اتهمه لوى ديمون Louis Dumont بأنه كان يحاول إبراز الجماعات القرابية واعتبارها أسبق منطقيا على علاقات القرابة بين الأفراد الذين يؤلفون تلك الجماعات (١٩٧١) كما حاول إدموند ليتش – دون أن ينجح تماما فى ذلك – أن يدخل فورتس

فى زمـرة البنائين الآخرين الذين كـانوا يركزون بشكل مبالغ على النظم الصورية ويغفلون أهمية القرارات التى تصدر عن الأفراد المؤثرين اجتماعيا. (١٩٦١).

وقد كان لفورتس تأثير مباشر فى تطور الأنثروبولوجيا الاجتماعية من خلال تلاميذه فى كيمبريدج وغير مباشر عن طريق كتاباته. وقد أرست المقدمة التى كتبها مع إڤانز- بريتشارد لكتاب African Political Systems 1940) قواعد التصنيفات التحليلية التى استخدمها الأنثروبولوچيون الاجتماعيون البريطانيون خلال العقدين التاليين كما اعتمد عدد كبير من الباحثين فى مختلف فروع العلم الاجتماعى على النموذج التكرارى الذى وضعه عن تطور الجماعة المنزلية . كذلك اتبع الباحثون توكيده للملامح الأساسية المميزة للمجالات المتساندة Interdepen-dent العديدة فى كثير من تحليلاتهم للمجتمعات غير الصناعية، كما ساعد استخدامه للميكانيزمات التفسيرية المستمدة من التحليل النفسى والبحث عن الشواهد الإكلينيكية للمرض الكثيرين من الباحثين الشبان فى الأنثروبولوچيا الاجتماعية على تجاوز الحدود الاجتماعية الضيقة للمعلومات فى التحليل. وقد ظهرت عدة ترجمات لدراسته عن أوديبوس وأيوب وكان لها هى وكتاباته الأخرى تأثير قوى فى دراسة الدين وبخاصة فى موضوع عبادة الأسلاف.

المؤلف : J.A. Barnes

المترجم : أحمد أبوزيد

(*) توفى ماير فورتس يوم ٢٧ يناير ١٩٨٣ – المترجم

Works by Fortes

Supplementary Bibliography

1933 The Influence of Position in Sibship on Juvenile Delinquency. *Economica* 13:301–328.

1936 Ritual Festivals and Social Cohesion in the Hinterland of the Gold Coast. *American Anthropologist* 38:590–604.

1938 Social and Psychological Aspects of Education in Taleland. *Africa* 11, no. 4 (Supplement):1–64. → Reprinted in Fortes 1970.

(1940) 1958 FORTES, MEYER; and EVANS-PRITCHARD, E. E. (editors) *African Political Systems.* Oxford Univ. Press.

1945 *The Dynamics of Clanship Among the Tallensi.* Oxford Univ. Press.

(1949) 1967 *The Web of Kinship Among the Tallensi.* Oxford Univ. Press.

1958 Introduction. Pages 1–14 in Jack Goody (editor), *The Developmental Cycle in Domestic Groups.* Cambridge Papers in Social Anthropology, No. 1. Cambridge Univ. Press.

1959 *Oedipus and Job in West African Religion.* Cambridge Univ. Press.

1961 Comment. *Current Anthropology* 2:211–212. → Comment on S. N. Eisenstadt, "Anthropological Studies of Complex Societies" on pages 201–210 of the same issue of *Current Anthropology.*

1968 SELIGMAN, C. G. Volume 14, pages 159–162 in *International Encyclopedia of the Social Sciences.* Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.

1969 *Kinship and the Social Order: The Legacy of Lewis Henry Morgan.* Chicago: Aldine.

1970 *Time and Social Structure and Other Essays.* London: Athlone Press.

1973 On the Concept of the Person Among the Tallensi. Pages 283–319 in Germaine Dieterlen (editor), *Colloque international sur la notion de per-*

sonne en Afrique. Paris: Centre national de la recherche scientifique. → Symposium held in 1971.

1974 The First Born. *Journal of Child Psychology and Psychiatry and Allied Disciplines* 15:81–104.

1977 Custom and Conscience in Anthropological Perspective. *International Review of Psycho-analysis* 4:127–154.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

BARNES, J. A. 1971 *Three Styles in the Study of Kinship.* Berkeley: Univ. of California Press.

DUMONT, LOUIS 1971 *Introduction à deux théories d'anthropologie sociale: Groupes de filiation et alliance de mariage.* Paris: Mouton. → A paperback edition was published in 1976.

LEACH, EDMUND R. (1961) 1968 *Rethinking Anthropology.* New York: Humanities Press.

LOMBARD, JACQUES 1972 *L'anthropologie britannique contemporaine.* Paris: Presses Universitaires de France.

NEEDHAM, RODNEY (editor) 1971 *Rethinking Kinship and Marriage.* London: Tavistock. → See especially the introduction.

فورد، داريل

Daryll Forde

ترك فورد، الذى توفى عام ١٩٧٣، أثرا عميقا فى الأنثروبولوچيا الاجتماعية فى إنجلترا. فخلال كل فترة امتدادها قاوم الميول نحو التقوقع والانحصار الضيق وذلك بفضل نظرته الواسعة العريضة العالمية للموضوع، وساعده جزئيا فى النجاح فى ذلك علاقاته القوية بالأنثروبولوچيا الأمريكية. وكان يحاول طيلة الوقت مساندة الروابط المبدئية بين الأنثروبولوچيا الفيزيقية والأركيولوچيا والدراسات الثقافية والاجتماعية للجنس البشرى والمحافظة على تقاليد إجراء البحوث على نطاق واسع والإحاطة بالدراسات الجديدة فى كثير من المجالات المتصلة بالأنثروبولوچيا. ولقد زوده تدريبه المبكر فى الجغرافيا بالميل إلى التحليل الإيكولوجى الذى أصبح هو العلامة المميزة لتفكيره وجعل منه رائدا فى مجال بدأت أهميته تظهر الآن فقط بوضوح.

وقد ولد داريل فورد عام ١٩٠٢ فى إنجلترا وكانت درجته الجامعية الأولى فى الجغرافيا من كلية لندن الجامعية حيث كتب أيضا فيما بعد رسالته للدكتوراه عن أركيولوچيا ما قبل التاريخ. وفى الفترة من ١٩٢٣ إلى ١٩٢٨ شغل وظيفة محاضر فى الجغرافيا. وفى عام ١٩٢٨ حصل على الدكتوراه وعمل خلال العامين التاليين زميلا مبعوثا من الكومنولث لجامعة كاليفورنيا. وفى عام ١٩٣٠ شغل كرسى جريجينوج Gregynog للجغرافيا والأنثروبولوچيا بجامعة ويلز وكان بذلك أصغر من شغل كرسيا للأستاذية فى المملكة المتحدة. وقد ظهرت اهماماته النظرية الخاصة وارتباطاته بالدراسات الأمريكية بجلاء فى كتاباته المبكرة التى أكدت على التوازن بين الجغرافيا البشرية والأركيولوچيا . فكتابه الأول كان عن Ancient Mariners (1927) تلاه عدد من المقالات عن أحجار المغليث Megalith الضخمة وعن صياغة المعادن فى عصور ماقبل التاريخ وعدد من التقارير عن الحفائر فى إنجلترا واسكتلندا وويلز وبريتانى.

فى الحياة المهنية لأى أنثروبولوجى تعتبر الرحلات الميدانية - أو الحقلية - هى العلامة الفارقة. وقد عمل فورد فى أريزونا ونيومكسيكو فى الفترة بين ١٩٢٨ و١٩٢٩ ثم عاد إلى نيومكسيكو فى أواخر ١٩٢٩. وفى عام ١٩٣٤ نشر كتابه عن *Habitat, Economy and Society* وهو دراسة فى الجغرافيا البشرية المقارنة. وقد أصبح الكتاب أحد الكلاسيكيات فى التو، ويظهر من العنوان أن الكتاب يولى أهمية خاصة للتفاعل بين التكنولوچيا والبيئة. ولو كان فورد قرر فى ذلك الحين البقاء فى أمريكا لكان من المحتمل أن يمتد عمله لكى يجمع بين المنظورات الأثرية (الأركيولوچية) والمعاصرة فى البحوث الميدانية الأمريكية. وعلى أية حال فإن رحلته إلى جنوب شرق نيجيريا فى عام ١٩٣٥ وضعت حدا فاصلا لذلك، إذ إنه بدأ حينذاك دراسته الميدانية المركزة لجماعات ياكو Yako عند نهر كروس ثم تبعها برحلة أخرى عام ١٩٣٩ وأثمرت المعلومات الغزيرة التى جمعها عددا من المطبوعات والدراسات عن ياكو، كما صرفه ذلك البحث عن التركيز على المدخل الأركيولوجى ورحب هو نفسه بالتأثير القوى لإفريقيا الحديثة. ورغم أنه كان يهتم طيلة الوقت بالقضايا النظرية الأساسية فإنه كان يستغل أى فرصة يمكن أن يتيحها له برنامج البحث فى إفريقيا لتوسيع نطاق عمله الأكاديمى. وفى هذا الوقت بالذات قضت الحرب العالمية الثانية بتأجيل البحوث الأنثروبولوچية الميدانية، إلا أن الفرصة ظهرت مرة أخرى بمجرد أن لاحت فى الأفق بشائر انتهاء الحرب.

فى عام ١٩٤٤ عين فورد مديرا إداريا للمعهد الإفريقى الدولى International African Institute، وفى السنة التالية عاد إلى كلية لندن الجامعية ليشغل كرسى الأنثروبولوچيا الذى أنشئ حديثا هناك. وقد أدى شغله للمنصب الأول إلى أكبر برنامج شامل لنشر وتنظيم البحث أنجزه أى باحث أنثروبولوجى على الإطلاق بينما المنصب الثانى أدى إلى انشغاله بالتدريس والتفكير مما ساعده على تحقيق مكانته الفكرية الخاصة.

وينبغى هنا أن نسجل بعض الانطباعات عن أسلوبه الخاص.

فالسخرية الماكرة والاستخفاف بكل ماهو تقليدى والاستمتاع غير المحدود بالحياة قد تكون أمورا غير مستغربة من أستاذ (بروفسور) فى مقتبل العمر ونابه ويعمل فى جامعة إقليمية. والعادة أن هذه الخصال تتعدل بمرور الزمن وتتحول إلى السمة الجادة المتوقعة من رؤساء المعاهد الدولية المحترمة. أما بالنسبة لداريل فورد فقد ارتبطت هذه الخصال المميزة للشباب بالرؤية الثاقبة و الذهنية المتقدة والاهتمام الإنسانى الدافئ. وجانب ضئيل من جاذبيته الشخصية كان ينعكس فى كتاباته إذ كان أسلوبه دائما أسلوبا دقيقا ومحايدا. وقد أصبح أكثر اهتماما بالإلمام بكل جوانب أى موضوع يعالجه دون أن يترك وراءه أى ثغرة فى مناقشته لذلك الموضوع ودون أن يقدم أى تنازل للقارئ دون المستوى.

وقد ظهرت كتاباته عن جماعات ياكو فى مقالات متخصصة بدأها بمقال عن " الأرض والعمل فى منطقة نهر كروس Land and Labour on the Cross River"(1936). وشيئا فشيئا خلال الثلاثين عاما التالية استطاع أن يغطى موضوعات عديدة تدور حول القرابة والنسب والزواج والسياسة المحلية والدين، وذلك فى عدد من المقالات التى أعيد نشرها فى مجلد واحد بعنوان Yakq Studies عام ١٩٦٤ . وفى هذه الأثناء كان قد نشر أو أشرف على تحرير أعمال عدد كبير من الأنثروبولوجيين الآخرين حيث إن أعماله هو كانت تأتى فى مرتبة تالية. ومع ذلك فإن بحوثه الميدانية تمثل إسهاما متميزا. فلقد وصف النسق المعقد عن "الوراثة المزدوجة فى خط النسب الأحادى"double unilineal in-heritance، وهو النسق الذى وجدت تنويعات طريفة له فى مناطق أخرى من غرب إفريقيا، كما وصف نظام الحكومة الأوليجاركية الذى تتقاطع فيه أشكال مختلفة من الانتماءات الدينية والقرابية. وقد كان هذا العمل أسبق على التحليلات العديدة لأنساق النسب الإفريقية والتأثيرات السياسية المتقاطعة التى ظهرت خلال العقدين التاليين للحرب. كذلك تظهر تلك الملامح المميزة لدراساته الشاملة عن غرب إفريقيا فى

بحوثه حول جماعات ياكو وتتمثل تلك الملامح فى دقة التقدير ومراقبة التكيفات الداخلية والإيمان القوى بأن التحليل الأنثروبولوجى لا يمكن أن يتم فى فراغ بل يجب أن يتضمن تأثيرات الضغوط البيئية أو السياسة الخارجية.

وإحدى أهم هذه الدراسات التى تثير الإعجاب والمترامية المدى كانت محاضرته أمام أكاديمية نيويورك للعلوم فى مارس ١٩٥٣ وكانت عن " الخريطة الثقافية لغرب إفريقيا The Cultural Map of West Africa" وهى مثال رائع لنظرته الواسعة الشاملة كما أنها قمة فى براعة عرض التفاصيل مع التحكم فى عرض القضية والبرهنة على صدقها.

ومن الطريف أن كتاباته المتأخرة عن غرب إفريقيا تكشف عن بعض المرونة والبساطة فى أسلوبه اللاشخصانى المتشدد. فقد دبت الحيوية فى جماعات ياكو وظهرت كجماعات تنافسية وفرديين يبحثون عن الثروة وذلك فى محاضرته التى ألقاها عام ١٩٦٠ عن "الموت وتعاقب الأجيال "Death and Succession" (1962). وبينما دراسته الأولى كانت عن الشعائر عند قبائل ياكو (١٩٦١) تركز على الجوانب والمظاهر التكاملية فى تلك الشعائر كانت مجموعة محاضراته عن (a1958)" سياق الاعتقاد " The Con- text of Belief وكذلك محاضرته عن" الأرواح والسحرة والمشعوذين فى الاقتصاد الغيبى عند الياكو Spir- Witches and Sorcerers un the‹its Supernatural Economy of the Yako (b1958)" تهتم بإبراز عناصر الاختيار والتقديرات الفردية التى كان فورد يشعر بأن الدراسات المعاصرة للدين قد أغفلتها، كما أنه أكد وركز فى مقدمة كتابه عن *West African Kingdoms in the Nineteenth Century (Forde and Kaberry 1967)* على مجال المهارات والريادة الملتزمة وعلى حوافز تجميع الثروات. ويمكن أن نعتبر عمله على أنه نوع من التطابق مع الوظيفية البنائية التى كانت سائدة على أيامه. وقد سبق العديدين من معاصريه فى كثير من الموضوعات كما كان يأخذ عليهم انحيازهم ويرى أنه كلما زاد ابتعادهم

عن الواقع الملموس من أجل الوصول لبعض النماذج المجردة الأنيقة زادت شكوكه فى افتراضاتهم الأساسية وارتيابه فى سلامة قاعدة البيانات لديهم.

وكان فورد يلخص كل عشر سنوات موقفه فى بيان يعكس ويحدد مبادئه. ففى عام ١٩٤٧ كانت محاضرته عن "المدخل الأنثروبولوجى فى العلوم الاجتماعية The Anthropological Approach in the Social Sciences" التى ألقاها بمناسبة اختياره رئيسا لرابطة تقدم العلم. وفى عام ١٩٥٧ جاء عرضه الممتاز فى الإنسيكلوبيديا البريطانية الذى قدم فيه بأستاذية واقتدار ملخصا وافيا لكل تاريخ الأنثروبولوچيا. وفى عام ١٩٦٧ كانت محاضرته عن " الأنثروبولوچيا وتطور الدراسات الإفريقية Anthropology and the Development of African Studies" لكى تكرر فى السياق الإفريقى المتخصص انشغاله بمشكلة ضرورة احتفاظ الأنثروبولوچيا بمنظورها الواسع واستمرار اهتمامها بالتطور البيولوجى والتاريخى والتركيز على عمليات التكيف. وقد استشهد فى ذلك الصدد - وبعد أخذ الموافقة - بدراسات چون بارنز عن قبائل نجونى وميكائيل جى. سميث عن الحوصة - فولانى ودراسات يان فانسينا عن قبائل الكوبا وأعمال جى. آى. جونز حول مجتمعات أنهار أويا وبحوث إيجور دو جارين بين جماعات ماسا. وهذه المجموعة الرائعة والمثيرة من العلماء الشبان المتخصصين فى الدراسات الإفريقية - ومع كل منهم قائمة طويلة من تلاميذهم - تكشف عن مدى ازدهار ذلك المجال كما تدل على قوة تأثير داريل فورد نفسه. والواقع أنه لم يكن أى باحث يفكر فى الذهاب لأول مرة إلى إفريقيا دون أن يتوجه أولا إلى لندن لتقديم احترامه لفورد ويستمع لنصائحه وقد استمر ذلك لسنوات عديدة. وبقدوم الخمسينيات كانت أنثروبولوچيا إفريقيا قد نما حجمها بدرجة كبيرة وجاء هذا النمو على شكل شبكة مترابطة بشكل غير عادى من الاتصالات المتسقة بقدر ما يرجع ازدهارها لقيادة فورد كمدير للمعهد الإفريقى الدولى.

حين عين فورد مديرا للمعهد الإفريقى الدولى عام ١٩٤١ وخلف إدوين سميث Edwin Smith فى رئاسة تحرير مجلة *Africa* الفصلية كان المعهد قد تراجع كما توقفت المجلة عن الصدور بسبب الحرب. ولذا كانت مهمته الشاقة هى أن يبنى هيئة من الزمالة الدولية من العلماء المتخصصين فى الدراسات الإفريقية والمتمرسين فى المهارات اللغوية والإثنوجرافية. وقد عمل فرانز أولبرشتس Frans Olbrechts من بروكسل وفينيجى إل. جروتانللى Vinigi L. Grottanelli من روما وجرمين ديترلن Germaine Dieterlen من فرنسا مع عدد آخر من العلماء البرتغاليين والإسبان والألمان مع ماكس جلكمان كأعضاء فى مجلس المعهد بروح الصداقة ووحدة الهدف مما أدى إلى كثير من الإنجازات. وكانت Africa تنشر المقالات والبحوث بالإنجليزية والفرنسية وارتفع توزيعها إلى ألفين وثلاثمائة نسخة عام ١٩٧٠. وفى الوقت نفسه نشطت بعض آليات الدراسات الإفريقية الأخرى فظهرت دورية خلاصات إفريقية African Abstracts لمتابعة المعلومات الجديدة لدرجة أن المجلد الذى صدر عام ١٩٦٩ اشتمل على أكثر من ألف خلاصة، وحينئذ توقفت السلسلة عن الصدور نظرا لتضخم العملية بشكل تجاوز حدود الأهداف التى كان يرمى إليها المعهد. وخلال تلك الفترة أيضا نشرت سلسلة *المسح الإثنوجرافى الإفريقى* *Ethnographic Survey of Africa* اثنين وثمانين مجلدا وثمانية أدلة لغوية وعشرين دراسة عن اللغات الإفريقية. ولكى يتغلب المعهد على كل التحديدات الاستعمارية المفروضة على الاهتمامات الأكاديمية عمل على تطوير البحوث الدولية وبذلك تم المسح اللغوى لقبائل شمال البانتو بالتعاون بين علماء لغويين من بريطانيا وفرنسا وبلجيكا كما قام عدد من الأنثروبولوچيين من هذه الدول أيضا بإجراء مسح للزواج فى إفريقيا كما أدى التعاون البريطانى الفرنسى إلى قيام مشروع بحثى بين الفولانى. وبازدهار وتقدم الدراسات الإفريقية على مستوى العالم وجد المعهد الإفريقى الدولى أن ثمة مهام جديدة يستطيع أن يقوم بها. وإحدى هذه

المهام كانت تقديم العون للجامعات الإفريقية الجديدة من خلال العمل على توطيد العلاقات بن الباحثين والمشتغلين بالتدريس على مستوى القارة. وقد استطاع المعهد طيلة عشر سنوات ابتداء من عام ١٩٥٩ أن ينظم بمساندة مؤسسة فورد عددا من الندوات وأن ينشر مجموعة هامة من الكتب حول بعض القضايا ذات الاهتمام الإفريقى المشترك.

والأرقام والتواريخ المجردة تكشف عن الطاقة التى بذلها داريل فورد فى عمله. وقد ترتب على ذلك أن احتلت أنثروبولوجيا إفريقيا مكانا مرموقا إذ تضافرت الأنثروبولوجيا البريطانية والعالمية من خلال المجلدات والمبادرات النظرية الرفيعة فى تغذية وتقوية المهارات والجهود العلمية الرائدة.

المؤلف : Mary Douglas

المترجم : أحمد أبوزيد

(*) هذا وقد توفى داريل فورد فى ٣ مايو عام ١٩٧٣ وكان محتفظا بعمله مديرا للمعهد الإفريقى الدولى

(**) ولدت مارى دوجلاس ٢٧ فى مارس ١٩٢١ وتوفيت فى ١٦ مايو ٢٠٠٧ - المترجم

Works by Daryll Ford

Supplementary Bibliography

WORKS BY FORDE

(1927) 1928 *Ancient Mariners: The Story of Ships and Sea Routes.* New York: Morrow.

(1934) 1967 *Habitat, Economy and Society: A Geographical Introduction to Ethnology.* 12th ed. London: Methuen.

1936 Land and Labour on the Cross River: The Economic Organization of a Yakö Village, Nigeria. *Man* 36:97 only.

(1941) 1951 *Marriage and the Family Among the Yakö in South-eastern Nigeria.* Published for the International African Institute. London: Lund, Humphries.

1946 FORDE, DARYLL; and SCOTT, RICHENDA *The Native Economies of Nigeria.* London: Faber.

1947 The Anthropological Approach in the Social Sciences. *Advancement of Science* 4:213–224. → Forde's presidential address to the Association for the Advancement of Science.

1950 *The Ibo- and Ibibio-speaking Peoples of South-eastern Nigeria.* Published for the International African Institute. Oxford Univ. Press.

1951 Integrative Aspects of Yakö First Fruits Rituals. *Journal of the Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland* 79:1–10. → Forde's 1949 presidential address to the Royal Anthropological Institute.

1953 The Cultural Map of West Africa: Successive Adaptations to Tropical Forests and Grasslands. New York Academy of Sciences, *Transactions* Series 2 15:206–219.

1958*a* *The Context of Belief: A Consideration of Fetishism Among the Yakö.* Liverpool Univ. Press. → Frazer lecture, 1958.

1958*b* Spirits, Witches and Sorcerers in the Supernatural Economy of the Yakö. *Journal of the Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland* 88, part 2:165–178.

(1962) 1966 Death and Succession: An Analysis of Yakö Mortuary Ceremonial. Pages 89–123 in Max Gluckman (editor), *Essays on the Ritual of Social Relations.* Manchester Univ. Press. → Simon lecture, Manchester University, 1960.

1964 *Yakö Studies.* Oxford Univ. Press.

1967 Anthropology and the Development of African Studies, *Africa* 37:389–406. → The tenth Lugard memorial lecture.

1967 FORDE, DARYLL; and KABERRY, PHYLLIS M. (editors) *West African Kingdoms in the Nineteenth Century.* Published for the International African Institute. Oxford Univ. Press.

فيرث ، رايموند .

Raymond،FIRTH

ولد رايموند ويليام فيرث عام ١٩٠١ بالقرب من أوكلاند فى نيوزيلندا وتلقى تعليمه فى مدرسة أوكلاند الحكومية ثم فى كلية أوكلاند الجامعية. وقد انتقل للإقامة الدائمة فى إنجلترا منذ عام ١٩٣٢ ولكنه ظل محافظا على علاقاته بأقاربه فى نيوزيلندا. ويرجع تواضع أسلوبه فى الحياة وعقلانيته الجادة إلى بساطة خلفيته تحت الحكم الاستعمارى.

فى كلية أوكلاند الجامعية تخصص فيرث فى الاقتصاد وكان أول ما نشره هو دراسة قصيرة عن اقتصاديات صناعة صمغ الكاورى (١٩٢٤). وقد سافر فى العام نفسه إلى إنجلترا للدراسة للحصول على درجة عليا فى الاقتصاد من مدرسة لندن للاقتصاد وكان البحث الميدانى الذى خطط للقيام به عن صناعة اللحوم المجمدة فى نيوزيلندا. وفى ذلك الوقت كان قد تم تعيين برونيسلاف مالينوفسكى أستاذا مساعدا بجامعة لندن مع ارتباطه بمدرسة الاقتصاد. وكات دراسات مالينوفسكى العديدة عن نظام الكولا Kula فى التبادل الذى كان سائدا حينذاك فى منطقة غرب غينيا الجديدة قد تم نشرها ما بين ١٩٢٠ و١٩٢٢ وأثارت كثيرا من الاهتمام بين علماء التاريخ الاقتصادى وبخاصة آر.إتش. تونى R.H. Tawney الذى كان فى ذلك الحين عضوا مؤثرا فى الهيئة الأكاديمية بمدرسة لندن للاقتصاد. وربما كان لذلك المزيج المكون من اتساع نظرة تونى لمجال الاقتصاد وجاذبية شخصية مالينوفسكى واهتمام فيرث المتأصل بإثنوجرافيا وأركيولوجيا جماعات الماورى فى نيوزيلندا هو الذى جعل فيرث يغير موضوع رسالته للدكتوراه إلى *الاقتصاد البدائى لدى الماورى فى نيوزيلندا* *The Primitive Economics of the New Zealand Maoris*. وقد أتم الرسالة عام ١٩٢٧ وظهرت فى شكل كتاب عام ١٩٢٩.

وتعتمد الرسالة التى أشرف عليها مالينوفسكى على المادة المكتبية وليس

على البحث الميدانى بمعنى أن الحقائق والوقائع الخاصة بالماؤرى كانت مستمدة من الوثائق المنشورة حول المجتمع "التقليدى" وليس من البحوث المباشرة بين الماؤرى المحدثين. ويمكن أن نتعرف على تأثير مالينوفسكى فى قراءات فيرث العامة فى الأنثروبولوچيا من قائمة المراجع المدرجة فى القسم العام الذى لا يتعلق بالماؤرى بشكل مباشر ، إذ إن ثلاثة أرباع تلك المراجع كان باللغة الألمانية ولعلماء يؤثرهم مالينوفسكى نفسه على غيرهم. وتعكس القائمة المزيدة لتلك المراجع التى ظهرت فى الطبعة المنقحة للكتاب عام ١٩٥٩ ليس فقط التوسع الذى حدث فى مجال الأنثروبولوچيا الاقتصادية كاستجابة مباشرة لجهود فيرث الخاصة ولكن مدى اتساع ورحابة رؤية فيرث الأنثروبولوچية بعد تحرره من تأثير مالينوفسكى الذى كان يقيد حركته وانطلاقه.

فى الفترة بين ١٩٢٥ و١٩٣٥ كان السمينار الشهير الذى كان مالينوفسكى يعقده أسبوعيا لطلبة الدراسات العليا قد أصبح قوة مغناطيسية جاذبة للباحثين الشبان من مختلف التخصصات وكان الأنثروبولوچيون المبتدئون الذين يشاركون فى ذلك السمينار بشكل منتظم أو بطريقة عرضية يضمون إى.إى. إڤانز بريتشارد ورايموند ويليام فيرث وأيزاك شابيرا ومايير فورتس ورييو إف. فورشن وإيان هوجبن وجريجورى بيتسون. ومنذ البداية كان فيرث أقرب الجميع إلى مالينوفسكى كما أن إنجازاته التالية تعكس بوضوح فائق الأهداف التى كان مالينوفسكى يريد توصيلها لتلاميذه. والكتاب التذكارى الذى أشرف فيرث على تحريره هو تعبير قوى ودائم عن عرفانه لأستاذه ومعلمه (١٩٥٧).

بعد حصوله على الدكتوراه عاد فيرث إلى نيوزيلندا حيث أعد الرسالة للنشر مع وضع الخطة لما تبين فيما بعد أنها إحدى أهم الرحلات الأنثروبولوچية الميدانية التى تمت فى ذلك المجال ، ونعنى بذلك زيارته عام ١٩٢٨ إلى جزيرة تيكوبيا Tikopia الصغيرة التى تقع جغرافيا ضمن مجموعة جزر

سولومون مع أن سكانها الذين لم يكن عددهم حينئذ يتجاوز ألفا وثلاثمائة نسمة ينتمون عرقيا وثقافيا إلى بولينيزيا. وقد قام فيرث بعد ذلك بعدة زيارات قصيرة فى عامى ١٩٥٢ و١٩٦٦.

والأعمال الثلاثة الأولى التى أصدرها فيرث عن تيكوبيا كانت عبارة عن تقرير مبدئى عام ومقال عن "الطوطمية فى بولينيزيا Totemism in Polynesia" ظهرت فى العدد الأول من مجلة Oceania 1930-1931 ثم أعيد نشرها فى كتاب عام ١٩٦٧ فى (الفصلين الأول والثانى) وكذلك مقال بعنوان "الزواج ونسق العلاقة التصنيفية Marriage and the Classificatory System of Relationship" الذى ظهر فى *مجلة المعهد الملكى للأنثروبولوجيا Journal Of The Royal Anthropological Institute,1930* (أعيد نشرها فى كتاب صدر عام ١٩٦٤ – الفصل الرابع). أما الكتاب الأول المهم وكان بعنوان We,The Tikopia الذى صدر عام ١٩٣٦ فكان يدور حول تنظيم القرابة. ومنذ ذلك الحين أصبحت تيكوبيا موضوعا لخمسة كتب صدرت فى السنوات ١٩٣٩ و١٩٤٠ و١٩٤٩ و١٩٦١ ثم ١٩٧٠ ثم مجموعة مقالات ١٩٦٧ وعدد كبير من الكتابات التى لم يتم جمعها فى شكل كتاب.

ومع أن هذه الأعمال تعتبر إنجازا رائعا للغاية فإن دراساته عن تيكوبيا لم يكن لها التأثير القوى الذى يتفق مع حجمها فى تطور الفكر الأنثروبولوجى. فأسلوب فيرث فى الكتابة كان أحيانا بليغا ولكنه نادرا ماكان مشوقا كما أن الفقرات المكتظة بالمعلومات لم تكن تعطى القارئ المبتدئ أية تنازلات فضلا عن أنه نادرا ما كان يستعين بالأشكال التوضيحية لتقريب قضاياه وأفكاره. والواقع أنه كان يرفض من حيث المبدأ إقامة أى نماذج أو اللجوء إلى أى نوع من التلخيص. وقد ظلت نظرته العامة إلى طبيعة الثقافة قريبة جدا من نظرة مالينوفسكى ولكن بينما مالينوفسكى كان يهتم ويركز على تعقد النسق ككل مما يوحى باتساق المقتضيات الوظيفية بشكل مطرد كان فيرث يؤكد عدم الاطراد. فقد بين أن الشخص فى تيكوبيا يواجه شبكة معقدة من الأساليب والطرق البديلة

للتعبير الثقافى وأنه يتخذ قراراته فى إطار هذه الاختيارات وأن هذه العملية فى اتخاذ القرارات يمكن وضعها فى مصفوفة وكان يدعى أنه قادر على التحليل فى كل كتاباته بالاعتماد على فكرة (ثيمة) التنظيم الاجتماعى. ولكن الواقع أن من يقرأ فيرث يتعين عليه أن يجاهد لكى يفهم مايقول.

حين عاد فيرث من الميدان انضم إلى هيئة التدريس بقسم الأنثروبولوجيا بجامعة سيدنى تحت رئاسة رادكليف - براون. وقد عمل فيرث كمنسق تحريرى للمجلة الجديدة - *أوشيانيا* التى صدرت عن ذلك القسم ، كما قام بأعمال رئيس القسم عام ١٩٣١/١٩٣٢.

وقد عاد فيرث فى نفس السنة إلى لندن ليشغل أحد المناصب تحت رئاسة مالينوفسكى فى مدرسة لندن للاقتصاد ثم أصبح مدرسا فى لندن فى الفترة من ١٩٣٥ إلى ١٩٤٤ . وكان مالينوفسكى قد توفى فى الولايات المتحدة عام ١٩٤٢ فشغل فيرث منصب الأستاذية مكانه عام ١٩٤٤.

فى الفترة السابقة على الحرب مباشرة كان فيرث عضوا نشيطا بشكل غير معهود فى المعهد الملكى للأنثروبولوجيا حيث كان يشغل منصب السكرتير الشرفى للمعهد عام ١٩٣٦ ثم عام١٩٣٩ ثم أصبح رئيسا له من ١٩٥٣ - ١٩٥٥ ولعب دورا بارزا فى كل شئون المعهد منذ ذلك الحين.

فى عام ١٩٣٨ أنهى فيرث كتابه عن اقتصاد *بولينيزيا البدائى* ***Primitive Polynesian Economy*** (1939) الذى خصصه تماما لتيكوبيا . ويصف فيرث الكتاب بأنه "ملحق تكميلى بشكل ما لكتابى عن الاقتصاديات البدائية لدى الماؤرى فى نيوزيلندا **Primitive Economics of the New Zealand Maor"i** (1939)، كما أن مشروعه التالى كان مخططا له أن يكون ملحقا آخر للكتاب. والفكرة وراء ذلك هى أن يدرس بالتفصيل اقتصاديات مجتمع لايزال فى مرحلة بدائية نسبيا من زاوية التنظيم التكنولوجى ولكن أدركه فى الوقت نفسه النظام النقدى الدولى والتجارة العالمية بشكل لم يكن موجودا فى مجتمعى الماؤرى وتيكوبيا "التقليديين"

فى أواخر عام ١٩٣٩ قام فيرث وزوجته روزمارى أبكوت، ابنة سير جيلبرت أبكوت، ببحث ميدانى فى أحد مجتمعات الصيد فى ترنجانو Trengganu على الساحل الشمالى الغربى من شبه جزيرة الملايو، وقد صادف البحث بعض المعوقات نتيجة لاندلاع الحرب العالمية الثانية ولكنه تمخض عن عمل رئيسى كتبه فيرث وهو كتاب : صيادو الملايو واقتصادهم البسيط *Malay Fishermen, Their Peasant Economy (1946)* بالإضافة إلى مجلد آخر عن *House-keeping Among Malay Peasants (1943)* كتبته زوجته. وقد عاود فيرث زياراته القصيرة للملايو فى عامى ١٩٤٧ و١٩٦٣ كما أضاف الكثير جدا إلى الطبعة الجديدة لكتابه التى ظهرت عام ١٩٦٦.

ولقد انتقلت كلية لندن للاقتصاد أثناء الحرب إلى كيمبريدج حيث عين أيضا فى أحد المراكز الفرعية لإدارة مخابرات الأسطول فى البحرية البريطانية التى كان يديرها عالم الجغرافيا إتش.سى. داربى H. C. Darby والتى كانت مسئولة عن إعداد سلسلة من الكتيبات الإرشادية لتكون فى متناول هيئة التخطيط لعمليات الأسطول فى مختلف أنحاء العالم. وكان فيرث هو المكلف بجمع المعلومات وتحرير أربعة مجلدات فى هذه السلسلة وهى المتعلقة بجزر المحيط الهادى. وقد صدرت هذه الكتيبات لتكون فى الأصل وثائق داخلية للبحرية خلال الفترة من ١٩٤٣ إلى ١٩٤٥ ثم أصبحت ميسورة بشكل أعم بعد عشر سنوات. وكثير من المعلومات التى تضمها هذه المجلدات يصعب العثور عليها فى أى مصدر آخر (Great Britain,1943-1945).

وباستمرار العمليات الحربية بدأ القلق يساور السلطات البريطانية حول الآثار التى قد تخلفها الحرب على الإمبراطورية البريطانية الاستعمارية المرفوضة من الجميع. وبينما عدد قليل من المفكرين كانوا يتنبئون بالتدهور السريع للاستعمار بعد الحرب كان هناك رأى أوسع انتشارا بأن التغيرات الواسعة سوف تظل معلقة ، ولكن كان من الواضح أنه فى كثير من المستعمرات

كـان التخـطيط المدروس عن المستقبل لا يدعو للارتياح بسبب ندرة المعلومات الاجتماعية والاقتصادية الأساسية. وقد استطاع فـيـرث من خـلال عـمله فى كتيبات البحرية أن يدرك خطورة هذه الفجوة فأثار الاهتمام بهذا الوضع فى الأوســاط الحكومـيــة وأدى ذلك إلى تكوين"مـجلس بحوث العلم الاجتماعى للمستعمرات" Colonial Social Science Research Council عـام ١٩٤٤ وكـان فيـرث أول سكرتيـر لذلك المجلس. وبعد انتهاء الحرب مباشرة تم إجراء عدد كبير من البحوث الأنثروبولوچية المتميزة حقـا تحت رعاية وزارة المستعمرات البريطانية وبتوصية من المجلس الذى غـيـر اسـمـه إلى "مـجلس بحـوث العلم الاجتـمـاعى" وبتمـويل من الحكومة ، وكـان فـيـرث أيضـا أحـد الأعـضـاء المؤسسين. وقد استمر هو الجهاز الأساسى المول للبحوث الميدانية التى قام بها علماء الأنثروبولوچيا الاجتماعية البريطانيون.

فى أواخر عام ١٩٤٥عادت مدرسة لندن للاقـتـصـاد إلى مـقـرها فى لندن وتولى فيرث المسئولية الكاملة عن إدارة القسم الذى ارتبط باسم مـالينوفسكى وشـغل ذلك الكرسى حتى تقاعده عـام ١٩٦٨. وخلال معظم تلك الفترة كان موجها ومشرفا على مشروع بحثى طموح وطويل المدى باستخدام مناهج الأنثروبولوچيا الاجتماعية وكان عن فعاليات القرابة فى الأوساط الحضرية فى لندن ، ولكن الإصدارات التى ظهرت عن هذا المشروع كانت مخيبة للآمال (1956Firth,Hubert and Farge,1961).

وقد عمل فيرث أستاذا زائرا فى عدد من الجامعات فى الولايات المتحدة وكندا ونيوزيلندا كما كان قد عمل فى مرحلة سابقة من حياته المهنية أستاذا زائرا فى جامعة أستراليا الوطنية فى مدينة كانبيرا حيث لعب دورا هاما فى المناقشات التى أدت إلى إنشاء كرسى الأنثروبولوچيا وعلم الاجتماع بمدرسة البحوث فى الدراسات الباسيفيكية. وابتداء من عام ١٩٦٥حصل فيرث على مجموعة متميزة من الدرجات الشرفية كما أصبح زميلا بالأكاديمية البريطانية ثم حصل على لقب فارس عام ١٩٧٣.

في بريطانيا بعد الحرب كان عدد طلاب البحوث للحصول على درجة علمية فى الأنثروبولوچيا الاجتماعية يزداد بسرعة ، ولم يمض وقت طويل حتى اندلعت المنافسة العنيفة بين المركزين الرئيسيين وهما قسم الأنثروبولوچيا بمدرسة لندن للاقتصاد برئاسة فيرث وهو القسم الذى يعتبر القلعة المدافعة عن تعاليم مالينوفسكى المحافظة بعد تعديلات قليلة وبين معهد الأنثروبولوچيا الاجتماعية بجامعة أكسفورد الذى تولى إدارته فى أول الأمر رادكليف - براون الذى يعتبر المنافس الأبدى لمالينوفسكى ثم جاء من بعده إڤانز- بريتشارد. وفى تاريخ لاحق واجه تفوق مدرسة لندن التحدى بظهور قسم جديد قوى فى جامعة مانشستر تحت قيادة ماكس جلكمان كما واجه نجاح ماير فورتس فى إحياء اسم القسم الذى أنشئ منذ زمن طويل ولكن صادفته كثير من المتاعب فى جامعة كيمبريدج، كما ظهرت أعداد كبيرة من المعاهد الأقل أهمية بحيث إنه فى أوائل الستينيات أصبحت الأنثروبولوچيا الاجتماعية التى كانت وقفا على مدرسة لندن للاقتصاد حتى الثلاثينيات تدرس فى مالايقال عن ثمانى عشرة جامعة مختلفة فى الجزر البريطانية.

على الجانب الفكرى كانت استجابة فيرث سلبية بالنسبة للأساليب الجديدة التى اتبعها إڤانز بريتشارد وفورتس وجلكمان وتلاميذهم فى العرض الأنثروبولوچى فى كتاباتهم ولكنه اعترف بشكل أكثر صراحة من بعض زملائه الأقدم منه بأنه رغم اختلاف وجهات نظرهم نحو فكرة دوركايم عن التساند الوظيفى بين النظم الاجتماعية فإن المجموعات المختلفة التى بدأت تظهر فى الميدان كان بينهم كثير من الجوانب المشتركة، كما أنه كان يرى بوضوح أنه فى الظروف الجديدة التى نجمت عن الحرب العالمية أن التمويل الضئيل الذى كانت تقدمه الصناديق الخاصة التى كانت تتولى تمويل معظم البحوث الأنثروبولوچية البريطانية كانت غير كافية بالمرة ولذا كان يدرك أنه إذا أراد الأنثروبولوچيون الاجتماعيون أن ينالوا شيئا من المصادر الأكثر غنى وثراء التى كانت فى حوزة مراكز البحوث

الحكومية فإن عليهم أن يكون لهم كيان واضح ومتماسك ومتعاون. ولم يكن ذلك ليغيب عن أذهان منافسيه فى أكسفورد ولذا فإنه فى عام ١٩٤٦ اجتمع فى مدرسة لندن للاقتصاد كل أساتذة الأنثروبولوچيا الاجتماعية الذين لم يكن عددهم يتجاوز على أية حال العشرين أستاذا لتكوين " رابطة الأنثروبولوجيين الاجتماعيين فى الكومنولث" وانتخب رادكليف - براون أول رئيس لها. وفى عام ١٩٦٢ اتخذ فيرث - الذى كان حينئذ رئيسا للرابطة - المبادرة التى أدت إلى عقد المؤتمر الدولى الأول للأنثروبولوچيين الاجتماعيين فى كيمبريدچ عام ١٩٦٣، وترتب على ذلك المؤتمر ظهور سلسلة متميزة من المطبوعات التى تشتمل على الندوات والتى عرفت باسم دراسات رابطة الأنثروبولوجيين الاجتماعيين والتى عرفت فيما بعد باسم سلسلة أعمال رابطة الأنثروبولوجيين الاجتماعيين ثم مقالات رابطة الأنثروبولوجيين الاجتماعيين. وهذه المجموعة أو السلسلة كانت تحدد من خلال تنوعها وتجانسها مواصفات ماهية وطبيعة ودور الأنثروبولوچيا الاجتماعية البريطانية. ولذا كان من الطبيعى أن ينتخب فيرث رئيسا للرابطة مدى الحياة.

كل هذا قد يعطى الانطباع بأن الأهمية التاريخية الأساسية لفيرث بالنسبة لتاريخ العلوم الاجتماعية تنحصر فى قدرته على اقتراح المشروعات والتنظيم التى حولت الأنثروبولوچيا من مجرد اسم خاص بأسلوب مراوغ من الممارسة الأنثروبولوچية ينفرد باستخدامه عدد محدود من الباحثين - وهو ما كان عليه الحال فى الثلاثينيات - إلى أسلوب معترف به عالميا ومتبع على نطاق واسع وفرع محترم جدا من الدراسة يحتل مكانة رفيعة فى الترتيب الهرمى لمختلف العلوم الاجتماعية.

ومن المؤكد أن هذا الجانب من عمل فيرث يستحق الإشادة به إذ له أهميته الاجتماعية فى ذاته. إلا أنه خلال التطور الديالكتيكى للأنثروبولوچيا الاجتماعية البريطانية أدت نظرية مالينوفسكى الأساسية إلى ظهور مواقف

وآراء واتجاهات مغايرة عند رادكليف – براون وإڤانز – بريتشارد وفورتس وجلكمان ، وفى كل هذا الصخب كان فيرث يلعب منذ البداية دور داعية السلام بين الوظيفيين وكان بمثابة المرشد والموجه الذى يهتم بمستقبل الأنثروبولوچيا الاجتماعية كتخصص أكاديمي أكثر مما يهتم بتوطيد مكانته الأكاديمية الخاصة ، وكانت نتيجة هذا الاختيار أن أصبح مرشدا وقائدا دون تلاميذ أو أتباع ، كما أصبح من الصعب تحديد المكان بالضبط الذى يحتله فى ذلك المجال المتعدد الألوان من الفكر الأنثروبولوجي. فلم يكن فيرث مؤسسا "لمدرسة" ولم يكن له أتباع مباشرون.

ولقد سبق أن أشرنا إلى الوصف التفصيلى الدقيق الذى قدمه فيرث عن ثقافة ومجتمع تيكوبيا وأنه عمل خالد ، ولكن رغم أنه يمكن الاستشهاد به كمثال – أو ربما كمثال مضاد – لكل أنواع النظريات الأنثروبولوچية التى تطلق أحكاما عامة فإن دراسات فيرث لتيكوبيا لم تسفر عن أساس نظرى جديد.

ولكن تتابع الدراسات الدقيقة المحددة (المونوجرافات) والمقالات والتمهيدات والافتتاحيات المتصلة بالأنثروبولوچيا ومراجعتها شيء آخر مختلف (Confer- 1929, 1939, 1936, ence 1967, Firth and Yamey 1964). ففى أثناء المجادلات المتواصلة بين "العلماء النظريين الصوريين" و"العلماء الواقعيين العيانيين" كان فيرث يؤيد دائما موقف النظرية الصورية ، بمعنى أنه كان يرى أن الاقتصاد علم موحد يحتوى على مبادئ قابلة للتطبيق فى كل أنحاء العالم وأن أى حالة من حالات التنظيم البشرى لها جانب اقتصادى سواء أكانت حالة بدائية أم متطورة ومتقدمة ، نقدية أم غير نقدية ، موجهة نحو السوق أم نحو الاكتفاء الذاتى ، رأسمالية أم اشتراكية ، كما أنها تشتمل على مبادئ عامة تتعلق ببعض العوامل مثل الإنتاج والتوزيع والتبادل وملكية السلع والسيطرة على أدوات الإنتاج كما أنها تكون قابلة للمقارنة مع غيرها طيلة الوقت. وكان فيرث يؤمن بأن الاقتصاد هو دراسة تحديد وتوزيع الموارد النادرة بين الأطراف

المتاحة ، وأن مفهوم الندرة مفهوم أساسى لأى دراسة اقتصادية ذات مغزى. كما كان ينظر بكثير من الشك إلى الأفكار الكثيرة المتعارضة التى يرجع بعضها إلى الأيديولوچيا الماركسية التى ترى أن الندرة هى ببساطة حصيلة تكوين اجتماعى معين ومألوف، وهو التكوين الرأسمالى واقتصاديات السوق ، وأن هناك أنواعا مختلفة من الاقتصاد التى تتنوع مثلما تتنوع وتختلف الكائنات الحية.

ومجمل أعمال فيرث وكتاباته الرائعة تتضمن إسهامات فى معظم جوانب الأنثروبولوچيا الاجتماعية. فإلى جانب الاقتصاد كان أهم الموضوعات التى عالجها تدور حول التغير الاجتماعى والدين. والعنصر الأساسى فى دراسته لهذه الموضوعات كلها هو المعنى الخاص الذى يعطيه لمفهوم التنظيم الاجتماعى.

وقد بدأ فيرث يستخدم هذا التعبير منذ عام ١٩٣٠ ، ولكنه فى الفترة من ١٩٤٩ إلى ١٩٦٠ استخدمه كأداة جدلية فى هجماته على "جمود وقصور البنائية البسيطة" التى يقال إن أتباع رادكليف - براون فى أكسفورد كانوا يعملون على نشره. (Firth,1964; chapters 4,5,6.). ولكن إذا نحن نظرنا إلى المسألة فى سياقها التاريخى فسوف نجد أن هذه المرحلة فى كتابات فيرث كانت محاولة لإنقاذ وظيفية مالينوفسكى من النسيان نتيجة للاستخفاف ببعض الجوانب الفردية التى يهتم بإبرازها. ولكن فيرث فشل فى ذلك. فمن المسلم به أن البنائية فى الأنثروبولوچيا الاجتماعية تعتبر الآن العلامة المميزة لأنثروبولوچيا كلود ليفى - ستروس أكثر مما ترتبط باسم رادكليف - براون ولم يأت هذا التحول نتيجة الانتقادات الإمبيريقية التى أثارها فيرث ضد رادكليف - براون. وعلى ذلك فإن أهمية مفهوم التنظيم الاجتماعى فى فهم الخصائص المميزة للصيغة الخاصة بمناقشات فيرث الأنثروبولوچية يمكن الاستدلال عليها ليس فقط من ظهور ذلك التعبير كعنوان لكتابه المدرسى عن الموضوع (١٩٥١) ولكن أيضا فى عنوان الكتاب التذكارى الذى أهداه إليه تلاميذه

السابقون قبل تقاعده بوقت قصير (Friedman,1967).

وقد يكون فى العبارتين التاليتين اللتين نقتبسهما من فيرث ما يوضح مناقشتنا لذلك المفهوم الأساسى :

(١) " يجب أن يعنى الإطار النظرى لتحليل التغير الاجتماعى إلى حد كبير بما يحدث فى الأبنية الاجتماعية، ولكى يكون التغير ديناميكيا بمعنى الكلمة فلا بد من أن يكون هناك مجال لفعل الفرد" (١٩٥١ صفحة ٨٣) .

(٢)"... وبعيدا عن اعتبار أن الدين فى تيكوبيا يعكس ويساند البناء الاجتماعى فإنه يقدم فى بعض جوانبه إمكانات للهروب من المجتمع إلى أوهام الفرد التى لن تلبث أن يتم الاعتراف بها وربطها بالوظائف الاجتماعية " (١٩٦٤ صفحة ٢٥٤)

فهذان مثالان نموذجيان لما يقصده فيرث من "التنظيم الاجتماعى". فهو مفهوم له علاقة مزدوجة بمفهوم "البناء الاجتماعى" عند رادكليف - براون. البناء ينظر إليه هنا على أنه نسق من القواعد الشرعية يتميز بالثبات والاستقرار وقلة المرونة ، أما التنظيم فهو منظومة من الأعراف الثقافية التى تتيح للفرد الفرصة لتفسير تلك القواعد البنائية مع إمكان تطبيقها على مستوى السلوك الإمبيريقى كما أن التغيرات التى تطرأ بمرور الوقت على هذه الأعراف توفر لفيرث الأداة الرئيسية لتحليل التغير الاجتماعى فى المجالين الدنيوى والدينى للنشاط العملى.

والواقع أن فيرث ، وشأنه فى ذلك شأن مالينوفسكى ، كان يفترض دائما أن جوهر أى بحث أنثروبولوجى جاد هو الدراسة الميدانية التفصيلية لإحدى الثقافات كنسق كلّى متماسك. بيد أن مهمة الباحث الأنثروبولوجى لا تنتهى عند حد تبيين "كيف يتماسك" ذلك النسق وإنما تمتد إلى "كيف يعمل" ذلك النسق. ومعظم أتباع فيرث من الجيل التالى يفسرون الآن بكثير من التساهل والتجاوز مبدأ "كيف يعمل النسق" الذى يؤلف جزءا من نظرته. فالنظرة الآلية أو الميكانيكية عن أن أى نظام اجتماعى له وظيفة محددة التى يمكن رصدها على أنها تخدم الحاجات الأساسية للفرد (عند مالينوفسكى) أو الحاجات

الأساسية للمجتمع (عند رادكليف - براون) تم إغفالها والانصراف عنها لدرجة أن كلمة "وظيفة" نادرا ما تظهر فى كتاباتهم. وقد كان فيرث نفسه يحاول التوفيق بين هاتين النظرتين وذلك عن طريق استخدام مفهوم "التنظيم" كمصطلح وسيط.

ويرتبط ارتباطا وثيقا بهذا الفهم الخاص للوظيفة الذى يركز بشدة على الفرد كصانع للقرار وينحاز انحيازا تاما وبشكل مستمر للإمبيريقية نفور فيرث التام والمستمر أيضا من التفسيرات السيكوتحليلية والبنائية (عند ليفى - ستروس مثلا) للفعل الرمزى ، وهى التفسيرات التى تؤكد الدوافع اللاشعورية أكثر من الدوافع الشعورية لدى الفرد. ويرجع ضعف وتهافت هذا النوع من الجدل فى رأى فيرث إلى أنه يتحاشى المبدأ الأساسى عن أن التأمل النظرى يجب أن يخضع للاختبار فى ضوء الملاحظات المباشرة والتفصيلية التى يقوم بها الباحث الميدانى.

وثمة مايدل على أن الالتزام الإمبيريقى كثيرا مايضع العراقيل أمام التحليل النظرى، ولذا نجد أن الدراسات التى قام بها فيرث لثقافة تيكوبيا وترنجانو بعد مرور عدة سنوات كانت عبارة عن إسهامات فى التاريخ الخاص بهذين المجتمعين ولكنها لم تتوصل إلى أية نتائج حاسمة عن العمليات العامة للتغير الاجتماعى تختلف عما هو معروف ومألوف. ويجب أن نلاحظ على أية حال أن فيرث اشتبك فى جدل مباشر وعميق مع الماركسيين حول أسلوب معالجتهم للمادة الأنثروبولوچية (١٩٧٢).

وهذا كله ينطبق على كتاباته عن الدين التى تستند إلى معلوماته عن تيكوبيا. فقد كان يفترض - باعتباره شخصا لا يؤمن بأية عقيدة معينة - أن أى باحث أنثروبولوجى ميدانى أمين مع نفسه يجب أن يبدأ من التسليم بأن كل المعتقدات الدينية ليست فى واقع الأمر إلا نوعا من الوهم ، وعلى ذلك فإن مهمة الأنثروبولوجى الوظيفى هى الكشف عن جدوى (أو عدم جدوى) الممارسات الدينية فى العمليات الاجتماعية.

ولم يكن فيرث على أية حال عديم الإدراك للمعانى الجمالية الخفية فى

الدين وإنما كان يحاول دائما أن يميز بين النشاط الجمالي والنشاط الديني ربما على اعتبار أنه في حين كان يرحب بالنشاط الجمالي كان يعتبر كل مظاهر النشاط الديني نوعا من خداع النفس (Firth,1964 صفحتا ١٣٨-١٣٩).

وثمة نوع من المفارقة ، فعلى الرغم من أن فيرث كان مبهورا بالعلاقة بين الفن والدين فإنه كان يحمل كثيرا من الشك نحو المناقشات التي تدور حول الحقيقة غير الملموسة. فالنقطة الأساسية التي تلخص كتابه المهم عن الرمزية Symbolism (1973) تنحصر في أنه نظرا لوجود عدد كبير جدا من النظريات الأنثروبولوجية العامة عن الرمزية (الدينية وغيرها) ونظرا لأن من السهل العثور على دراسات إثنوجرافية مضادة لأي مخطط يفترض وجود ترتيب منهجي مطرد للرموز البشرية فإن الدور الحقيقي الذي ينبغي أن يقوم به الباحث الأنثروبولوجي هو إبراز الاضطرابات والانكسارات غير المنطقية وليس الاطرادات المنطقية في هذا الجانب الرئيسي من التعبير البشري عن الذات. وهي الاضطرابات التي تخفي ليس فقط العلاقات في ترتيبات ودرجات الحقيقة ولكنها كانت أيضا مصدرا فعالا في الصراع الاجتماعي (١٩٧٣ صفحتا ٤٢٧-٤٢٨). وفي بعض الأحيان يخالج المرء الشعور بأن فيرث يتعالى على الاتجاهات البنائية الراهنة كتلك التي تظهر في أعمال ليفي - ستروس باعتبارها تعبيرات عن خرافة الدين، وهذا أمر سيئ في ذاته.

ويبقى أخيرا أن ننظر لدور فيرث كمعلم. وهنا نجد أن تأثيره كان رائعا للغاية. فمع أنه لم يكن مبرزا في محاضراته الرسمية إذ كانت لديه وفرة هائلة في المعلومات التي كانت أمانته الإمبيريقية تفرض عليه عرضها في وقت واحد - وهو مالا تحتمله المحاضرة - إلا أنه كرئيس لجلسات السمينار كان يقوم بدور رائع. فخلال سنوات عمله بمدرسة لندن للاقتصاد كان تأثيره واضحا قبل كل شيء في ذلك السمينار الأكاديمي. وفي ذلك السياق كان يعامل المشاركين كما لو كانوا إخباريين في جلسة غير رسمية في الميدان في تيكوبيا. ورغم كثرة عدد المشاركين في

الإدلاء بوجهات نظرهم فى الموضوع فإن قدرته على تلخيص أى استطراد كان لها تأثير السحر فى تحويل ما كان يبدو مناقشة طويلة ومثيرة للملل وغير هادفة إلى عملية اكتشاف جديد له معنى حقيقى. وإذا لم يكن له غير ذلك ، مع أنه فعل الكثير جدا بالطبع ، فإنه بهذه القدرة وحدها أثبت أنه جدير للغاية بأن يكون خليفة مالينوفسكى العظيم.

المؤلف : Edmund R. Leach

المترجم : أحمد أبوزيد

(*) توفى سير رايموند وليام فيرث فى ٢٢ فبراير ٢٠٠٢ وهو فى سن الواحدة بعد المائة

(**) ولد إدموند روناالد ليتش فى ٧ نوفمبر ١٩١٠ وتوفى يوم ٦ يناير ١٩٨٦ – المترجم

Works by Firth

Supplementary Bibliography

WORKS BY FIRTH

1924 *The Kauri-Gum Industry: Some Economic Aspects.* Wellington (New Zealand): Skinner.

(1929) 1959 *Economics of the New Zealand Maori.* 2d ed. Wellington (New Zealand): Owen; New York: Humanities Press. → First published as *The Primitive Economics of the New Zealand Maori* by Routledge. A paperback edition was published in 1975 by Norton.

(1930) 1967 Outline of Tikopia Culture. Chapter 1 in Raymond Firth, *Tikopia Ritual and Belief.* London: Allen & Unwin; Boston: Beacon. → First published in volume 1 of *Oceania.*

(1930–1931) 1967 Totemism in Polynesia. Chapter 11 in Raymond Firth, *Tikopia Ritual and Belief.* London: Allen & Unwin; Boston: Beacon. → First published in volume 1 of *Oceania.*

(1936*a*) 1976 *Art and Life in New Guinea.* New York: AMS Press.

(1936*b*) 1961 *We, the Tikopia: A Sociological Study of Kinship in Primitive Polynesia.* 2d ed. London: Allen & Unwin; New York: Barnes & Noble. → A paperback edition was published in 1966 by Beacon.

(1938) 1975 *Human Types: An Introduction to Social Anthropology.* Rev. ed. London: Sphere; New York: Norton.

(1939) 1965 *Primitive Polynesian Economy.* 2d ed. London: Routledge; Hamden, Conn.: Archon.

(1940) 1967 *The Work of the Gods in Tikopia.* 2d ed. 2 vols. in one. London School of Economics and Political Science, Monographs on Social Anthropology, Nos. 1–2. London: Athlone Press; New York: Humanities Press.

(1946) 1966 *Malay Fishermen: Their Peasant Economy.* 2d ed., rev. & enl. London: Routledge; Hamden, Conn.: Archon. → A paperback edition was published in 1975 by Norton.

(1951) 1971 *Elements of Social Organization.* Rev. ed. London: Watts.
1956 FIRTH, RAYMOND (editor) *Two Studies of Kinship in London.* London School of Economics and Political Science, Monographs on Social Anthropology, No. 15. London: Athlone Press.
(1957) 1970 FIRTH, RAYMOND (editor) *Man and Culture: An Evaluation of the Work of Bronislaw Malinowski.* London: Routledge; New York: Humanities Press.
(1959*a*) 1964 Problem and Assumption in an Anthropological Study of Religion. Chapter 10 in Raymond Firth, *Essays on Social Organization and Values.* London School of Economics and Political Science, Monographs on Social Anthropology, No. 28. London: Athlone Press; New York: Humanities Press. → The Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland Huxley memorial lecture for 1959.
1959*b* *Social Change in Tikopia: Re-study of a Polynesian Community After a Generation.* London: Allen & Unwin; New York: Macmillan.
1961 *History and Traditions of Tikopia.* Polynesian Society, Memoir, No. 32. Wellington (New Zealand): The Society.
(1964) 1969 *Essays on Social Organization and Values.* London School of Economics and Political Science, Monographs on Social Anthropology, No. 28. London: Athlone Press; New York: Humanities Press.
1964 FIRTH, RAYMOND; and YAMEY, B. S. (editors) *Capital, Savings and Credit in Peasant Societies: Studies from Asia, Oceania, the Caribbean and Middle America.* London: Allen & Unwin; Chicago: Aldine.
1967 *Tikopia Ritual and Belief.* London: Allen & Unwin; Boston: Beacon.

1967 CONFERENCE ON ECONOMIC ANTHROPOLOGY, OXFORD, 1965 *Themes in Economic Anthropology*. Edited by Raymond Firth. Association of Social Anthropologists, Monographs, No. 6. London: Tavistock: New York: Barnes & Noble.

1968 Anthropology: III. Social Anthropology. Volume 1, pages 320–324 in *International Encyclopedia of the Social Sciences*. Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.

1968 HUBERT, JANE; FORGE, ANTHONY; and FIRTH, RAYMOND *Methods of Study of Middle Class Kinship in London: A Working-paper on the History of an Anthropological Project 1960–65*. Occasional Paper of the Department of Anthropology, London School of Economics and Political Science. London: The School.

(1969) 1970 FIRTH, RAYMOND; HUBERT, JANE; and FORGE, ANTHONY *Families and Their Relatives; Kinship in a Middle-class Sector of London: An Anthropological Study*. London: Routledge; New York: Humanities Press.

1970 *Rank and Religion in Tikopia: A Study in Polynesian Paganism and Conversion to Christianity*. London: Allen & Unwin; Boston: Beacon.

1972 The Sceptical Anthropologist?: Social Anthropology and Marxist Views on Society. British Academy, London, *Proceedings* 58:177–213. → Inaugural Radcliffe-Brown lecture in social anthropology.

1973 *Symbols: Public and Private*. London: Allen & Unwin; Ithaca, N.Y.: Cornell Univ. Press. → A paperback edition was published in 1975 by Cornell Univ. Press.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

FIRTH, ROSEMARY (1943) 1966 *Housekeeping Among Malay Peasants*. 2d ed. London School of Economics

and Social Science, Monographs on Social Anthropology, No. 7. London: Athlone Press; New York: Humanities Press.

FRANKENBERG, RONALD 1967 Economic Anthropology: One Anthropologist's View. Pages 47–89 in Conference on Economic Anthropology, Oxford, 1965, *Themes in Economic Anthropology*. Edited by Raymond Firth. Association of Social Anthropologists, Monographs, No. 6. London: Tavistock; New York: Barnes & Noble.

FREEDMAN, MAURICE (editor) 1967 *Social Organization: Essays Presented to Raymond Firth*. Chicago: Aldine.

GREAT BRITAIN, NAVAL INTELLIGENCE DIVISION 1943–1945 *Pacific Islands*. 4 vols. Geographical Handbook Series B.R. 519A–C. London: The Division. → Volume 1: *General Survey*. Volume 2: *Eastern Pacific*. Volume 3: *Western Pacific (Tonga to the Solomon Islands)*. Volume 4: *Western Pacific (New Guinea and Islands Northward)*.

MALINOWSKI, BRONISLAW 1920 Kula: The Circulating Exchange of Valuables in the Archipelagoes of Eastern New Guinea. *Man* 20:97–105.

MALINOWSKI, BRONISLAW 1921 The Primitive Economics of the Trobriand Islanders. *Economic Journal* 31:1–16.

MALINOWSKI, BRONISLAW (1922) 1960 *Argonauts of the Western Pacific: An Account of Native Enterprise and Adventure in the Archipelagoes of Melanesian New Guinea*. London School of Economics and Political Science, Studies No. 65. London: Routledge; New York: Dutton. → A paperback edition was published in 1961 by Dutton.

لورنتس، كونراد

Conrad، Lorenz

كونراد لورنتس، عالم حيوان نمساوى ومتخصص فى سلوك الحيوانات Ethologist، وُلد فى ٧ نوفمبر ١٩٠٣ . وبناء على رغبة والده درس الطب فى جامعة فيينا، ولكن اهتماماته كانت منصبة أساسًا على علم الحيوان. وكصبى فى ألتنبرج Alten- berg، قام بصنع أحواض سمكية وأقفاص للطيور، وبسرعة حول الحديقة المليئة بالبرك وحظائر الحيوانات إلى حديقة حيوان صغيرة. وبالتالى، بعد أن حصل على درجة دكتور فى الطب فى عام ١٩٢٨، درس علم الحيوان وحصل فيه على درجة الدكتوراه من جامعة فيينا عام ١٩٣٣ .

وخلال أبحاثه، أكد لورنتس على أهمية الإدراك الجشتالطى Gestalt per- ception . ففى رأيه، أن المعرفة التى يكتسبها الفنانون والعلماء من خلال الإدراك الجشتالتى تفوق إلى حد بعيد تلك التى نحصل عليها من خلال "الفكر العقلانى Rational thought". وقد اختلف مع أولئك الذين اعتبروا القياس الكمى هو المصدر الوحيد الصحيح للمعرفة. وهذا الوثوق بالحدس يمثل مفتاحًا لفهم شخصية لورنتس. وكعالم له طبيعة فنان، تجلّت موهبته فى اكتشاف علاقات فى علم سلوك الحيوانات أدت إلى رؤى علمية جديدة.

وفى كلية الطب، احتفظ لورنتس بمذكرات دقيقة عن واجباته، وفى عام ١٩٢٧، عندما كان لا يزال طالبًا، نشر دراسته الأولى عن غراب الزرع Jack- daws. وقد عمل مساعداً لعالم التشريح فرديناند هوشستتر Ferdinand Hoch- stetter، الذى كان يحتكم إليه، ويحصل منه على معرفة شاملة فى التشريح المقارن والوظيفى. وقد علمته ملاحظاته المتزامنة على الحيوانات أن ذخيرة سلوكها شملت تناسقات حركية نمطية ثابتة الشكل يمكن استخدامها للتعرف على الأنواع بنفس الطريقة التى تستخدم بها التراكيب الجسمية. وأنماط السلوك هذه يمكن مقارنتها عبر

الأنواع، تمامًا مثل السمات المورفولوجية، وإذا طبق الفرد معايير التماثل كما تستخدم في التماثلات المورفولوجية، يمكن إعادة تركيب التاريخ التطوري لبعض أنماط السلوك. وفي مقالاته عن سلوك الغربان الاجتماعية (١٩٣١)، وأنماط السلوك الخاصة بأنواع معينة من الطيور (١٩٣٢)، والرفيق في عالم الطيور (١٩٣٥)، قدم أول خطة مفصلة عن بيولوجيا السلوك.

وفي هذه الدراسات الأصيلة، ناقش لورنتس مفهوم نمط السلوك الغريزي، الذي يختلف عن كل أنماط السلوك المكتسب في أنه ينضج "مستقلاً عن التجربة" خلال النمو الجنيني والنشوء الفردي. وقد شدد لورنتس على ثنائية السلوك الغريزي والمكتسب، وعلى الرغم من اعترافه الدائم بأن تشارلز داروين Charles Darwin، وأوسكار هاينروث Oskar Heinroth وغيرهما عبروا عن أفكار مماثلة، فقد كان هو أول من دمج هذه الأفكار في بناء نظري جديد ومتماسك. وبعد ذلك بكثير، عندما درس أصل تكيف السلوك، توصل إلى تعريف أوضح تمامًا لهذه المفهومات.

كانت الفكرة الأولى عن أنماط السلوك الغريزي أنها سلاسل من الانعكاسات أو الارتكاسات Reflex chains. وقد أشار لورنتس، مع ذلك، إلى أن والاس كريج Wallace Craig قرر من قبل أن الاستعداد للقيام بنمط سلوك غريزي يتزايد إذا لم يحدث هذا السلوك لبعض الوقت. وفي مثال بالغ التطرف، فإن السلوك يمكن أن ينطلق كنشاط تفريغي Vacuum activity في غياب موقف الإثارة الملائم. ولا تنطبق هذه الحالة على أنماط السلوك الغريزي، المغايرة للانعكاسات البسيطة، التي تصاحبها أحاسيس ومشاعر مجربة ذاتيًا. وفي حين لا يمكن البرهنة على ذلك في الواقع، لا يمكن لأي فرد له معرفة بالحيوانات أن يغفل التماثلات الموجودة بين البشر والحيوانات.

وقد أكد لورنتس على الصفة النمطية الآلية لأنماط السلوك الغريزي وعلى أن الحيوانات تتصرف غريزيًا لأنها غير موجهة بالبصيرة إلى الغرض

من تصـرفـاتـهـا. وبدلاً من ذلك فـهى تستجيب على نحو عشوائى، مما يؤدى غالبًا إلى سلوك غير ملائم، خاصة فى تصرفات الحيوانات الأسيرة.

إن أنماط السلوك الغريزى تُفـرغ بواسطة المثيرات ومجموعات المثيرات التى تكون بسـيطة وواضـحـة، وتعكس مـوقف التـفـريغ الطبيـعى. وقد أطلق لورنتس على أنماط السلوك التى تخدم كـإشـارات اسم المفرغـات Releasers. والمثـيرات المفـرغة تؤثر فى مـيكانيـزم التـفـريغ الغـريزى، الذى يُنظر إليـه كمتـلازم إدراكى للمثيـر. وهذا نوع من مرشح المثير الذى لا يختلف عن القفل، يستـجيب فقط لمثيـر رئيسى مـعين. ومستقبل المثير يمكن اعتباره حاملاً لصورة تخطيطية (مبسطة) لرفيقه الذى يمكن أن يظهر ككيان متميز فى عديد من الأنسـاق الوظيفـية كما لو كان - على سبيـل المثــال - طفــلاً أو والدًا أو رفيقًا جنسيًا. والنوع ذاته لا يدرك كـوحدة كـاملة، ولكن كـحـامل لإشـارات ملائمة لتفريغ سلوكيات عديدة فى نظم وظيفية متميزة. فأنثى البط المسكوفى (Cairina) سـوف تسـتـجـيب للنداء الضائع لبطة البركة الصغيرة عن طريق مـحـاولة إنقـاذها من أيدى الشـخص الذى يقوم عليـها بالتـجارب. ولكن إذا لحـقت هذه البطة الصـغـيرة بالسـرب المؤلف من صـغارها فإنها سوف تقتلها نظرًا لأنها تتعرف عليها كفصيلة أخرى من خـلال اخـتـلاف وتمايز الإشـارات البصرية أو الصوتية.

ومن ناحـيـة أخـرى وجـد لورنتس (١٩٣٥) فى وصـفـه لظــاهــرة الطبع أو الســمــة الثـابتـة Imprinting، أن المخطط الفطرى للرفيق الجنسى أو الوالد غير محدد تمامًا فى بعض أنواع الطيور. وفى هذه الحــالات، يتـعلم الحـيــوان الصـغيـر أثناء فترة قصيرة وحساسة عن طريق شكل والديه الشكل الذى سيكون عليه رفيقه الجنسى لاحقًا فى الحياة. فـفراخ البط والإوز عمليًا تتبع أى شىء متـحـرك بعد الفقس، بما فى ذلك البـشـر، ولكن إذا تعرضت للبـشـر خلال مدة قصيرة نسبيًا، فإنها تبقى على تفضيلها لهم وتصبح غير راغبة فى تتبع أفراد النوع الذى تنتمى إليه.

وعلى نحو مغاير لمفهوم الانعكاس أو الارتكاس الكلاسيكى الذى ينص على أن كل السلوك هو استجابة للمثيرات، فإن الاعتراف بالإجهاد المحدد بالفعل، وتخفيض الحدود، وحركات القصد، وأنشطة التفريغ قد أدت إلى تناقضات لم يكن لورنتس قادراً فى البداية على التوفيق بينها. ولكن فى عام ١٩٣٧ قابل إريش فون هولست Erich von Holst، الذى أوضح فى عدد من التجارب أن الحركات لا تحتاج دائمًا إلى مثير لكى تنطلق بطرق شبه انعكاسية. فضلاً عن أن تنسيق حركات العضلات يحدث مركزيًا كما بين من قبل ويمكن أن يتم دون تدخل المثيرات الخارجية والداخلية.

وقد غير اكتشاف فون هولست للجهد المثير المركزى مفهومنا عن وظيفة الجهاز العصبى المركزى بشكل أساسى. فالسلوك لم يعد ينظر إليه باعتباره استجابة لمثيرات خارجية فقط، لأن مجموعات الخلايا العصبية النشطة تلقائيًا التى تتناسق دون تزويد حسى تكون موجودة أيضًا فى الجهاز العصبى المركزى. فالسلوك على ذلك ينشط مركزيًا، ومجموعة الخلايا العصبية النشطة تلقائيًا وبشكل مستمر يجب منعها من التفريغ المستمر بواسطة بعض ميكانيزمات الكبح. وقد خلص فون هولست إلى أن المثيرات غير مطلوبة لتنشيط الكائن الحى بل على العكس، يجب كبح دافعه الداخلى.

وقد تعرف لورنتس مباشرة على دلالة هذا الاكتشاف، الذى ساعده على تفسير ظواهر تخفيض الحدود، ونشاط التفريغ، والإجهاد المحدد - بالفعل وذلك بافتراض أن أنماط الحركة ليست وحدها هى التى يتم تنشيطها بواسطة مجموعات الخلايا العصبية الحركية ولكن كل أنماط السلوك الغريزى عامة. وقد افترض لورنتس وجود طاقة محددة - بالفعل لأنماط معينة من السلوك واعتقد أن هذه الطاقة تستخدم أثناء القيام بالسلوك، وبالتالى تؤدى إلى الإجهاد المحدد - بالفعل. إن مفهوم "الطاقة المحددة - بالفعل Action - specific energy" لا يدل ضمنًا على أن كل حركة ترتكز على عمليات بيوكيميائية

مختلفة كيفيًا. لقد وضع لورنتس الثقل الأكبر على خصائص مجموعات الخلايا العصبية النشطة. إن مفهوم الإنتاج المستمر للإثارة يدل ضمنًا أيضًا على ضرورة وجود ميكانيزمات كبح تمنع التفريغ المستمر للدوافع المنتجة بصفة مستمرة. ومثل هذا القالب الكبحي يزاح فقط عندما تتدخل مثيرات التفريغ الملائمة بواسطة ميكانيزم تفريغ فطرى. وقد وضع لورنتس فرضًا إضافياً آخر، ويعنى أن هذا الكبح شبه الانعكاسى سوف يؤدى إلى تخزين الطاقة المحددة - بالفعل. وفى هذه النقطة كان مدعوما بملاحظات سى. إس. شرينجتون C.S.Sherrington، الذى وصف تخزين الجهد المثير بالنسبة للانعكاسات فى ظاهرة "التباين الشوكى Spinal con-trast". وهذا التخزين للجهد المثير كان المعتقد أنه يحث الحيوان بواسطة السلوك الشهوانى ليبحث بنشاط عن الموقف الملائم لتفريغ المثير. وسوف يستجيب للمثيرات الأقل تحديداً باطراد، حتى يظهر السلوك فى النهاية نشاط تفريغى فى غياب أية مثيرات يمكن اكتشافها. إن قوة الاستجابة سوف تعتمد ليس فقط على نوعية مثيرات التفريغ، ولكن أيضًا على الدوافع الداخلية. وقد نشر لورنتس هذه التوليفة من الأفكار مع نتائج تجارب فون هولست فى مجلة *Folia Biotheo-retica* (1937a). ومع هذا المفهوم الجديد، شهد عام ١٩٣٧ تقدمًا كبيراً بالنسبة لعلم سلوك الحيوان.

فى الوقت ذاته، أقام لورنتس علاقات ودية مع نيكولاس تينبرجن Nikolaas Tinbergen الذى أجرى دراسات فى بيولوجيا السلوك فى هولندا. فقد درس على وجه الخصوص المثيرات التفريغية والموجهة وكذلك بعض أنماط السلوك التى تحدث فى مواقف العراك وفسرها بتوافق مع النموذج الإيثولوجى الجديد على أنها شرارة مركزية من إثارة مركزية مُنعت من السريان فى طريقها الطبيعى. وقد أطلق عليها استجابة الإزاحة Displace-ment reaction. واشترك تينبرجن مع لورنتس فى تجربة أثبتت أن أنماط السلوك الغريزى تتكون من عنصر صارم هو نمط الحركة المتوارث (سمى

فيما بعد نمط الفعل الثابت (Fixed action pattern)، وعنصر نظامي أقل صرامة تتحكم فيه المثيرات الخارجية يطلق عليه الحركة الموجهة. وقد أدت البحوث الإضافية لتينبرجن إلى الاعتراف بحقيقة أن فرض لورنتس - كريج كان في غاية البساطة. فالفعل الاستهلاكي يمكن أن تسبقه سلسلة من أنماط السلوك الشهواني التي تقود من سلوكيات عامة إلى سلوكيات أكثر خصوصية.

وفي الأعوام التي تلت اكتشاف تلقائية أنماط السلوك الغريزي، شغل لورنتس نفسه على نحو متزايد بسلوك البشر. وعلى الرغم من إصداره في عام ١٩٤٠ دراسته المقارنة عن أنماط الحركة عند البط السباح، فإن أغلب أعماله التي صدرت بعد ذلك ركزت على الإنسان، حتى عندما شكلت الملاحظات الحيوانية الأساس الذي بنى عليه نتائجه.

إن مفهوم الدافع الجديد ومفهومات أنماط السلوك الفطري، والمفرغات، والمثيرات الأساسية، وميكانيزمات التفريغ الفطرية بدت ملائمة بشكل مثالي لتفسير جوانب معينة من السلوك البشري. فحقيقة أن البشر إلى حد ما يستجيبون بطريقة آلية في مجال السلوك الاجتماعي توحي بأن القيود الفطرية يمكن أن تؤثر في درجة حرية أفعالنا. فالتناقض بين إنجازاتنا في التعامل مع المشكلات التي تسببها البيئة الطبيعية وفشلنا في حل المشكلات الناتجة عن التفاعلات الإنسانية هو تناقض مرعب. وفي عام ١٩٤٣ نشر لورنتس دراسته "*Die angeborenen Formen möglicher Erfahrung*" وفيها أشار إلى أن البشر يمكن أن يستجيبوا تماماً إلى المثيرات قبل أن يمروا بكل التجارب على أساس ميكانيزمات التفريغ الفطرية بطريقة تكيفية تحفظ النوع. وينطبق هذا على تراكيب إدراكية أساسية معينة في ما يتعلق بالمكان والزمان وكذلك بالنسبة لاستجابات معينة نحو الناس الآخرين. وهنا أيضاً يستجيب الإنسان للمثيرات البسيطة جداً التي يمكن محاكاتها بسهولة في تجربة. وهكذا، فالتجارب باستخدام النماذج توضح أن

الخصائص البسيطة نسبيًا لدى الأطفال الصغار تكشف عن وجود تقارب سلوكى له طابع عاطفى. والأشياء التى لها هذه السمات تعتبر جذابة. فخطة الطفل الصغير تتألف من عدة عناصر يمكن تقديمها على انفراد كذلك. ويمكن تضخيمها، وعندما تجتمع عناصر عديدة فإن فعاليتها فى تفريغ الاستجابة تكون إضافية. فالأطفال الصغار على سبيل المثال لهم رءوس كبيرة نسبيًا مقارنة بأجسامهم وأطرافهم قصيرة وممتلئة. والمصانع تنتج للمتاجر دُمى وأشكالاً جذابة تكون فيها نسب الرأس - للجسم مبالغًا فيها مفترضة أن تلك هى السمة الوحيدة المميزة "للطفولة". ونحن نستجيب بطريقة مماثلة للمثيرات الصادرة من رفقاء الجنس ولتعبيرات وجه معينة يمكن رسمها بخطوط قليلة نسبيًا ، ونستجيب بطريقة عمياء لتعبيرات وجوه الحيوانات ونعتبرها ودودة، وحزينة، وشجاعة، ونبيلة إذا شملت عناصر موجودة فى تعبيرات وجوهنا . وقد افترض لورنتس أيضًا أننا نصنف رفاقنا من البشر عامة وفقًا لمعايير مثل متناسق وجميل، وأننا نحب الناس الذين يتوافقون مع حسنا الجمالى. ومثل هذا الإحساس القيمى يتم إسقاطه أيضا على الأنواع الأخرى فنحن على سبيل المثال نصف الغزال بالنبل وفرس النهر السمين بالقبح.

بالإضافة إلى هذه المخططات الجمالية، اعتقد لورنتس أيضًا فى وجود مخططات أخلاقية . وهذه توفر مخططات للسلوك الاجتماعى عن طريق تزويد الناس بمعرفة مسبقة عن ماهية السلوك الجيد والسلوك السيئ.

وأثناء دراساته المقارنة للحيوانات المستأنسة والبرية، وجد لورنتس أن عملية الاستئناس أحدثت عددا من التغيرات فى تراكيب الجسم والسلوك وهى متماثلة فى الثدييات والطيور. ففى الحيوانات المستأنسة، حيث يعتبر التكاثر السريع مرغوبًا، يوجد نقص فى الفروق الدقيقة للسلوك التعبيرى الموجود فى الأشكال البرية السلفية. فالإوز البرى أحادى الزواج ويتزاوج فقط بعد ممارسة طقس غزلى معقد، أما الإوز المستأنس فهو إباحى ويمارس

القليل من الغزل. وفى غياب الضغط الافتراسى Predatory pressure، فإن الاستجابات السريعة لا تصبح أساس الانتخاب. فالحواس، والعضلات، وحتى الذكاء يمكن أن تصاب بالضمور، ويحدث ضعف للأنسجة الضامة مع ميل لتخزين الدهون. وهذا الفقد للصفات النوعية يعتبر تكيفيًا إذا اعتبر المرء الحيوانات المستأنسة تعيش بالتكافل مع الإنسان. ومع ذلك، فنحن مازلنا نحكم ذاتيًا على هذه التغيرات بأنها انحلال. لماذا؟ رأى لورنتس أن أسباب ذلك تكمن فى حقيقة أن الإنسان المتحضر يخضع هو أيضًا لعملية استئناس – ذاتى تؤدى إلى تغيرات فى تركيب الجسم والسلوك. وإحساسنا الفطرى بالقيم هو وحده الذى يوقف هذه التغيرات الانحلالية.

وأخيرًا فكر لورنتس فى مسألة تدهور الثقافات، ولكن ليس بنفس الطريقة التى اقترحها أوزفالد شبنجلر Oswald Spengler، الذى تكلم عن عمليات الشيخوخة الشبه سيكولوجية. وبدلاً من ذلك، اعتقد لورنتس أن التغيرات الانحلالية الناتجة من عملية الاستئناس يمكن أن تكون هى السبب. فالبشر الذين لديهم شكوك أقل فى تعاملاتهم مع الآخرين والذين يتسمون بالقسوة تجاه رفاقهم ستكون لهم فى البداية ميزة فى حضارات معينة. إن الزيادة فى أعداد الناس الذين لا يمتلكون مجموعة متماسكة من القيم، وغير القادرين على صنع روابط قوية مع الآخرين، والذين ليست لديهم القدرة على الاندماج فى مجتمعهم، والذين لا يملكون الشجاعة للدفاع عن جماعتهم، سوف تؤدى إلى موت مثل تلك الحضارات، مما يفسح المجال لتلك التى تتميز بسلوكيات أكثر تكيفًا. ومع ذلك، فإن لورنتس لم ير أن ذلك هو المصير المحتوم للشعوب المتحضرة، نظرًا لأن الإنسان يستطيع أن يتحكم فى مصيره عن طريق التبصر فى هذه العمليات.

ونتيجة لهذه النتائج، اتهم النقاد فى السنوات الأخيرة لورنتس بالعنصرية. وليس ثمة ما يبرر هذا الاتهام لأن لورنتس تكلم عن تأثيرات الاستئناس فى كل الحضارات وشعر

بالتـزام للفت النظر إلى المشكلة. إن التـدهور الوراثي للجنس البـشـرى المتـحـضـر لا يمكن إنكاره في ضـوء الزيادة في الأمـراض الوراثيـة. فنتيـجة للممارسات الطبية الحديثة أصبح الكثير من الناس، الذين كانوا في الماضي غير قادرين على إنجاب أطفال، يصلون الآن إلى مـرحلة التكاثر في حـيـاتهم ويتم قبولهم كشركـاء زواج. وفي تقديم هذه الأفكار المثـيـرة للجـدل، خلص لورنتس إلى أن التعليم كان أفضل وسيلة لتنظيم التكاثر البـشـرى. فـالناس يجب أن يتعلموا ليختاروا الشركاء بشكل ملائم ويمـارسـوا التـحكم-الذاتي في مـجـال التكاثر لكي يتجنبوا الأمراض المأساوية في الذرية Lorenz (1961).

وفي هذه الدراسـة نفسـهـا، ناقش لورنتس أيضًـا التـمـاثلات الوظيـفـيـة للسلوك الأخـلاقي في الحـيـوانات. وأوضح أن الحـيـوانات الخطرة تمتلك كوابح تمنع استـخـدام أسلحتـها ضـد أفـراد من النوع ذاته بطريقـة مـدمـرة. فـهي تتـقـاتل بطريقـة شـعـائرية وتمتلك أوضـاع خـضـوع خـاصـة تهـدئ بهـا المنتـصـر. وفي الإنسـان أدى اخـتـراع الأسلحـة إلى وضع يستـحـيل فـيـه أن تكون هذه الكوابح الفطرية مؤثرة بشكل دائم. فامـتلاك الدافع العدواني واقتناء الأسلحـة التي تقـتل بسـرعـة، قـبل أن يكون لدى الخـصـم وقت للقـيـام بطلب الخضوع، أوجب على الإنسان صراحة أن يواجه القضية المطلقة التي فرضـها سلوكه المتـعلق بتـدمـيـر- الذات، على سـبـيل المثـال عن طريق تطوير نماذج ثقافية تقوم على مواثيق الشرف.

وفي الوقت الذي كتب فيه لورنتس هذا المقـال، تم تعـيـينه أسـتـاذًا لكرسي الفلسـفـة في جـامـعـة كـونيـجـسـبـرج Königsberg، حـيث أصـبح أحـد خلفـاء الكرسـي الذي تقلده ذات مـرة عـمـانويل كـانت Immanuel Kant. وقـد أعـاقت الحرب العالمية الثانية أنشطته العلمية. وأصبح لورنتس طبيبًا في الجيش من ١٩٤٢ حتى ١٩٤٤، عندما سقط أسير حـرب لدى الروس. وفي عـام ١٩٤٨ أطلق سـراحه وعاد إلى وطنه النمسا. وفي نفس هذه السنة، ألقى مـحـاضـرة في مـركـز البـحـوث البـيـولوجـيـة في فيلهلمينبرج Wilhelminenberg خارج

فيينا، وكانت أفكاره بالغة الجدة والخيال.

وبعد فترة من عدم الاستقرار المهنى، حصل لورنتس على مركز أبحاث فى بولدرن Buldern، بوستفاليا Westphalia، فى ألمانيا الغربية من جمعية ماكس بلانك Max Planck Society، التى أصبحت فى عام ١٩٥٧ معهد ماكس بلانك للفسيولوجيا السلوكية Max Planck Institute for Behavioral Physiology فى سيفيسن Seewiesen بالقرب من ميونيخ فى جنوب ألمانيا. وقد ترأس المعهد مع زميله إريش فون هولست Erich von Holst، وأصبح الشخصية المركزية للمدرسة الأوروبية لعلم سلوك الحيوان.

وبعد الحرب العالمية الثانية، قام نيكو تينبرجن Niko Tinbergen بمبادرة نشر أفكار علماء الأيثولوجيا الأوروبيين فى العالم المتحدث بالإنجليزية. وفى كتابه دراسة الغريزة *The Study of Instinct (1951)* قام بدمج مورفولوجيا السلوك مع فسيولوجيا السلوك. وعندما انتقل تينبرجن إلى إنجلترا ظهرت شخصية مركزية أخرى فى علم سلوك الحيوان.

وبسرعة أصبحت أفكار لورنتس فى بؤرة المناقشات الدولية. وبعض أفكاره أثارت ردود فعل قوية عند علماء النفس الأمريكيين من أصحاب التوجهات السلوكية. وقد كان لنظريات التعلم تأثير كبير على دارسى السلوك الأمريكيين منذ أيام جيه . بى . واطسون J . B . Watson. وفكرة أن الإنسان تشكله البيئة أساسًا وأنه يولد ومخه صفحة بيضاء كانت هى العقيدة المسلم بها لفترة طويلة فى علم النفس، والاجتماع، والأنثروبولوجيا. وقد كانت نتائج لورنتس على النقيض تمامًا لهذه الأفكار، فقد زعم أن سلوكيات الحيوانات والبشر تتأثر بالوراثة البيولوجية. إضافة إلى ذلك، فإن نظرية الفعل المنعكس الكلاسيكية كان لها العديد من المؤيدين فى الولايات المتحدة، وأولئك الذين درسوا السلوك الحيوانى بالتقنيات الشرطية المتعددة لم يكونوا على استعداد لقبول نظرية لورنتس عن تلقائية السلوك. وأخيراً، فإن العديد من

علماء السلوك الأمريكيين لم تكن عندهم خلفية لورنتس فى البحث المقارن، وعلى عكس علماء النفس الأمريكيين، وجد علماء الحيوان الأمريكيون صعوبة أقل فى فهم أفكار لورنتس، لأنهم كانوا على علم بالمورفولوجيا والسلوك المقارن للعديد من الأنواع.

إن غالبية علماء النفس الأمريكيين مع ذلك، نقدوا أو رفضوا إيثولوجيا لورنتس وتينبرجن. وكانت هناك استثناءات، مثل إكهارد إتش . هس Eckhard H. Hess، الذى اكتشف فى دراسته على الدجاج أن أفكار لورنتس ذات قيمة تفسيرية كبيرة. ومن بين كل النقاد، اكتسب دانيل إس. ليرمان Daniel S.Lehrman أكبر شهرة بمقاله "نقد نظرية كونراد لورنتس عن السلوك الغريزى A Critique of Konrad Lorenz's Theory of Instinctive Behavior (1953)". وهذا النقد أثبت أنه ذو قيمة كبرى فى توجيه البحث. فقد أكد ليرمان أن ثنائية الفطرى – المتعلم ليس لها قيمة بحثية لأن من المستحيل إثبات أن السلوك وراثى. فكل أنماط السلوك تتطور باستمرار والجنين لا يمكن عزله عن التأثيرات البيئية حتى وهو داخل البيضة. إضافة إلى ذلك، فإن تربية الحيوان بعيداً عن التأثيرات الخارجية يعتبر أمراً مستحيلاً. فالكائن الحى النامى يخضع لتأثيرات أثناء أى مرحلة من مراحل نموه وبالتالى يمكن أن يكتسب "خبرات". وقد اعتقد ليرمان أن مفهوم لورنتس عن الفطرى تم تعريفه سلبيًا بأنه "غير المتعلم"، وحيث إن خبرات التعلم لا يمكن منعها، يصبح المفهوم بلا قيمة.

وهذا النقد يشير إلى وجود ضعف فى المفهوم الإيثولوجى للفطرى. فى الواقع يعرف كل عالم بيولوجيا ما المقصود بـ "الفطرى"، ولكن لم يوجد تعريف محدد للكلمة. وهذا النقد جعل لورنتس يعيد فحص منظومة أفكاره بالكامل. وفى عام ١٩٦١ قام بالرد بكتابه "تطور وتعديل السلوك *Evolution and Modification of Behavior*"، حيث عرّف "الفطرى" بطريقة إيجابية وفقًا لأصل التكيف.

وقد سلم لورنتس بأن أنماط السلوك، بالضبط مثل السمات

المورفولوجية، تعكس ملامح معينة فى البيئة التى تتكيف فيها. ومثل هذه التكيفات تستلزم أن النظام المتكيف ينسخ، بشكل بسيط مع ذلك، فى بعض الأحيان، معلومات عن الموقف البيئى. وهذا "الاكتساب للمعلومات" يمكن أن يحدث أثناء النشوء النوعى من خلال ميكانيزم الانتخاب الطبيعى للطفرات. وهكذا، تحفظ الخبرات المُثبتة فى الجينوم وتحل شفرتها أثناء عملية النشوء الفردى. ومع ذلك، فإن المعلومات يمكن أن تكتسب أثناء النمو الثقافى والفردى من خلال عمليات تعلم متعددة. كما يمكن تخزين المعلومات بواسطة الجهاز العصبى المركزى، بل وفى سجلات مكتوبة وغيرها من الوسائل الفنية بالنسبة للإنسان. والطريقة التى يكتسب بها النظام المتكيف المعلومات بالنسبة لعملية تكيف معينة يمكن تقييمها بواسطة تربية حيوان فى غياب خبرات أو معلومات معينة. ومن غير الضرورى وغير المرغوب أن نحجب كل المعلومات عن الحيوان أثناء نموه. بدلاً من ذلك من المهم تصميم تجربة بحيث يمكن التدخل فقط فى التكيف المحدد المراد بحثه. وإذا أراد الفرد، على سبيل المثال، اكتشاف ما إذا كانت سمكة أبو شوكة تستجيب فطريًا للجانب السفلى الأحمر لسمكة أخرى من نفس النوع، يكفى أن يتم حجب الموقف المثير المحدد عن الحيوان. ومن غير الملائم تربية الحيوان فى ظلام تام، حيث إن ذلك سيؤدى إلى انحلال فى شبكية العين وتدهورات لاحقة فى مستوى مختلف تمامًا من التكيف.

والشىء نفسه يصدق على أنماط الحركة. فإذا أراد الفرد أن يعرف إذا كان الطائر اكتسب غناءه كتكيف نشوئينوعى، ليس من الضرورى تربية الطائر فى عزلة تامة عن كل المثيرات. فيكفى عزله عن كل الأصوات. وإذا ظل الطائر يغرد الغناء الإقليمى والغزلى الخاص بنوعه عندما يصل إلى مرحلة النضج الجنسى، فإن هذا دليل على أن المعلومات الخاصة بأنماط الغناء كانت مخزونة فى الجينوم. وهذه نتيجة منطقية ولا تعتمد على معرفة مثل كيف أن المعلومات الوراثية فى الحالة المحددة يتم حل شفرتها أثناء سير النمو.

وقد قبل ليرمان بصحة هذه الحجة، ولكنه دعا أيضاً إلى تحليل عملية النمو. ووافق لورنتس. وعمليًا، فإن الإجابة عن سؤال مثل ما إذا كان نمط سلوك يدين بتكيفه النوعى إلى عملية نشوئينوعية أو ثقافية أو فردية هى الخطوة الأولى نحو التحليل الكامل. ولا توجد حجة منطقية قائمة على مسائل ضد هذا الوضع. ومع ذلك، لا توجد حاجة إلى التكرار الممل للتعليق بأن "مسألة الطبع - والتطبع ماتت". فمثل هذه الملاحظات تشير فقط إلى أن المؤلفين لم يفهموا المسائل المتضمنة. فهى، فى الواقع، حية جداً. لقد أسهم لورنتس بشكل قاطع فى دمج الفكر الإيثولوجى بالتعريف الواضح للتكيفات النشوئينوعية، وقدم عرضًا موضوعيًا لمعنى "الفطرى".

وفى الأعوام التى تلت الحرب العالمية الثانية، درس لورنتس أيضًا البط، والإوز، وأنواعًا عديدة من الأسماك المشطية، والأسماك المرجانية. ومن بين الأشياء الأخرى، كان مهتمًا بمسائل العدوان داخل النوع، وجمع ملاحظاته وأفكاره فى كتابه فى العدوان *On Aggression (1963)*. والعنوان يشير إلى أن لورنتس اقترب من الموضوع من منظور عالم البيولوجيا، وبعيدًا عن أية نظم قيمية، فقد طرح دون تردد سؤال، ما هى الوظيفة البيولوجية للسلوك العدوانى. وكان دائمًا يبحث عن الضغط الانتخابى المسئول عن سلوك معين. وكما هو الحال مع كل علماء البيولوجيا الآخرين، كان مهتمًا بتعلم كيفية إسهام سلوك معين فى حفظ النوع ولم يكن مهتمًا بالتفسيرات الفنية. ودرس مختلف أشكال السلوك العدوانى ونقاطه الأساسية يمكن تلخيصها فى الآتى :

(١) العدوان داخل النوع تطور كوسيلة "إفساح" وهو موجود فى نظم وظيفية متعددة. ومناطق التغذية والتكاثر تُثبّت ويتم الدفاع عنها، ويُهزم المنافسون ويتم منعهم مؤقتًا من عملية التكاثر. وتقام المراتب - الطبقية.

(٢) إن سلوك العراك داخل النوع، مع استثناءات قليلة، منظم بشكل

لا يؤدى إلى قتل الآخر من نفس النوع. فالحيوانات القادرة على إحداث الكثير من الأذى تمارس عادة معارك طقوسية غير ضارة. وعندما لا تكون الحالة كذلك، توجد وسائل لمنع تدمير أو إحداث أذى خطير بالفرد الآخر من النوع ذاته. وهكذا تستطيع حيوانات كثيرة أن تمنع المزيد من الهجمات عن طريق عمل أوضاع استرضاء.

(٣) هذه الميكانيزمات السلوكية موجودة مسبقًا كتكيفات نشوئينوعية بالنسبة لتنظيم النمط الإدراكي الحسي وكذلك الحركي.

(٤) غالبية الفقاريات العليا يحركها دافع عدواني للعراك. ومع ذلك، فإن هذا الدافع هو واحد فقط من العديد من الدوافع في "برلمان الغرائز Parliament of Instincts".

(٥) الرباط الذي يوحد الأفراد الذين يعرف بعضهم بعضًا ينمو أثناء سير التطور من أجل الدفاع والحماية المتبادلة. فالحب، بأسلوب بليغ، هو نتاج العدوان.

(٦) البشر أيضًا مزودون بدافع عدواني. وهو يؤدى إلى زيادة الاستعداد للقتال إذا لم يتم تفريغه من خلال إنجاز أفعال عدوانية.

(٧) بينما البشر يمتلكون، مشابهين في ذلك الفقاريات العليا، كوابح ضد قتل أفراد من النوع ذاته، فإن التوازن بين القدرة على القتل وبين كبح هذا الفعل قد اضطرب باختراع أول سلاح. وتكنولوجيا الأسلحة الحديثة كذلك تعزل الجنود عن المواقف التي يمكن أن تثير الشفقة على العدو.

(٨) ظهر الإنسان للحياة في زمن فردية ومجتمع الجماهير المجهولة يفرض مطالب هائلة على الناس. وبالتالي، "فالإنسان ليس سيئًا منذ صباه فصاعداً، فهو فقط غير صالح تمامًا للمطالب التي فرضها عليه المجتمع الحديث" (1963.p.372).

(٩) إن الدافع للاشتراك في القتال بحماس يحدد بناء المجتمع البشري وتنظيماته السياسية. فالجنس البشري غير عدواني وغير مستعد

للقتال بسبب انقسامه إلى أحزاب وزمر. بدلاً من ذلك، فإن الجنس البشرى منظم لتزويد الأفراد بمكان المثير الضرورى لتفريغ العدوان الاجتماعى.

(١٠) المعرفة الشخصية والتأثير الموحد للحماس للمثل المشتركة تميل إلى أن تحد من الدافع العدوانى. فضلاً عن ذلك، فإن الأشكال الطقوسية للقتال، مثل الألعاب الرياضية، يمكن أن تفيد فى منع التأثيرات المدمرة للعدوان.

(١١) فى الوقت ذاته، يشعر الإنسان بالصداقة والحب على أساس فردى فقط وقوة الإرادة لا يمكن أن تغير هذا. لكن لورنتس يؤمن بـ "قوة الانتخاب الطبيعى ... العقل يمكن وسوف يمارس ضغطًا انتخابيًا فى الاتجاه الصحيح" (1963,p.299).

لقد أثار هذا الكتاب ردود فعل قوية. فتم نقده من قبل علماء النفس، وعلماء الاجتماع، وعلماء الأنثروبولوجيا من أصحاب التوجهات السلوكية، والفرد يصدم من اللهجة العاطفية لردودهم. فقد قالوا إن إشارات لورنتس إلى السلوك الفطرى فى البشر يمكن أن تستخدم فى تدعيم أدلة فى صالح الوضع الراهن فى المجتمعات البشرية، وأن فرض لورنتس أفاد كمبرر للعدوان فى الماضى وفى المستقبل. وفى هذا، كتب إريك فروم Erick Fromm (1974): "ما الذى يمكن أن يكون أكثر سروراً لأولئك الخائفين، وأولئك غير القادرين على تغيير المسار التدميرى للأحداث، من نظرية كونراد لورنتس التى تقرر أن العنف ينبع من طبيعتنا البشرية وأنه نتاج دافع عدوانى غير قابل للترويض".

إن اتهام لورنتس بأنه يدافع عن العدوان وأنه يتبنى موقفًا جبريًا بمعنى أن ما هو فطرى لا يمكن تغييره، يمكن تفنيده بتصريحات لورنتس نفسه. فلورنتس لم يتحدث مطلقًا عن الدافع "غير القابل للترويض" للعدوان. وبدلاً من ذلك أشار إلى الحاجة إلى ضبطه، مما يستلزم بحث الظاهرة : "لدينا سبب وجيه لكى نعتبر العدوان داخل - النوع فى الوضع الثقافى والتكنولوجى الحالى للجنس البشرى من أكبر الأخطار. ومع

ذلك، فنحن لن نحسن من فرصنا للتعامل معه إذا سلمنا به كشيء ميتافيزيقى ولا يمكن تجنبه. ولكن، يمكن أن ننجح إذا استطعنا حل السلسلة العلية لأسبابها الطبيعية. وكلما حقق الإنسان القوة فى توجيه ظاهرة طبيعية فى اتجاه معين، فإنه يكون قد استطاع تحقيق ذلك بفضل فهمه للأسباب الأساسية. إن دراسة عمليات حفظ حياة الأنواع الطبيعية، التى تسمى بالفسيولوجيا، تمثل الأساس اللازم لدراسة باثولوجيتها" (1963,p.47). وواضح من ذلك، أن لورنتس لم يكن مدافعًا عن العدوان كما اتهمه النقاد. فقد أشار، مع ذلك، إلى أن التحكم فى العدوان لا يمكن تحقيقه ببساطة عن طريق كبته بسبب أن الدافع قوى للغاية. وعلى ذلك، يكون من الضرورى وجود المتنفسات غير الضارة أو حتى المفيدة للدافع العدوانى.

وقد اتهم لورنتس أيضًا باستخلاص نتائج بناء على تمثيلات خاطئة، ولكن من المهم أنه استهل ملاحظاته عن السلوك البشرى بالفقرة الآتية الناقدة – للذات: "يمكن أن أدعى أن الفصول السابقة علم طبيعى: فالحقائق المسجلة يتم التحقق منها، بقدر الإمكان لنقول إن هذه نتائج علم ناشئ مثل الإيثولوجيا المقارنة. والآن، رغم ذلك، نترك سجل الحقائق المثبت بالملاحظات والتجارب على السلوك العدوانى للحيوانات ونتحول إلى التساؤل عما إذا كان من الممكن أن تعلمنا شيئًا ما يمكن تطبيقه على الإنسان ويفيد فى تطويق الأخطار الصادرة من دوافعه العدوانية" (1963,p.220). إن إغفال النقاد الإشارة إلى مثل تلك التصريحات، باستثناء ثيودوسيوس دوبجانسكى Theodosius Dobzhansky، تدل على أنهم حاولوا بناء حججهم بإغفال حقائق وثيقة الصلة بالموضوع.

ومن سوء الحظ أن نقاد لورنتس لم يسهموا فى التقييم البناء لفرضياته، حيث إن هناك عدة نقاط تتطلب الاستفسار. إن مسألة أن لورنتس هو آخر من اعترض على تلك الانتقادات تتضح من رد فعله على نقد ليرمان

لمفهوم "السلوك الفطرى". فهو لم يعترض مطلقًا على نقد عمله طالما كان هذا النقد موجهًا للمسائل محل البحث. فقد كان ينصح طلابه بصفة مستمرة بوصفهم علماء طبيعيين بضرورة أن يكونوا دائمًا على استعداد لطرح الفروض المفضلة جانبًا عندما لا تكون مدعمة بالحقائق.

إن أى تقييم نقدى لأفكار لورنتس عن العدوان يجب أن يلفت النظر إلى عدم وجود فارق واضح بين العدوان الفردى داخل وبين الجماعات. وقد ذكر مؤخرًا أنه لو كتب فى العدوان *On Aggression* مرة أخرى، لقام بوضع تمييز قاطع بين العدوانية الفردية داخل المجتمع وبين العدوانية الجمعية لجماعة عرقية ضد جماعة عرقية أخرى. وهذا موضح فى Kriegund، Eibl - Eibesfeldt Frieden aus der Sicht der Verhaltensforschung (1975). وبعض تصريحات لورنتس تتميز بالعمومية الشديدة، مثل تأكيده أن "حب الرابطة الشخصية نشأ فى حالات كثيرة من العدوان داخل النوع بواسطة طقسنة هجوم موجه وجهة جديدة أو هجوم تهديدى". وفى تصريح آخر مشابه يشير إلى أن البنية السيكولوجية الكلية للإنسان غير ملائمة للمجتمع الجماهيرى الحديث وبالتالى هناك حاجة إلى تطور إنسان جديد يصلح للحالة الجديدة. حقًا، يعتبر العدوان عنصرًا مهمًا فى الروابط الاجتماعية، ولكن يمكن تقديم حجة جيدة بأن الروابط الفردية تعود أصولها إلى علاقة الطفل – بالأم. فنماذج السلوك التى تحفظ الروابط داخل الجماعات يبدو أنها تأتى أساسًا من نماذج السلوك المتضمنة فى العناية بالصغير ومن سلوكيات الأطفال. وبالنسبة للعدوان بين الجماعات، يمكن للفرد أن يجادل بأن من الممكن، من خلال التعرف على الرموز المشتركة، تكوين صداقات مع الناس الغرباء ابتداء، لذلك فالفرد ليس فى حاجة لانتظار ظهور إنسان جديد.

إن أغلب الهجوم على لورنتس كان منصبًا على مفهومه عن الدافع العدوانى. وعلى الرغم من أنه ليس لكل الأنواع مثل هذا الدافع الفطرى، فإن العديد منها تمتلكه. وسلوك النوع يعتمد

على حاجاته الإيكولوجية المحددة. فحتى داخل عائلة المشطيات، على سبيل المثال، توجد اختلافات كبيرة بين نوع وآخر. ومن غير الصحيح أيضًا القول بأن أفكار لورنتس عن العدوان فى البشر ثم دحضها فحسب بسبب اكتشاف أن العدوانية فى نوع من الأسماك كانت رد فعل للمثيرات وليست رد فعل تلقائى.

وعند فحص الموقف فى البشر، هناك أدلة كثيرة تدعم وجود دافع عدوانى (Eibl - Eibesfeldt 1975). فتجارب عديدة أوضحت أن الغضب يمكن تبديده بالتعبير عن السلوك العدوانى. إضافة إلى ذلك، هناك مجتمعات كثيرة طورت أعرافًا توجه بطريقة غير ضارة التعبير عن السلوك العدوانى، ونتائج الدراسات الفسيولوجية العصبية أتت بأدلة تدعم الفرض. وفى البشر، تتداخل الفصوص الصدغية والنويات اللوزية فى السلوك العدوانى. فإذا استثيرت كهربائيًا، يظهر الغضب. وفى صرع الفص الصدغى يحدث غضب تلقائى، مصحوب بنشاط كهربائى زائد فى هذه المنطقة. وصحيح أن الخلايا العصبية تحترق ذاتيًا، ربما بسبب أن المواد الناقلة تنتج وتتراكم بشكل مستمر. وفى البداية، ربما يؤدى هذا إلى زيادة الاستعداد للاستجابة فحسب، كما اتضح من تجارب فون هولست. والاعتراض الذى أثير هو لو أن العدوان ناشئ عن دافع عصبى تلقائى للحيوان، فإن ذلك التفسير سيكون غير ملائم حيث إن الحيوان يمكن أن يكون مدفوعًا لأن يترك المنطقة بحثًا عن خصم أو فرصة للقتال. ومع ذلك، فلا يتبع ذلك بالضرورة أن ما يمنع الحيوان من الرحيل هو ارتباطه القوى بالمنطقة التى يعيش فيها. وكقاعدة، فإن السلوك التلقائى أيضًا يخضع لضوابط. والسلوك العدوانى يستخدم، بمعنى من المعانى، مثل الأداة. فهو يستخدم فى نظم وظيفية متعددة للتغلب على الصعاب، تمامًا كما يستخدم السلوك الحركى لأغراض عديدة. وربما يفسر ذلك التماثلات فى دوافعهم العصبية.

وبعيدًا عن هذه التفسيرات النظرية، أشار لورنتس إلى الحاجة إلى

دراسة وظيفة العدوان فى حفظ - النوع لكى نفهم انحرافات هذا الدافع فى الإنسان على أمل التحكم فيه فى نهاية الأمر. وأغلب فروض لورنتس التى ذكرت من قبل صمدت فى وجه الاختبار النقدى، وبالتالى أسهم لورنتس بشكل مهم فى فهم الظاهرة.

وخلال العقدين الأخيرين، قام لورنتس بعمل اتصالات مكثفة مع الأطباء من أصحاب اتجاه التحليل النفسى وطلاب السلوك. فجون بولبى John Bowlby، على سبيل المثال، أسس بحوثه الخاصة بعلاقة الطفل - بأمه على نظريات إيثولوجية، كما فعل ذلك إريك إتش. إريكسون Erick H. Erikson. وهذه التفاعلات أدت إلى مناقشات مفيدة جداً للطرفين.

وعلى غرار التحليل النفسى لفرويد، تشترك الإيثولوجيا فى منظور نموذج الدافع الدينامىكى. ويبدو أن فرويد كان أول من اعترف بأهمية الجوانب الديناميكية للسلوك. وقد قدم لورنز، تأسيساً على فون هولست، تفسيراً فسيولوجياً. فضلاً عن ذلك، فقد فسر الدافع العدوانى بأنه تكيف تطورى، بينما فرويد اعتبره دافعًا شبه باطنى نحو تدمير الذات. وبجانب الرغبة فى الموت افترض فرويد مفهوم الليبدو Libido. فكل التعبيرات السارة بدءًا من المص عند الأطفال وصولاً إلى جنسانية البالغين يعتقد أنها مستمدة من هذا الدافع.

إن عبارة فرويد التى كثيراً ما يتم اقتباسها والتى تقرر أن الأم سوف تصاب بالصدمة إذا عرفت أنها تسلك بطريقة جنسية مع طفلها عندما تلاطفه وتقبله تعتبر خاطئة. وقد لاحظ فرويد بشكل صحيح ارتباطات معينة، ولكنه ضل السير فى اتجاه التطور. ونحن نشهد هنا سلوك رعاية والدية حقيقية أصبح بشكل ثانوى جزءاً من السلوك الرابط الذى يعتبر جزءاً من السلوك الجنسى (Eibl - Eibesfeldt 1970). وفى الحقيقة، لم يتم العثور على أساس فسيولوجى لوجود دافع ليبيدى أولى وحيد فقط. وقد تحدث لورنتس بدلاً من ذلك عن "برلمان الغرائز".

والجوانب الأخرى المتشابهة والمشتركة مع التحليل النفسى تقوم على

مفهوم الطبع الإيثولوجى. وقد سبق أن حدد فرويد فترة حساسة خلال النمو المبكر وكذلك اطرادات مراحل النمو التى يمكن اعتبارها نوعًا من البرامج التى تعمل على سيرها. وبالنسبة للصفات فإن أفكار الإيثولوجيين بخصوص نمو الطفل البشرى تجاوزت صيغ فرويد الأصلية.

لقد وجد علماء الإيثولوجيا أن من الصعب قبول بعض التفسيرات السيكولوجية. وعلى ذلك، فهم يفسرون المرحلة الأوديبية بطريقة مختلفة عن علماء التحليل النفسى الكلاسيكيين. فخلال هذه المرحلة من النمو يمارس الأطفال بالفعل صراعات قائمة على الترتيب - الطبقى، التى تتمركز فى الأولاد حول علاقتهم بآبائهم. ولكن نستنتج مع ذلك، أن كل صبى يخاف بشكل كامن من قيام والده بخصيه كعقاب له على رغباته الأوديبية يعتبر تفسيرًا متكلفًا، خاصة مع احتمال وجود تابو فطرى يمنع الزنى بالمحارم. والبشر، مثل الحيوانات الأخرى التى تعيش فى جماعات عائلية دائمة، يبدو أنهم يمتلكون كابحًا يمنع الوقوع فى الحب مع عضو من الجنس المغاير الذى تربوا معه أثناء فترة حساسة معينة من نموهم (Bischof 1972). والبنت، يمكن، أثناء هذه المرحلة من النمو، أن تتعلم أن الأولاد مفضلون فى هذا المجتمع الأبوى. وهذا يمكن أن يؤدى إلى صراعات عند البنات اللاتى يتسمن بالحساسية، ولكن افتراض الحسد من القضيب يمكن اعتباره انحرافًا مرضيًا أكثر منه قاعدة. وهذا دون شك حقيقى أيضًا بالنسبة لعدد من تفسيرات التحليل النفسى الأخرى، التى تنعكس فى المصطلحات المنبوذة التى يعتبرها الكثيرون بغيضة. وهكذا، فالمحللون النفسيون يتحدثون عن مرحلة شرجية - سادية. ومع هذا المصطلح المجازى تمت محاولة تصوير مرحلة يتعلم فيها الطفل التحكم فى العضلة العاصرة للشرج، ويوظف فيها دافعه الاستكشافى بشكل تدميرى عن طريق تمزيق ورقة، أو لعبة، إلخ. وما يحدث فى الحقيقة لا يتناسب مع المصطلحات المستخدمة. فمصطلح "سادى" المستمد من الباثولوجيا غير ملائم لوصف

السلوك الاستكشافى العادى عند الطفل، ولا تمثل عملية التحكم فى العضلة العاصرة الاهتمام الأساسى أثناء هذه الفترة. ومع ذلك، نحن نتعامل مع مرحلة يقوم فيها الطفل بمحاولات أولية لتأكيد الفعل المستقل عن طريق الاستكشاف النشط للبيئة. وحب الاستطلاع، واللعب، وبداية الكلام أكثر ملاءمة لتصوير هذه المرحلة من حياة الطفل (Hassenstein 1973).

نقطة مهمة أخرى تختلف فيها النظرية الإيثولوجية عن نظرية التحليل النفسى تتعلق بالأخلاق. فوفقًا لفرويد، يتصرف الناس بطريقة غيرية لأنهم يخشون آباءهم الأقوياء. ووفقًا للورنتس تعتبر بعض القواعد الأخلاقية فطرية. فالضمير والتقمص العاطفى الذى عن طريقه يقدر الناس موقف الرفيق يقوم جزئيًا على تكيفات نشوئينوعية.

وفى أحدث كتاب له بعنوان خلف المرآة *Behind the Mirror (1973)*، حاول لورنتس فهم التاريخ الطبيعى للقدرات المعرفية للإنسان. وهو من أنضج أعماله وأكثرها عمقًا. وتأسيسًا على نوع من الواقعية "الافتراضية"، حاول لورنز أن يوضح أن كل تكيف يعكس بعض الحقيقة الخارجية، على الرغم من بساطة النموذج: "الحياة ليست صورة لشىء ما، إنها معرفة الحقيقة ذاتها" (P.326). ومع زيادة التفاضل، يتكلم الفرد عن النمو الأعلى، الانطباعات التى يحصل عليها الكائن الحى من بيئته تعتبر هى أيضًا أكثر تفاضلاً بالتماثل. وهذا حقيقى بالنسبة للسمات الفيزيقية وكذلك الحال بالنسبة للقدرات الحسية وقدرات الجهاز العصبى المركزى. "التكيف هو نوع من نمو التحول الذى يحدث فى الكائن الحى وبيئته"، حيث "يتعلم" الجينوم بواسطة نوع من الجس الغائى Teleonomic probing من النجاح والفشل، بالضبط مثلما يتعلم العقل البشرى الباحث، خاصة من أخطائه. وكلتا العمليتين يمكن اعتبارهما مماثلة معرفية مع الحقيقة الموجودة خارج الكائن الحى.

بالطبع من الممكن تحريف التكيف، كما فى حالة الأخطاء فى الإدراك البصرى التى تنتج عن الخداع البصرى. وهناك

أفكار مسبقة فى الإدراك وكذلك فى عمليات التفكير يحتاج الناس إلى أن يكونوا على وعى بها. وقد تتبع لورنتس تطور الوظائف الإدراكية من خلال النشوء النوعى والتاريخ الثقافى وأوضح إنجازاتها وأوجه قصورها. وقد اعتبر لورنتس هذا العمل بمثابة الأساس للاختبار النقدى التأملى للمجتمعات الإنسانية، والذى يجب أن يكون مثيراً فى مدخله غير التقليدى. فالأبستمولوجيا البيولوجية التى يعالجها هذا العمل سوف تفتح آفاقًا جديدة للفلسفة.

لقد ترك عمل لورنتس بصمة عميقة ودائمة فى المشهد الفكرى. فغالبية الأعمال التى تتناول الإنسان يجب أن تتعامل مع أفكاره. إن خط البحث العلمى الذى طوره مع تينبرجن وفون هولست حظى بالاعتراف منذ ذلك الحين، وفى عام ١٩٧٣، حصل لورنتس، وتينبرجن، وكارل فون فريش Karl von Frisch على جائزة نوبل فى الفسيولوجيا والطب عن أعمالهم فى الإيثولوجيا.

إن ما اعتبره لورنتس أهم واجب للإيثولوجيا، أى الدراسة البيولوجية للسلوك البشرى، قد بدأت بشكل منظم فى الوقت الحاضر. فعلماء النفس، والطب العقلى، والتحليل النفسى، والأنثروبولوجيا، وأصول التدريس تمسكوا بأفكاره وبدأ علم إيثولوجيا الإنسان فى النمو كمجال جديد من مجالات البحث العلمى (Eibl - Eibes-feldt and Hass 1966).

المؤلف : Irenäus Eibl - Eibesfeldt
(Translated by Erich Klinghanmmer)
المترجم : مصطفى عوض إبراهيم

1927 Beobachtungen an Dohlen. *Journal für Ornithologie* 75:511–519.

1931 Beiträge zur Ethologie sozialer Corviden. *Journal für Ornithologie* 79:67–127.

1932 Betrachtungen über das Erkennen der arteigenen Triebhandlungen bei Vögeln. *Journal für Ornithologie* 80:50–98.

1935 Der Kumpan in der Umwelt des Vogels. *Journal für Ornithologie* 83:137–215, 289–413.

1937*a* Über den Begriff der Instinkthandlung. *Folia Biotheoretica* Series B 2:17–50.

1937*b* Über die Bildung des Instinktbegriffes. *Naturwissenschaften* 25:289–300, 307–318, 324–331.

1938 LORENZ, KONRAD; and TINBERGEN, NIKOLAAS Taxis und Instinkthandlung in der Eirollbewegung der Graugans. *Zeitschrift für Tierpsychologie* 2:1–29.

1940 Durch Domestikation verursachte Störungen arteigenen Verhaltens. *Zeitschrift für angewandte Psychologie und Charakterkunde* 59:1–81.

1941 Vergleichende Bewegungsstudien an Anatinen. *Journal für Ornithologie* 89:194–293. → Festschrift in honor of Oskar Heinroth.

1943 Die angeborenen Formen möglicher Erfahrung. *Zeitschrift für Tierpsychologie* 5:235–409.

1949 *Er redete mit dem Vieh, den Vögeln und den Fischen.* Vienna: Borotha-Schoeler.

1950*a* Ganzheit und Teil in der tierischen und menschlichen Gemeinschaft. *Studium Generale* 9:455–499.

(1950*b*) 1965 *Man Meets Dog.* New York: Penguin. → First published in German.

1959 Gestaltwahrnehmung als Quelle wissenschaftlicher Erkenntnis. *Zeitschrift für experimentelle und angewandte Psychologie* 6:118–165.

(1961) 1967 *Evolution and Modification of Behavior.* Univ. of Chicago Press. → First published as "Phylogenetische Anpassung und adaptive Modifikation des Verhaltens."

(1963) 1974 *On Aggression.* New York: Harcourt. → First published as *Das sogenannte Böse: Zur Naturgeschichte der Aggression.* A paperback edition was published in 1970.

(1973) 1977 *Behind the Mirror.* New York: Harcourt. → First published in German.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

BISCHOF, N. 1972 Die biologischen Grundlagen des Inzesttabus. In G. Reinert (editor), *Bericht über den 27.* Göttingen (Germany): Verlag für Psychologie.

EIBL-EIBESFELDT, IRENÄUS (1967) 1974 *Grundriss der vergleichenden Verhaltensforschung.* 4th ed. Munich: Piper.

EIBL-EIBESFELDT, IRENÄUS 1970 *Liebe und Hass: Zur Naturgeschichte elementarer Verhaltensweisen.* Munich: Piper.

EIBL-EIBESFELDT, IRENÄUS 1973 *Der vorprogrammierte Mensch: Das Ererbte als bestimmender Faktor im menschlichen Verhalten.* Vienna: Molden.

EIBL-EIBESFELDT, IRENÄUS 1975 *Krieg und Frieden aus der Sicht der Verhaltensforschung.* Munich: Piper.

EIBL-EIBESFELDT, IRENÄUS 1976 *Menschenforschung auf neuen Wegen: Eine naturwissenschaftliche Betrachtung kultureller Verhaltensweisen.* Vienna: Molden.

EIBL-EIBESFELDT, IRENÄUS; and HASS, H. 1966 Zum Projekt einer ethologisch orientierten Untersuchung menschlichen Verhaltens. *Mitt Max Planck-Ges* 6:383–396.

EIBL-EIBESFELDT, IRENÄUS; and WICKLER, WOLFGANG 1968 Ethology. Volume 5, pages 186–193 in *International Encyclopedia of the Social Sciences.* Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.

FROMM, ERICH 1974 *Die Anatomie der menschlichen Destruktivität.* Stuttgart (Germany): DVA.

HASSENSTEIN, B. 1973 *Verhaltensbiologie des Kindes.* Munich: Piper.

LEHRMAN, DANIEL S. 1953 A Critique of Konrad Lorenz's Theory of Instinctive Behavior. *Quarterly Review of Biology* 28:337–363.

TINBERGEN, NIKOLAAS (1951) 1969 *The Study of Instinct.* Oxford: Clarendon. → Based on a series of lectures given at the American Museum of Natural History in 1947.

لويس ؛ أوسكار

LEWIS ; Oscar

كـــــان أوسكار لـويس (١٩١٤-١٩٧٠) يشغل حين وفاته منصب أستاذ الأنثـروبولوجيـا بجـامـعـة إلينوى فى أوربانا وكـان قـد نال شـهـرة واسـعـة بدراسـاته عن الفـقـر فى العـائلات المكسيكية والبورتوريكية وبتصوره عن " ثقـافـة الفـقـر "Culture of Poverty التى كثيرا ما أسيء فهمها رغم مدلولها السياسى. وقد توفى فجأة فى نيويورك إثر أزمـة قلبيـة فـى السـادس عشـر من ديسـمبر عـام ١٩٧٠ تاركـا وراءه للطبع ثروة مماثلة من الكتـابات عن الشـعب الكوبى بعـد الثـورة. ومع أنه لم يكن بلغ السادسة والخمسين من العمر فإنه كان اكتـسب تقـدير علمـاء الأنثـروبولوچيـا بدراسـاته المبكرة عن التـغيـر الثـقـافى وبالتجديدات التى أدخلها على أساليب البحث الميدانى وثراء المادة الوصفية عن الجماعات المحلية والعائلات والدراسات التى كانت بدأت تزدهر عن الحياة الحضرية.

وقـد ولد لويس فى مـدينة نيـويورك فى الخامس والعشرين من ديسمبر عام ١٩١٤ فى عائلة كانت قد وصلت حديثا من بولندا وفيها ثلاث بنات وابن واحد، وكـان أوسكار هـو الابن الآخـر الوحـيـد الذى ولد فى أمريكا. وكان أبوه حاخاما ورئيسا للتراتيل الدينية. وقد نقل العائلة لأسباب صحية بعد فترة قصيرة إلى مزرعة صـغيرة فى فرنانديل فى جبال كـاتشكيل بنيـويورك حـيث كـان يقـود الصلوات الأورثوذكسـيـة. ونشـأ لويس فى هذا المناخ الذى يجـمـع بين حـيـاة الريف والحضر واستمتع بالتريض كما شغف شغفا شديدا بالموسيقى والفنون الأدائيـة، وكـان يـتـمـتـع بصـوت أوبرالى من طبـقـة التنور الذى تطور إلى طبـقـة باريتون ولذا كثيرا ما كان يبدى أسفه لأن والديه كانا يعارضان رغبته فى أن يتخذ الموسيقى مهنة له.

حـين تخـرج لويس من المدرسـة الثانوية عام ١٩٣٢ التـحق بكلية مـدينة نيويورك لدراسة التاريخ، ولكن كان من بين أساتذته إبراهام إدل Abraham Edel والفيلسوف موريس آر. كوهين Morris

R. Cohen، وكانت تلك الفترة هى أسوأ سنوات الكساد الاقتصادى ولذا فإنه أثناء الدراسة الجامعية ثم أثناء دراساته العليا عرف الفقر بشكل مباشر. وحين حصل على البكالوريوس فى العلوم الاجتماعيةعام ١٩٣٦ التحق بقسم التاريخ بجامعة كولومبيا.

أثناء دراسته الجامعية الأولى قابل روث ماسلو Ruth Maslaw التى كانت تدرس علم النفس والتربية فى كلية بروكلين وقد تزوجا عام ١٩٣٧ . وحصلت روث على الماجستير فى التربية الخاصة من كلية المعلمين بجامعة كولومبيا وأمضت ثلاث سنوات فى التدريس للمعوقين بينما هو أتم رسالته للدكتوراه فى كندا، وكان ذلك بداية لارتباطهما مهنيا. وحين ترملت بوفاته حملت عبء إكمال طباعة أحدث المعلومات ونشرها التى كانا قد حصلا عليها معًا من كوبا.

لم يلبث لويس طويلا حتى أبدى عدم ارتياحه لدراسة التاريخ. وبناء على نصيحة أخى زوجته إبراهام ماسلو (وكان زميلا بجامعة كولومبيا بعد الدكتوراه فى علم النفس) استشار روث بنديكت وتحول لدراسة الأنثروبولوچيا. وكانت جامعة كولومبيا تمر بمرحلة تحول فى ذلك الوقت، فقد تقاعد فرانز بواس (وإن استمر مقيما بالجامعة ويلقى مقررا دراسيا حضره لويس) وانتقل رالف لينتون من جامعة ويسكونسون لينضم إلى بنديكت وإلى هيئة التدريس التى كانت تضم علماء من أمثال دنكان سترونج Duncan Strong ومارجريت ميد وألكزاندر ليسر Alexander Lesser وچين ولتفيش Gene Weltfish وجلاديس رتشارد Gladys Retchard وچورچ هرتزوج George Herzog وغيرهم. وكان من بين زملائه من الطلاب چوزيف برام وإرفنج چولدمان وچاك هاريس وناتالى چوفى Joffee وبرنارد ميشكين ومارچن أوپلر وموريس سيجل وتشارلس واجلى. وكان الاهتمام بالدراسات السيكولوچية ودراسة الشخصية قويا فى القسم بفضل مؤازرة روث بنديكت (التى كانت دائما موضع إعجاب لويس) وميد وكذلك لينتون وإبراهام كاردينر وكورا ديبوا Cora duBois وغيرهم من الذين

شاركوا فيما أصبح حلقة بحث مؤثرة فى الدراسات البينية. فإلى جانب الفرويدية كانت هناك اهتمامات واسعة بالماركسية فى الجامعة والمجتمع المحيط بهـا، وقـد شـارك لويس فى هذه الاهتمامات ولكن كولومبيا كانت لا تزال رغم ذلك مركزا لاتجاهات فرانز بواس الانتقائية كما أن الالتزام السياسى بالاشتراكية ظل بعيدا بشكل عام عن النظرية الأنثروبولوچية لدى لويس طيلة حياته.

وقد ظهرت مواهب لويس وبشائر مستقبله فى أول عمل أكاديمى عن ثقافة هنود البلاك فوت Blackfoot Indians Culture. ففى صيف عام ١٩٣٩ قام لويس وزوجته بأول بحوثهما الميدانية بين جماعات البييجا Piega الشماليين فى مانيتوبا (فى الوقت الذى كان فيه طلاب آخرون من كولومبيا يدرسون جماعات أخرى من البلاك فوت أيضا). ووجد لويس وزوجته نموذجا خاصا للشخصية يتمثل فى "المرأة المسترجلة" manly-hearted woman. وكانت هذه الشخصية موضوع أول مقال نشره فى مجلة *American Anthropologist* عام ١٩٤١ . وفى ذلك المقال ربط لويس ذلك النموذج بالنظم الاجتماعية وبدور الجنس والسن عند البييجا ، ثم أجرى من أجل رسالته للدكتوراه دراسة إثنوتاريخية عن أثرالتوسع الأمريكى والكندى فى جماعات البلاك فوت. وقد أكمل رسالته ونشرها عام ١٩٤٢ وكانت مثالا يحتذى من حيث المنهج ودقة التوثيق التى كشفت عن أن ما كتب عن دور الحصان فى ثقافة البلينز (ثقافة السهول الوسطى فى أمريكا) – وهو كثير – يحتاج إلى المراجعة والتعديل لإبراز دور تجارة الفراء هناك.

فى عام ١٩٤٣/١٩٤٤ وبعد فترة قصيرة من العمل مع مشروع ملفات *مناطق العلاقات الإنسانية* *Human Relations Area Files* بجامعة ييل Yale ووزارة العدل بالولايات المتحدة قام لويس بدراسة ماأصبح يؤلف مجال بحوثه الرئيسى وهم أهالى المكسيك وبوجه أخص العائلات الفقيرة وكذلك أهالى بورتوريكو. فقد أرسله معهد الهنود الوطنى National Indian Institute إلى

مكسيكو سيتى لتمثيل الولايات المتحدة فى هيئة Interamerican Indianist Institute الذى أنشئ حديثا هو أيضا. وتحت إشراف عالم الأنثروبولوچيا المتميز مانويل جاميو Manuel Gamio أطلق المعهد برنامجا للنشر وتشجيع استخدام معرفة العلم الاجتماعى فى تحقيق الرفاهية لجماعات الهنود. وقد قبل لويس – كعمل إضافى – أن يدرس إحدى قرى الهنود ليتعرف بطريقة أفضل على مستلزمات العمل التطبيقى، واختار التبوزتلان Tepoztlan لذلك الغرض نظرا لأن روبرت ردفيلد كان قد نشر فى عام ١٩٣٠ ما كان يعتبر حينئذ أفضل دراسة عن القرية المكسيكية. ورأى لويس أن يبنى دراسته الخاصة عن الشخصية على أساس دراسة ردفيلد. وعلى أية حال فقد اشتهر المشروع فى النهاية بأنه دراسة جديدة ظهرت تحت عنوان الحياة فى قرية مكسيكية Life in a Mexican Village (1951) وكان الكتاب علامة مميزة فى المنهج الإثنوجرافى. وقد ترتب على هذا المشروع أن ارتبط لويس بإجراء أول سلسلة من المقابلات مع عائلات مكتملة، وهى المقابلات التى صارت ركيزة قامت عليها معظم أعماله التالية.

قبل أن يظهر كتابه عن تبوزتلان تعرض لويس لتجربة طارئة مفيدة. ففى عام ١٩٤٤/١٩٤٥ أجرى بعض الدراسات فى عدد من المجتمعات المحلية الريفية لوزارة الزراعة الأمريكية. وعلى عكس الوضع فى تبوزتلان وجد أمامه ثروة من المصادر الإحصائية التى خففت من أعباء البحث الميدانى بحيث لم يحتج سوى لأحد عشر أسبوعا لإتمام دراسته الممتازة لمقاطعة بل Bell County فى تكساس. كذلك كانت هذه الدراسة نقيضا مفيدا من ناحية أخرى لأنها أجريت فى قطاع من المجتمع الذى ينتمى هو إليه، وكانت نتيجة هذا التنوع فى التجارب أن عهدت إليه مؤسسة وينر- جرن Wenner-Gren Foundation كتابة مرجعين منهجيين أساسيين هما "*ضوابط وتجارب فى العمل الميدانى*" *Controls and Experiments in Field WorK (1953)* و"*مقارنات فى الأنثروبولوچيا الثقافية* *Comparisons in Cultural Anthropology (1955)*.

فى عام ١٩٤٦ عيّن لويس أستاذا مشاركا فى جامعة واشنطن فى سان لويس، وفى عام ١٩٤٨ دعته جامعة إلينوى لتطوير أول قسم مستقل للأنثروبولوچيا بها. وبدأ القسم العمل بعد انضمام چوزيف كازاجراندى Joseph Casagrande إليه وارتفع مستواه إلى مرتبة أرقى بانضمام چوليان ستيوارد Julian Steward إلى هيئة التدريس عام ١٩٥٢. وفى ذلك الوقت كانت شهرة لويس بلغت أوجها ولذا طلبت منه مؤسسة فورد أن يكون مستشارا لها فى برامجها فى الهند، ورحب لويس بهذه الفرصة الجديدة لتجربة بحثية مقارنة، (وكان قد أمضى بعض الوقت فى إسبانيا فى صيف عام ١٩٤٩). وكما هو شأنه دائما عمل أقصى ما يستطيع خلال عام واحد - بما فى ذلك إجراء دراسة ميدانية عامة - فى الفترة ما بين نوفمبر ١٩٥٢ ومايو ١٩٥٣ وظهرت النتائج فى كتاب *الحياة فى شمال الهند* *Life in Northern India* (1958)، كما أجرى دراسة "تطبيقية" على الطوائف castes تولت لجنة التخطيط الهندية نشرها عام ١٩٥٤.

وكما حدث فى المكسيك، ثم بعد ذلك فى بورتوريكو وكوبا، لقى لويس وزوجته كل تعاون من المؤسسات المحلية وانضم إليهما عدد من الزملاء والطلاب فى بحوثهما الميدانية البينية المعقدة.

فى عام ١٩٦٣ بدأ لويس دراسته لمائة عائلة بورتوريكية فى سان خوان وأقاربهم فى نيويورك، وحين توفى لم يكن نشر سوى المادة الخاصة بعائلة واحدة فقط من تلك العائلات (١٩٦٦). وفى الستينيات أيضا وبخاصة أثناء الفترة التى شن فيها الرئيس ليندون بى. چونسون الحرب على الفقر كان تصور لويس عن ثقافة الفقر التى تنطبق على دراساته البورتوريكية تصورا أساسيا ومناسبا من حيث التوقيت وإثارة المناقشات والجدل، وقد ظهرت كل تلك المناقشات فى مجلة *Current Anthropology* فى عدد خاص لعرض أعمال لويس أولا (باب عرض الكتب ١٩٦٧) ثم مناقشته لانتقادات تشارلس ڤالنتاين Charles Valentine (Lewis,1969 b).

وكان لويس قد قام فى عام ١٩٤٦ بزيارة سريعة لكوبا قبل الثورة. وفى فبراير ١٩٦٨ دعاه فيدل كاسترو لدراسة عائلات هافانا. وقد تولت مؤسسة فورد التمويل بحيث تمكن هو وفريق من الباحثين معه من إجراء مقابلات مع مئات الفقراء والأقل فقرا. وقد تخلت الحكومة الكوبية عن رعاية المشروع وبذلك توقفت الدراسة قبل أن يكتمل البحث فى عام ١٩٧٠ قبل وفاة لويس بوقت قصير. إلا أن معظم المادة الميدانية كانت معدّة للنشر وقد نشرت بالفعل بعد وفاته تحت عنوان شامل هو : *الحياة تحت الثورة ، التاريخ الشفاهى لكوبا المعاصرة* ; ***Living in Revolution ; An Oral History of Cuba Contemporary*** (1977-1978). وقد حملت ثلاثة مجلدات اسم أوسكار لويس على أنه المؤلف الرئيسى وهذه المجلدات هى : ***Four Men ; Four Women ; Neighbors***. ويعرض كتاب ***Neighbors*** حياة خمس عائلات تعيش فى منزل مكون من عدد من الشقق فى إحدى ضواحى الطبقة العليا السابقة فى هافانا. فقد كانت تلك المساكن الثرية التى هجرها الآلاف من ملاكها قد آلت إلى الدولة بعد الثورة وحولتها الحكومة إلى منافع عامة أو مساكن للإيجار. وبينما أول كتاب للويس عن العائلة كان يصف يوما فى حياة كل عائلة من العائلات المكسيكية الخمس على حدة بعيدا عن العائلات الأخرى فإن آخر كتاب له فى الموضوع، وهو كتاب ***Neighbors*** كان يصف أساليب الحياة لدى الجيران المتجاورين وتنوع العلاقات بينهم عبر الزمن.

إسهامات لويس : ربما كان أكثر إنجازات لويس بقاء وتأثيرا هو انشغاله بالتعبير عن الناس العاديين وعائلاتهم. وقد أثيرت بعض الشكوك حول بعض العبارات الإنجليزية التى ظهرت فى السير الذاتية الأولى عن أنها لا تعبر بدقة عن الأفكار التى قيلت أصلا باللغة الإسبانية، إلا أن هذه الشكوك انهارت تماما بمجرد نشر التسجيلات الصوتية الأصلية بالإسبانية لتلك المقابلات. فلقد كان لويس أمينا إلى أبعد الحدود وكان اهتمامه المهنى الأول هو الوصول بالمناهج المستخدمة فى العمل الميدانى إلى درجة الكمال كما أنه كان قادرا

بدرجة غير عادية على القيام بمثل هذه المقابلات الشخصية بنجاح، بل والأكثر من ذلك قدرته الواضحة على اختيار وتدريب المساعدين على القيام بهذه المهمة. وقد انتقد البعض تلك المقابلات المنشورة بأنها لا تقدم معلومات عن الأسئلة التى أغرت الأهالى على القص والحكى أو تلك التى تدور حول الظروف والأوضاع التى قد تفسر الأحوال المتغيرة فى تلك السير الذاتية. والواقع أن الصفحات التى طبعت من المادة الأصلية قد تتجاوز حجم المعلومات الأولية التى نشرها أى باحث إثنوجرافى آخر خلال النصف الثانى من القرن العشرين. بل إن كل المعلومات التى تم نشرها لا تؤلف إلا جانبا يسيرا من ذلك الكم الضخم من الأشرطة المسجلة والمذكرات الخطية وغيرها من المواد المتاحة للباحثين والمحفوظة فى (أرشيف) لويس بجامعة إلينوى. وليس هناك فى الوقت الحالى أى مصدر أكثر غنى وثراء لتوثيق أفكار مئات من المكسيكيين والبورتوريكيين والكوبيين فى فترة التغيير. ونظرا لأن الإخباريين كانوا مختارين باعتبارهم أشخاصا " عاديين " فإن تلك المقابلات تكشف عن المفارقة فى أن البشر يكادون أن يكونوا جميعا أناسا فوق العاديين بشكل من الأشكال.

كان لويس قد أنهى قبل وفاته إعداد مجموعة من أعماله حتى عام ١٩٦٥ ظهرت فى كتابه مقالات أنثروبولوچية Anthropological Essays (1970). ويستشف من الكتاب أن لويس كان يشعر بالرضا عن مجمل عمله وأنه لم يأسف لعدم اهتمامه بالنظريات الكبرى بل إنه كان فخورا بأنه كان ماهرا ودقيقا على المستوى المهنى . فقد كان يشعر بأنه استطاع أن يفهم العمليات الثقافية - التاريخية - الاجتماعية وتفاعلاتها مع الأحداث الجارية كبيرها وصغيرها مع القدرة على تفسيرها على مستوى أقرب إلى البيانات الميدانية ودون حاجة إلى الالتجاء إلى التعبيرات العلمية الطنانة وأنه كان يكشف عن الظواهر من خلال القراءة المتأنية العميقة والعمل الميدانى. كذلك كان يشعر بالفخر لقيامه بتطوير دراسات تاريخ حياة العائلة باعتبارها

إضافة إلى المنهج، كما كان يعتقد أن من الملائم جدا أن يدع الناس يتكلمون عن أنفسهم. وكان لويس يسير على نهج أساتذته الذين أعجب بهم من أمثال كوهين وبواس وبنديكت ولينتون الذين كانوا يحاولون التوصل إلى طرق وأساليب لدراسة المشكلات الإنسانية الكبرى. وكان على ثقة من أن فى مقدور كل باحث أن يقدم منظورات تؤلف أجزاء من منظورات أكبر وأشمل يمكن أن تؤدى فى آخر الأمر إلى ظهور علماء جدد من مستوى داروين وماركس وفرويد.

كانت معظم الظواهر التى اهتم لويس بدراستها هى المجتمعات والناس الذين يمرون بمرحلة تغير من القرية إلى المدينة. وقد انطلق من مفهوم ردفيلد عن المتصل المؤلف من (الفولك) إلى المدينة. وكان من المصادفات البحتة أنه مثل ردفيلد قام بدراسته الميدانية الأساسية فى المكسيك ومنطقة الكاريبى وأن الاثنين أبديا فى مرحلة تالية اهتماما بالهند. فلقد كانت البداية الأساسية للويس فى "مدينة ردفيلد" تبوزتلان هى التى أدت إلى اهتمامه الخاص بفكر ردفيلد. ففى عام ١٩٢٦ كان ردفيلد قد اكتشف "الفولك" فى تبوزتلان الذين يتعارضون تماما مع الأهالى فى المجتمع الذى ينتمى هو نفسه إليه ليس فقط من حيث الصفات الخاصة لكل منهما المستمدة من خلفيته الثقافية (الخلفية الإسبانية الناهواتية والخلفية الأمريكية الأوروبية الشمالية) ولكن أيضا من حيث الكيان الديموجرافى الاجتماعى ، وقد شعر ردفيلد أن تجربته الخاصة فى الحياة الريفية التى كانت فى طريقها إلى الزوال بسرعة بها شىء مشترك مع حياة القرى فى تبوزتلان. وفى عام ١٩٣٠ حين بدأ بحوثه فى يوكاتان Yucatan أوحت إليه مناقشاته مع روبرت إى. باركر فكرة القيام بدراسات منهجية لعمليات التغير من الحياة الأكثر شعبية إلى الأقل شعبية مع الانتقال من البرارى إلى المدينة. ومن خلال الاستعانة بالتصورات التى سبق تطويرها على أيدى تونييس Tonniesوفيبر وزيمل Simmel وغيرهم قدم ردفيلد طرازا من المتصل النظرى وضع على أحد طرفيه نموذجا مثاليا

للجماعة الشعبية (الفولك) فى المجتمع المحلى الصغير وعلى الطرف الآخر المقابل نموذجا مثاليا حضريا، وذهب إلى أن كل المجتمعات يمكن ترتيبها على طول هذا المتصل. وقد وجد لويس أنه لا يقوم فى تبوزتلان بإعادة دراسة المدينة من منظورات مختلفة فحسب ولكنه يعيد أيضا التفكير فى تصورات ومفاهيم ردفيلد النظرية وبخاصة منذ أن بدأ هو نفسه دراسة شعب تبوزتلان وغيرهم من الشعوب فى مكسيكو سيتى. وقد استفاد من نظرية ردفيلد عن الفولك والحضر ومن مصادفة تطابق مناطق دراساتهما الميدانية ومن الاتصال الشخصى والصداقة مع ردفيلد حتى موت ردفيلد عام ١٩٥٨. وفى ذلك الوقت كان لويس قد استغرق تماما فى دراساته عن العائلة الحضرية وفى المجادلات العنيفة حول مفهوم ثقافة الفقر.

وكما هو شأن معظم الأنثروبولوچيين كان لويس يشعر بالتعاطف والاحترام نحو الأشخاص الذين عرفهم أثناء دراساته الميدانية بما فيهم الأفراد الذين كانوا يحتقرون أنفسهم. وكما هو شأن معظم الأنثروبولوچيين أيضا اتخذ لويس بناء على ذلك موقفا إيجابيا إزاء معتقداتهم وسلوكهم، وبصرف النظر عما إذا كانوا فقراء أم أغنياء فقد كانت لهم ثقافة تختلف عن ثقافته، بل إن الذين كانوا على درجة كبيرة جدا من الفقر كانوا يتصرفون بطريقة مختلفة عن الأقل فقرا، وقد وصفهم لويس بأن لديهم ثقافة فرعية داخل الثقافة العامة، ولم تكن تلك الثقافة الفرعية أسلوبا للحياة أقل شأنا من الثقافة العامة. وقد استخدم لويس تعبير "ثقافة الفقر" لكى يتجنب أية تداعيات سيئة. وبعد أن درس العائلات الشديدة الفقر فى تبوزتلان وفى نيومكسيكو لاحظ أن ثمة أوجه تشابه مع المادة المنشورة عن العشوائيات فى مناطق أخرى، وقد أطلق الصيغة العامة للملامح التى ترتبط بالفقراء وهى عبارة "ثقافة الفقر" وظهر المصطلح لأول مرة فى العنوان الفرعى لكتابه Five Families الصادر عام ١٩٥٩. وقد ظهر آخر تفسير لهذه الصيغة فى كتابه عن : *دراسة لثقافة العشوائيات* *A Study of Slum Culture* *(1968)* :

(١) تظهر هذه الملامح فى عدد من التجمعات وترتبط وظيفيا داخل كل تجمع. (٢) كثير من هذه الملامح فى التجمعات المختلفة، ولكن ليس كلها، ترتبط أيضا وظيفيا. مثال ذلك أن الأشخاص الذين يحصلون على أجور منخفضة ويعانون من البطالة المزمنة يكوّنون صورة سيئة عن ذاتهم ويرفضون تحمل المسئولية ويهجرون زوجاتهم وأطفالهم ويرتبطون بنساء أخريات بمعدلات أعلى من الأشخاص الذين يحصلون على أجور مرتفعة ويمارسون أعمالا ثابتة. (٣) ليس هناك من بين تلك الملامح، إذا أخذ كل منها على حدة، ملمح مميز بذاته لثقافة الفقر الفرعية وإنما ترابط تلك الملامح معا ووظيفتها وتنميطها هى التى تحدد الثقافة الفرعية. (٤) ثقافة الفقر الفرعية - كما تحددها تلك الملامح - هى بروفيل إحصائى بمعنى أن درجة تواتر توزيع تلك الملامح سواء كل منها على انفراد أو على شكل تجمعات سوف يكون أعلى وأكبر منها لدى بقية السكان. ويقول آخر فإن عددا أكبر من تلك الملامح تظهر معا فى العائلات التى تعيش وسط ثقافة فقر فرعية عن العائلات التى لا توجد لديها تلك الثقافة الفرعية. (٥) بروفيلات الثقافة الفرعية يحتمل أن تختلف بطريقة منهجية وباطراد باختلاف السياقات الثقافية الوطنية التى تؤلف هى جزءا فيها. ومن المتوقع أن تظهر بعض الملامح الجديدة بالبحث فى المجتمعات الأخرى .

وقد كان فى استطاعة لويس أن يتجنب كثيرا من الانتقادات التى انهالت على ذلك التعبير الشائع لو أنه حرص عند استخدامه لأول مرة عام ١٩٥٩ على توضيح ما يعنيه به، فقد أريق مداد كثير بغير داع ضد استخدامه كلمة "ثقافة" (التى أوحت للبعض بأن الفقراء يؤلفون مجتمعا مستقلا) بدلا من كلمة "ثقافة فرعية". كذلك كان فى إمكانه أن يجرد النقاد من أسلحتهم الهجومية لو أنه بيّن كيف أن السير الذاتية فى أعماله المنشورة كانت تتلاءم أو تنحرف عن نمط الفقر حتى ولو جاء ذلك التوضيح على حساب طرافة القصة. ومع ذلك فلم يكن فى استطاعته أن يتجنب الانتقادات التى ربطت بين آرائه ورؤاه وآراء ورؤى الرجعيين الذين يلومون الفقراء على فقرهم. فمع أنه

كان يعتنق نظرة إيجابية نحو الفقراء فإنه كان يمقت الفقر، وبطبيعة الحال كان ينظر إلى الفقراء على أنهم ضحايا. ولكنه تعرض للنقد لنشره رؤية كثيرا ماأسيء استخدامها ضد الفقراء. بل كان هناك من هم أشد قسوة فى النقد وهم الذين كانوا فى رغبتهم تجريد الذين يلومون الفقراء من حججهم بالغوا فى تضخيم بعض جوانب الضعف فى نظرة لويس ومعلوماته.

وقد أجاب لويس عن الانتقادات التى يمكن الإجابة عنها فى رده على الكتّاب الذين عرضوا أعماله Book Re- views1.1967, (p.499) :

[.... من الخطأ الجسيم أن نجمع كل الفقراء معا لأن أسباب ومعنى ونتائج الفقر تتباين كثيرا بتباين السياقات الثقافية والاجتماعية. فليس ثمة شىء فى المفهوم يرد عبء الفقر إلى سلوكيات وشخصية الفقراء، كما أن المفهوم الأصلى لا يقلل من شأن الاستغلال والإهمال اللذين يعانى منهما الفقراء. والواقع أن ثقافة الفقر الفرعية هى جزء من ثقافة الرأسمالية التى تستخدم نظمها الاجتماعية والاقتصادية لتركيز الثروة فى أيدى فئة صغيرة نسبيا وبذلك تساعد على ازدياد الفوارق الطبقية الحادة].

ولكن تظل المشكلة الحقيقية قائمة. فالثقافة أو الثقافة الفرعية تحرص على وجودها بشكل دائم. وكان لويس يهدف إلى توكيد أن هذا هو الوضع فى حالة الفقر. ومع أن الضغوط التى يفرضها المجتمع الكبير كانت هى السبب الرئيس فى استمرار وجود الثقافة الفرعية فإنه كتب يقول : " ليس هذا هو السبب الوحيد. فالثقافة الفرعية تطور آليات تعمل على استمرار وجودها وبخاصة نتيجة لما يحدث لرؤية العالم وللتطلعات ولشخصية الأطفال الذين سوف ينشئون فيها. ولذا فإن تحسين الأوضاع الاقتصادية – رغم أهميته وأولويته المطلقة – لن يكفى لتغيير ثقافة الفقر الفرعية تغييرا جذريا فضلا عن القضاء عليها تماما. يضاف إلى ذلك أنها عملية سوف تستغرق أكثر من جيل واحد حتى تحت أفضل الظروف بما فى ذلك قيام ثورة اشتراكية. " (Book Reviews 1.1967,p.499)

وحانت الفرصة لاختبار هذه القضية عن طريق فحص صدق العبارة الأخيرة حين قامت الثورة الاشتراكية فى كوبا التى غيرت البناء الاجتماعى الذى انهار فوق رءوس الفقراء. فعدد كبير من العائلات التى درسها كانت تعيش عيشة الفقر فماذا حدث لها ؟ لم يعش لويس لكى يخبرنا، ولكن زميله فى البحث دوجلاس بطرويرث Douglas Butterworth (1972) كتب يقول إن لويس لم يكن قد انتهى عند وفاته من تكوين رأى نهائى حول إذا ما كانت "ثقافة الفقر" استطاعت أن تصمد بعد الثورة، "ولكن انطباعاتى الخاصة من الحديث معه ومن تجربتى أنا شخصيا فى كوبا ...[تبين] أنه خلال اعتناق المثل الاشتراكية والقومية فى التنظيمات الثورية كان نحو ثلث العائلات التى درسناها والتى تنطبق عليها نظرية ثقافة الفقر قد خرجت عنها تماما ". (صفحة ٧٥٣) . والمجلدات الثلاثة التى نشرت بعد وفاة لويس عن Living the Revolution تحتوى على خمس عشرة سيرة حياة طويلة وثلاث عشرة سيرة جزئية وعدد قليل جدا منها ظل يعانى الفقر بحيث يصعب الوصول منها إلى نتائج إحصائية، ولكن ملفات الأرشيف تحتوى على حالات أخرى كثيرة وربما كان أوسكار لويس نفسه ، الذى كثيرا ماكان يرجع إلى العائلات المكسيكية كما حدث عند تأليفه كتاب Death in the Sanchez Family (1969) ينصح بأن تستمر الدراسة الميدانية مع الأجيال التالية من العائلات الكوبية على أمل أن يؤدى الأمان الاقتصادى إلى آثار أسرع مما كانت تتنبأ به " ثقافة الفقر". وحتى حين كان يحاول تصحيح سوء الفهم حول المفهوم كثيرا ما كان يذكر أنها بالنسبة له لم تكن نظرية كبرى وأنها لم تكن بالتأكيد من الأهمية بحيث تقلب المثل الاجتماعية التى تنادى بمبدأ المساواة.

المؤلف : - Sol Tax

المترجم : - أحمد أبوزيد

Works by Oscar Lewis

Supplementary Bibliography

WORKS BY LEWIS

1941 Manly Hearted Women Among the North Piegan. *American Anthropologist* 43:173–187.

1942 *The Effects of White Contact Upon Blackfoot Culture*. Monographs of the American Ethnological Society, Vol. 6. New York: Augustin.

1948 *On the Edge of the Black Waxy: A Cultural Survey of Bell County, Texas*. Washington University Studies, New Series, Social and Philosophical Sciences, No. 7. St. Louis: The University.

1951 *Life in a Mexican Village: Tepoztlán Restudied*. Urbana: Univ. of Illinois Press. → A paperback edition was published in 1963.

1953 Controls and Experiments in Field Work. Pages 452–475 in *Anthropology Today*. Univ. of Chicago Press.

1954 *Group Dynamics in a North-Indian Village: A Study of Factions*. New Delhi: Programme Evaluation Organization, Planning Commission.

1955 Comparisons in Cultural Anthropology. Pages 259–292 in William L. Thomas (editor), *Yearbook of Anthropology*. New York: Wenner–Gren Foundation.

1958 *Village Life in Northern India: Studies in a Delhi Village*. Urbana: Univ. of Illinois Press. → A paperback edition was published by Vintage in 1965.

1959 *Five Families: Mexican Case Studies in the Culture of Poverty*. New York: Basic Books. → A paperback edition was published by the New American Library in 1965.

1961 *The Children of Sánchez: Autobiography of a Mexican Family*. New York: Random House. → A paperback edition was published by Vintage in 1966.

1964 *Pedro Martínez: A Mexican Peasant and His Family*. New York: Random House. → A paperback edition was published by Vintage in 1964.

1966 *La Vida: A Puerto Rican Family in the Culture of Poverty—San Juan and New York*. New York: Random House.

1968 *A Study of Slum Culture: Backgrounds for La Vida.* New York: Random House.

1969*a* *A Death in the Sánchez Family.* New York: Random House. → A paperback edition was published in 1970.

1969*b* Review of Culture and Poverty: Critique and Counter-proposals by Charles A. Valentine. *Current Anthropology* 10:189–192.

1970 *Anthropological Essays.* New York: Random House.

1977–1978 LEWIS, OSCAR; LEWIS, RUTH M.; and RIGDON, SUSAN M. *Living the Revolution: An Oral History of Contemporary Cuba.* 3 vols. Urbana: Univ. of Illinois Press. → Volume 1: *Four Men,* 1977. Volume 2: *Four Women,* 1977. Volume 3: *Neighbors,* 1978.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

Book Reviews of *The Children of Sánchez, Pedro Martínez,* and *La Vida. Current Anthropology* 1967 8:480–500. → Fourteen reviews by different authors.

BUTTERWORTH, DOUGLAS 1972 Obituary of Oscar Lewis. *American Anthropologist* 74:747–757.

REDFIELD, ROBERT 1930 *Tepoztlán, a Mexican Village: A Study of Folk Life.* Univ. of Chicago Press.

ليڤى - ستروس : كلود

LÉVI -STRAUSS ; Claude

ولد كلود ليڤى - ستروس فى الثامن والعشرين من نوفمبر عام ١٩٠٨ فى بروكسل حين كان والداه يقيمان هناك بشكل مؤقت، إذ كان أبوه فنانا مصورا يقوم حينذاك برسم مجموعة من البورتريهات. وقد عادت العائلة إلى باريس بعد مولد كلود بشهرين اثنين. وقد عاش ليڤى - ستروس فى باريس بشكل دائم حتى عام ١٩٣٥ فيما عدا سنوات الحرب العالمية الأولى التى أقام أثناءها فى ڤرساى هو ووالداه وبعض أقاربه فى منزل جده لأمه الذى كان الحاخام الأكبر للمدينة.

وينتمى ليڤى - ستروس إلى أصول ألزاسية (من ستراسبورج وضواحيها). وكان معظم رجال العائلة من رجال الدين اليهودى ومن التجار. فأيزاك ستروس، وهو الجد الأكبر لليڤى - ستروس كان قائدا للأوركسترا ومؤلفا موسيقيا انتقل إلى باريس فى بداية القرن التاسع عشر. وعلى الرغم من بروز رجال الدين اليهودى فى العائلة فإن ليڤى - ستروس ووالديه لم يكونا من المؤمنين فى أى وقت من الأوقات.

وقد حصل ليڤى - ستروس فى وقت واحد على ليسانس فى القانون وأخرى فى الفلسفة وأصبح (أجريجيه) فلسفة عام ١٩٣١. وخلال دراساته العليا كان عضوا نشيطا فى الحزب الاشتراكى وكتب أول عمل نشر له تحت عنوان *Gracchus Bohal et la commu-nism* (1928).

بعد انقضاء فترة الخدمة العسكرية تولى التدريس فى إحدى مدارس الليڤيه لفترة لا تزيد كثيرا على العامين. وفى عام ١٩٣٤ عين مدرسا لعلم الاجتماع فى جامعة ساو باولو فى البرازيل وهناك كان يمضى الأوقات التى لا ينشغل فيها بالتدريس فى إجراء دراسات ميدانية بين الهنود الأمريكيين فى البرازيل. وبناء على أول إسهام إثنوجرافى أنجزه (١٩٣٦) ومعرض فى "متحف الإنسان" بباريس لبعض

المصنوعات اليدوية التى كان قد جمعها تم الاعتراف به كإثنولوجى من أساتذة ذلك الحين من أمثال مارسيل موس وبول ريفير ولوسيان ليفى - بريل وترتب على ذلك حصوله على منحة لمزيد من البحث الميدانى فى البرازيل خلال الفترة ١٩٣٨ - ١٩٣٩ . وقد استدعى للتجنيد عام ١٩٣٩ فغادر إلى نيويورك بعد أن احتل النازى فرنسا وهناك التحق بقوات فرنسا الحرة فى حين كان فى الوقت ذاته يقوم بالتدريس فى المدرسة الحرة للدراسات العليا. وكان من ضمن معارفه فى نيويورك الفنان السريالى أندريه بريتون وماكس إرنست وزميله عالم اللغويات رومان ياكوبسون الذى ارتبط به بروابط صداقة دائمة أدت إلى تأثيرات متبادلة عميقة. وعاد ليفى - ستروس إلى باريس لفترة قصيرة عام ١٩٤٤ قبل أن يتم إرساله مرة أخرى إلى نيويورك كمستشار ثقافى لفرنسا.

فى عام ١٩٤٣ شرع ليفى - ستروس فيما أصبح أول عمل ضخم له وهو كتاب الأبنية الأولية للقرابة ***Les structures élémentaires de la parenté*** **(1949)**، وكان قد نشر فى ذلك الحين ورقة تعتبر هى " ميثاق" البنيوية وهو مقال " التحليل البنائى فى اللغويات والأنثروبولوچيا " **L'Analyse structural en linguistique et en anthropologie** "(١٩٤٥ وأعيد طبعها فى ١٩٥٨ الفصل الثانى) وكذلك مقالا عن إثنوجرافيا جماعات نامبيكوارا **Nambikwara** **(1948)**. وحين عاد إلى باريس عين مديرا مساعدا لمتحف الإنسان **Musé de l'homme** وشغل ذلك المنصب حتى عام ١٩٥٠ حين شغل كرسى مدير البحوث فى المدرسة العملية للدراسات العليا، وهى مؤسسة ذات مكانة مرموقة. وقد نشر كتابه الذى شهد رواجا وتقريظا كبيرين وهو كتاب *المدارات الحزينة* ***Tristes tropiques*** عام ١٩٥٥ كما نشر عددا من المقالات المهمة تحت عنوان الأنثروبولوچيا البنائية ***Anthropologie struturale*** عام ١٩٥٨ . وهذه الأعمال وكذلك كتاب الأبنية الأولية للقرابة جعلت منه أبًا للبنيوية فى الأنثروبولوچيا

وقد خطط ليفى - ستروس لمواصلة تحليله للقرابة وكان يعد العدة

لإصدار مجلد ثان عن الأبنية المركبة حين تم تعيينه فى "المدرسة". ولما كان ذلك الكرسى مخصصا لأديان الشعوب غير المتعلمة فإنه حوّل تركيزه واهتماماته فى البحث إلى الأساطير والدين (١٩٥٨ وانظر بوجه خاص الفصل الحادى عشر عن " بناء الأساطير" (La structure des mythes).

فى عام ١٩٥٩ أنشئ له كرسى الأنثروبولوجيا الاجتماعية فى الكوليج دو فرانس وهى أعلى معهد أكاديمى فى فرنسا ، وبعدها بفترة قصيرة أنجز ما يمكن اعتباره المرحلة الثانية من أعماله وهى نشر كتاب الطوطمية فى الوقت الحالى *Le totémisme aujourd'hui* (1962b) وكتاب الفكر الوحشى *La pensee sauvage* (1962 a.) ثم جاءت مرحلة ثالثة وفى بدايتها تم توسيع مجال المرحلتين السابقتين ونشر كتاب النيئ والمطبوخ *Le cru et le cuit* عام ١٩٦٤ وهو المجلد الأول من مجموعة كتبه الأربعة بعنوان أسطوريات *Mythologiques* (1964-1971) التى كرّسها لتحليل مايقرب من ألف أسطورة من أساطير هنود أمريكا. وقد ظهر الكتاب الثانى من *الأنثروبولوجيا البنيوية Anthropologie structurale deux* عام ١٩٧٣ وهى السنة التى انتخب فيها عضوا بالأكاديمية الفرنسية. وقد توسع نطاق كتاب أسطوريات فى كتابه التالى طريق الأقنعة La voie des masques (1975) وهو مؤلف من جزأين فى تحليل فن وشعائر هنود أمريكا على الساحل الشمالى الغربى للباسفيكى وظهرت الطبعة الثانية عام ١٩٧٩ متضمنة المجالات التى عالجها فى مقالاته التالية.

وقد حصل ليڤى – ستروس على عدد من شهادات الدكتوراه الفخرية كما منح ميدالية هكسلى التذكارية من "معهد الأنثروبولوجيا الملكى لبريطانيا العظمى وإيرلندا " عام ١٩٦٥ والميدالية الذهبية الدولية وجائزة مؤسسة ڤايكنج عام ١٩٦٦ والميدالية الذهبية للمركز القومى للبحوث العلمية عام ١٩٦٧ وجائزة الرئيس الإيطالى عام ١٩٧١ وجائزة إرازموس عام ١٩٧٣. وكان قد تزوج عام ١٩٥٤ من

السيدة مونيك Monique مؤلفة كتاب Shalia Hicks (1973) عن أعمال تلك الفنانة الأمريكية التى كانت تعيش فى فرنسا، وكان لمونيك نشاط أيضا فى الترجمة الأنثروبولوچية.

التوجه الفكرى : جاءت أهم التأثيرات الفكرية التى خضع لها تفكير ليڤى - ستروس من علم الچيولوچيا وكتابات زيجموند فرويد وكارل ماركس. وهو يقول فى ذلك :

" يبدو لى أن الماركسية كما حددها مؤسسها تتبع نفس العمليات التى تتبعها الچيولوچيا والتحليل النفسى، فالثلاثة تبين أن الفهم يقوم على رد نمط من الحقيقة إلى نمط آخر. فالحقيقة لم تكن أبدا الشىء الواضح البيّن، وأن طبيعة ماهو صادق تظهر فى نفس قدرته على المراوغة والالتباس. والمشكلة واحدة فى كل الحالات وتنحصر فى العلاقة بين ماهو محسوس وما هو عقلانى كما أن البحث عن هدف له خصائص ثابتة وأنه نوع من مافوق العقلانية التى تهدف إلى تكامل الشيئين معا دون أية خسارة " (١٩٥٥ صفحة ٤٤)

ولقد كان هذا التوجه المعرفى أكثر إشباعا له من كل عملية التدريب الأكاديمى الذى تلقاه أثناء دراساته العليا التى يقول عنها " فى التحليل الأخير لم تكن المسألة هى الكشف عما هو صادق وما هو زائف لكى نفهم كيف استطاع الإنسان أن يتغلب بالتدريج على التناقضات" (١٩٥٥، صفحة ٣٨)، فقد كان يرفض هذا الموقف ويقول " المعرفة.... تتألف فى اختيار الجوانب الحقيقية أى الجوانب التى تتوافق مع خصائص تفكيرى " ليس على طريقة الكانطية الجديدة ولكن " لأن تفكيرى نفسه هو شىء موضوعى وأنه جزء من هذا العالم ولذا فهو يشارك فى نفس الطبيعة " (p. 42; see also , 1955 1964-1971,vol. 4,p.621)

ورغم أنه تعرض فى الجامعة لكتابات المدرسة الفرنسية فإنه ظل شديد الالتصاق بالإثنولوچيا ولذا فإن قراءته عام ١٩٣٣ أو ١٩٣٤ لكتاب روبرت لوى Robert Lowie عن المجتمع البدائى *Primitive Society* الذى كان قد صدر عام ١٩٢٠ كان نوعا من

الكشف بالنسبة له إذ وجد فيه "تجربة حية عن المجتمعات الوطنية الأصيلة، وهى تجربة لها معنى لأنها جاءت من خلال مشاركة الباحث عن طريق الملاحظة" وذلك على نقيض " التحولات المشوهة إلى تصورات ميتافيزيقية للمعلومات الموجودة فى المصادر المنشورة "(1955,pp.45-46)، ومن هنا يعتبر لوى وفرانز بواس وكروبر أهم المؤثرين فى سنوات تكوينه كأنثروبولوجى.

وفى مرحلة تالية، وبتوجيه من ياكوبسون Jacobson تعرّض ليفى ستروس لتأثير مدرسة براغ ولغويات دوسوسير de Saussure (1958,chapter2) ولكن نظرا لأن بنائية دوسوسير كانت مستمدة بشكل أساسى من المبادئ التى وضعها أعضاء المجلة السنوية لعلم الاجتماع L'Annee sociologique (وبخاصة دوركايم وموس) فقد ترك علماء الاجتماع الفرنسيون طابعهم هم أيضا على فكر ليفى ستروس وإن يكن بشكل غير مباشر

ومن بين علماء الأنثروبولوچيا الاجتماعية ربما كان العالم البريطانى رادكليف – براون الشخص الذى اشتبك فى جدال مع ليفى ستروس بشكل مكثف سواء عن طريق الاتصالات الخاصة أو على الصفحات المنشورة حول عديد من القضايا الأساسية (1949; 1958;1962 a)، فقد وقع ليفى ستروس أسيرا لنظرية رادكليف – براون الذكية عن الوظيفية وإن كانت فى الوقت ذاته أثارت امتعاضه وألهبت تفكيره. ومن بين زملائه المحدثين كان ماير فورتس وإدموند ليتش وفيكتور تيرنر أكثرهم تحديا له.

ولقد حدد ليفى ستروس معالم نمطه المعرفى الخاص بأنه عتيق من العصر الحجرى الحديث - Neolithic حسب تعبيره هو نفسه (1955,p.39). فقد كان يمارس طريقة " القطع والإحراق slash and burn" المستخدمة فى الزراعة كأسلوب لتطوير أفكاره، فيقوم أحيانا بتطهير" الأراضى البكر "وزراعتها ثم يجمع بسرعة قليلا من الحصاد لكى يترك وراءه "أرضا خاوية". ولكن الواقع أن هذه الأرض

الخاوية كانت فى آخر الأمر قابلة للحياة من جديد. فإذا رجعنا إلى الفصل السابع من كتابه المدارات الحزينة حيث استخدم منظر غروب الشمس التى تذوب فى الظلام " كنموذج للوقائع التى كان يتعين علىّ أن أدرسها فيما بعد "، فإنه فى كتاب الإنسان العارى l'Homme nu (1964-1971,vol.4,p.620) يقول :" أليس هذا المنظر (غروب الشمس) هو صورة الجنس البشرى نفسه وما وراء الجنس البشرى من كل أشكال الحياة التى تنمو بفعل التطور وتتنوع لكى تمحو ذاتها بل وتمحو فى آخر الأمر ذات الطبيعة وذات الحياة بل وذات الإنسان نفسه وكل تلك الأفعال الرقيقة المهذبة التى تؤلف اللغات والنظم الاجتماعية والعادات وأعمال الفن بحيث لايبقى شئ ؟ "

بنيوية ليفى – ستروس : فى مقدمة كتابه أسطوريات: النيئ والمطبوخ يقول ليفى ستروس "إننا لا ندعى أننا نبين كيف يصنع الإنسان الأساطير وإنما كيف تصنع الأساطير نفسها من خلال البشر دون أن يدروا" Yale French Studies,quoted by) (Leach,in 1970,p. 51. وبعد إحدى عشرة سنة، وفى عبارة مماثلة تلخص نتائج *طريق الأقنعة*، (1975,vol. 2,p.124) يقول : "وفى رغبته فى أن ينأى عن الناس فإن وهم الفنان بالهدوء قد يكون مفيدا ولكن الميزة التى يمنحها لنفسه غير حقيقية . فبينما هو يظن أن تعبيراته تلقائية وأن أعماله أصيلة فإنه يردد غيره من الفنانين المبدعين السابقين والمعاصرين، الحقيقيين والناشئين. وسواء أدركنا أم لم ندرك فإن الإنسان لا يسير وحده أبدا فى طريق الإبداع".

والمكونات الرئيسية فى بنيوية ليفى – ستروس هى الأنساق الدلالية ذات الخاصية الثقافية والقواعد العامة التى تكمن تحتها إذ إن لها رسوخا بنيويا واستمرارا عبر الزمن وقدرة على مقاومة التغير، كما أنها تكشف عن نفسها من خلال الأشخاص الذين يحملونها دون أن يدركوا ذلك. فصانعو الأساطير والشعراء وغيرهم من المبدعين هم الذين تظهر فى أعمالهم "

التصورات الجماعية " التى يعاد صياغتها لتحييد التاريخ، أى لكى يردوا عشوائية الأحداث المعاصرة إلى أنماط ثقافية مقبولة (1962b,1964-1971). فالوحدات الاجتماعية تستمد هويتها من قواعد نموذجية تساعدها على إقامة تقسيمات وتصنيفات وأن تتفق على مشابهات وعلى المشابهات بين المشابهات وعلى مشابهات بين المختلفات، كما أن هذه الوحدات الاجتماعية تستطيع أن تتواصل فيما بينها عن طريق تلك القواعد النموذجية (1962b).

ويقول آخر فإن الثقافات هى ميكانيزمات محددة تبنى وتنظم العقول البشرية المرتبطة بتركيبات متسقة (كما هو الحال بالنسبة للمطبخ الفرنسى وسيقان الضفادع) أو غير متسقة (كما هو الشأن بالنسبة لتحريم أكل لحم الكلاب والتابوات المفروضة على الزواج بين الإخوة والأخوات)، وهذه على أية حال هى مهمة الشخص الذى يتولى عملية التصنيف والتفسير.

مثل هذه التركيبات والأبنية السيمانتيكية (الدلالية) لا يمكن رؤيتها بشكل مباشر وإنما هى تكشف عن نفسها فى مختلف صور وأشكال النظم والعادات التى ارتبطت بالإنسان كالقرابة والزواج وبابا نويل والفلك والموسيقى والطهى والخيال العلمى بل والأنثروبولوجيا ذاتها وغير ذلك كثير. ويعالج ليفى - ستروس هذه الأبعاد المتنوعة للثقافة البشرية ويثير حولها تساؤلات مثل هل تركيب ترميز العمليات يختلف فى النوع أم فى الدرجة فقط من مجتمع لآخر ؟ هل منظومة القواعد المنطقية التى تحكم العقل "العلمى" هى التى تحكم العقل "الوحشى" ؟ ما هى الأبعاد البارامترية التى تستطيع المجتمعات فى إطارها - والتى دونها تفشل - فى أن تعيد بناءها ؟ وإذا كانت هناك أبنية جوهرية للجنس البشرى فما هى النماذج التى تمثلها أصدق تمثيل ؟ ثم أليست هذه الأبنية فى آخر الأمر أنساقا هشة من التعارضات المفككة التى تولّد توازنات إبداعية وجدلية توجه النمو البطىء "للتعرجات" الثقافية التى تتولى تنميط وتحديد مصائر الجماعات البشرية وأيديولوجياتها أو أبنيتها التحتية المنهكة

بحيث تتهاوى وتتحول إلى حفريات ذهنية محفوظة فى المتاحف أو فى كتب التاريخ ؟

ويفحص ليفى - ستروس هذه القضايا فى بحوثه المتواصلة. ولقد ظلت هذه التساؤلات والبحوث تؤلف كلا متسقا ومتناغما منذ بدايته الأولى حتى الآن. ويبدو أن مبدأ التماثل المعكوس هو عامل جدلى نشط فى البناء الأوّلى للجنس البشرى. ولقد كانت القضية الأساسية فى كتاب الأبنية الأولية للقرابة هى تفسير عملية الانتقال من الطبيعة إلى الثقافة، وهى قضية تكررت فى كتابه *الفكر الوحشى* وكتاب *أسطوريات* ثم فى *طريق الأقنعة*.

فالإنسان، عل سبيل المثال، هو النوع الحيوانى الوحيد الذى استطاع أن يتحكم فى تنظيم علاقات التزاوج واستخدام النار. (1949,`964-1971,vols.1,4). فالطهى وتنظيم قوى التناسل أفلحا فى تحويل الطبيعة - النيئ والعلاقات الجنسية الهمجية - إلى ثقافة عن طريق تعديل أنماط الأكل وتحديد قواعد الزواج ، وبالتالى فإنه يجب أن نفهم تحريم الاتصال الجنسى بالمحارم ليس على أنه مجرد عملية منع أو تحريم وإنما على أنه قاعدة تقضى "بالزواج من الخارج ". وترتب على تلك القاعدة أن تمكن البشر من أن يقيموا علاقات تحالف بين جماعات أكثر اتساعا من التجمعات الصغيرة المنعزلة وتعزيز وتقوية تلك التحالفات. فأساس الأنساق السياسية يرتكز على "جدليات السيمترية المعكوسة"، ذلك أن تحريم معاشرة المحارم جنسيا بالنسبة للرجل يعنى فى واقع الأمر أن " المرأة التى أملكها (ابنتى أو أختى) لا أستطيع أن أحتفظ بها لنفسى (كزوجة) وأن الرجل الآخر لا يستطيع هو أيضا أن يحتفظ لنفسه بالمرأة التى يملكها، وعلى ذلك فلا بد لنا من أن ندخل فى علاقة تبادل مهما كانت بسيطة أو أولية (مثلا تبادل الأخوات)، وهذا التبادل يدفعنا إلى الدخول فى نوع من الشراكة، وبهذه الطريقة فإن قضيتين سيمتريتين معكوستين وغير مقبولتين (أن تملك امرأة ولا تستطيع الاحتفاظ بها - أى أن تملك امرأة ولا تملكها فى آن واحد) تصبحان متكاملتين وترتبطان مع

منظومة أخرى متماثلة من القضايا لكى تكون بناء أكثر قوة من كل قضية منعزلة على حدة (عدم استطاعة الفرد الاحتفاظ بالمرأة التى يملكها لكى يحصل على امرأة أخرى)".

والمجتمعات المختلفة استراتيجياتها المختلفة أيضا فى هذا الصدد. فبعضها يختار أقل الاستراتيجيات خطورة وأكثرها أمنا فى عملية التبادل بحيث تحقق أسرع فائدة ممكنة. وفى هذه الاستراتيجية نجد أ يعطى ب ويأخذ منه. ويسمى ليفى ستروس هذه الاستراتيجية " التبادل المقيّد " restricted exchange وهى استراتيجية ناجحة تماما فى الأبنية السياسية الصغيرة والمستقرة نسبيا التى لا تتعرض لكثير من المخاطر كما أن مردودها يكون منخفضا نسبيا. بيد أن الشركاء قد يكونون أكثر جرأة وإقداما بحيث تتكون الشبكة من ثلاث (عقد) - أطراف - على الأقل، وفيها نجد أ يعطى ب الذى يعطى ج الذى يعطى بدوره أيا منهما (ج أو س) أ. وهذا التبادل العام يؤدى إلى أخطار كثيرة ومردود أكبر وإلى ظهور وحدات سياسية أكبر حجما وأشد تعقيدا.

والتبادل المقيد والعام يميزان المجتمعات "غير التكنولوجية "، ولكن الاستراتيجيات المعقدة تكون أكثر خطورة وعشوائية. فنحن "نتنازل عن " بناتنا أو أخواتنا - أى أننا نمتثل لقاعدة الزنى بالمحارم - دون أن يكون هناك أى ضمان - سوى الضمان الإحصائى - بأننا سوف نحصل على امرأة أخرى فى المقابل. فنحن هنا لا نثق إلا فى الوعاء السكانى بأن الخطوة التى نقدم عليها سوف تقابلها خطوة مماثلة.

وفى ضوء هذا كله قد يمكن تفسير أنماط الزواج عندنا داخل إطار أكثر اتساعا وكذلك الحال بالنسبة لكثير من نظمنا الاجتماعية بل وتصرفاتنا اليومية البسيطة مثل حركة إشعال عود ثقاب بأنه تتمثل فيها رمزيا أكثر التقابلات خصوبة وعمقا، مثل التقابل بين السماء والأرض فى العالم الفيزيقى، وبين الرجل والمرأة فى العالم الطبيعى، وبين الأصهار فى عالم المجتمع " (1964-1971vol. 4,p. 558)

استجابات لبنيوية ليفى – ستروس :

ترجمت كتب ليفى – ستروس إلى كل اللغات الكبرى وأدت إلى ظهور قائمة طويلة من التعليقات فى عدد كبير من المقالات والكتب. وحسب ما ورد فى مصنف لهذه الكتابات قام بإعداده فرانسوا لابوانت François Lapointe من معهد طسكيجى Tuskegee Institute يوجد ما يزيد على ألف عمل منشور مكرسة لأعماله. وقد أشاد به هنود أمريكا على الساحل الشمالى الغربى للباسفيكى كما أن مثقفى العالم المتقدم يعترفون بفضله فى تحديد فلسفة للأزمنة الحديثة. وقد ظهرت عنه مقالات حتى فى المجلات التى تعنى بالأخبار (مجلة التايم والنيوزويك وغيرهما) وفى الجرائد اليومية كما كتب الشاعر روبرت لوول قصيدة بعنوان "ليفى- ستروس فى لندن " وخصص الموسيقار بيريو Berio حركة كاملة فى إحدى سيمفونياته الغنائية تضم مقتطفات من كتابه النيئ والمطبوخ، بل إن هناك إشارة إليه فى رواية أجاثا كريستى مسافر إلى فرانكفورت تشير فيها إلى أن ليفى – ستروس هو "نبى الشباب". وهذه الأمثلة، وغيرها كثير، تبين أن ليفى – ستروس أصبح بطلا ثقافيا.

وكما هو متوقع فإن المرء لم يعدم ظهور ردود فعل عكسية ترفض فكرة "البطل". (وهناك عمل ضخم يضم الاستجابات الإيجابية والسلبية حتى عام ١٩٧٠ – انظر فى ذلك (Hayes & Hayes 1970 ومع ذلك فإن أشد النقاد قسوة لم يملك إلا أن يستشهد بعبارة لأحد أفضل المشايعين لليفى- ستروس تقول : " إن أبنية العلاقات التى يمكن اكتشافها من خلال تحليل المعلومات المستمدة من أى ثقافة واحدة معينة هى تحول رمزى لأبنية ممكنة أخرى تنتمى لمنظومة عادية شائعة وأن هذه المنظومة العادية الشائعة تؤلف نمطا يعكس إحدى خصائص ميكانيزمات العقول البشرية. وهذه فكرة جليلة وإن كان هناك شك فى فائدتها "(Leach,1970,p.53).

ولقد قيل إن ليفى – ستروس، وشأنه فى ذلك شأن فرويد وماركس، هو أحد مهندسى الفكر العظام فى عصرنا الحالى (Steiner,1972). فبعد فحوص فرويد الميكروسكوبية لتاريخ الفرد،

وفحوص ماركس الماكروسكوبية للتاريخ الاجتماعى، يأتى ليڤى - ستروس لكى يذكرنا بأن التاريخ، مثل الأنثروبولوچيا ذاتها وكل العلوم الاجتماعية، هو عملية أسطورية تحاول أن تعطى معنى للجنس البشرى(*)

المؤلف: Pierre Meranda

المترجم : أحمد أبوزيد

Works by Levi-Strauss

Supplementary Bibliography

(*) توفى كلود ليڤى ستروس فى الثامن والعشرين من شهر أكتوبر عام ٢٠٠٩، وأعلن عن وفاته فى الثالث من نوفمبر. وجاءت وفاته قبل أن يبلغ الواحدة بعد المائة بأسابيع قليلة - (المترجم) .

WORKS BY LÉVI-STRAUSS

1928 *Gracchus Babeuf et le communisme.* Brussel Editions du Parti ouvrier belge.

1936 Contribution à l'étude de l'organisation socia des Indiens Bororo. *Journal de la Société des Amé canistes* New Series 28:269–304.

1948 *La vie familiale et sociale des Indiens Nambi wara.* Paris: Société des Américanistes.

(1949) 1969 *The Elementary Structure of Kinshi* Rev. ed. Boston: Beacon. → First published French.

(1952) 1968 *Race and History.* Paris: United Natio Educational, Scientific and Cultural Organizatio → First published in French.

(1955) 1968 *Tristes tropiques.* 2d ed., rev. Paris: Plo → A paperback edition was published in Englis in 1974 by Atheneum.

(1958) 1963 *Structural Anthropology.* New York: Bas Books. → First published in French.

(1962*a*) 1969 *The Savage Mind.* Univ. of Chica Press. →First published in French.

1962*b* *Le totémisme aujourd'hui.* Paris: Presses Ur versitaires de France. → An English translation t Rodney Needham, *Totemism,* was published as paperback by Beacon in 1963.

1964–1971 *Mythologiques.* 4 vols. Paris: Plon. - Volume 1: *Le cru et le cuit,* 1964; published i English as *The Raw and the Cooked.* New Yor Harper, 1969. Volume 2: *Du miel aux cendre* 1967; published in English as *From Honey* Ashes. New York: Harper, 1973. Volume 3: *L'or gine des manières de table,* 1968; published in E glish as *The Origin of Table Manners.* New Yor Harper, 1978. Volume 4: *L'Homme nu,* 1971.

1973 *Anthropologie structurale deux.* Paris: Plon.

1975 *La voie des masques.* 2 vols. Geneva: Skira.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

BACKES-CLEMENT, CATHERINE 1970 *Claude Lévi-Strauss.* Paris: Seghers.

BOON, JAMES A. 1972 *From Symbolism to Structuralism: Lévi-Strauss in a Literary Tradition.* London: Blackwell; New York: Harper.

CHARBONNIER, GEORGES (1961) 1969 *Conversations With Claude Lévi-Strauss.* London: Cape. → First published in French.

CRESSANT, PIERRE 1970 *Lévi-Strauss.* Paris: Editions Universitaires.

GARDNER, HOWARD 1973 *The Quest for Mind: Piaget, Lévi-Strauss and the Structuralist Movement.* New York: Knopf.

HAYES, E. NELSON; and HAYES, TANYA (editors) 1970 *Claude Lévi-Strauss: The Anthropologist as Hero.* Cambridge, Mass. and London: M.I.T. Press.

KONGAS-MARANDA, ELLI; and MARANDA, PIERRE 1971 *Structural Models in Folklore and Transformational Essays.* Paris and The Hague: Mouton.

LEACH, EDMUND R. 1970 *Lévi-Strauss.* London: Fontana.

MARC-LIPANSKY, MIREILLE 1973 *Le structuralisme de Lévi-Strauss.* Paris: Payot.

MERQUIOR, JOSÉ G. 1977 *L'esthetique de Lévi-Strauss.* Paris: Presses Universitaires de France.

NEEDHAM, RODNEY 1962 *Structure and Sentiment.* Univ. of Chicago Press.

PAZ, OCTAVIO 1970 *Claude Lévi-Strauss: An Introduction.* Ithaca, N.Y.: Cornell Univ. Press. → A paperback edition was published in 1974 by Dell.

PIAGET, JEAN (1968) 1970 *Structuralism.* New York: Basic Books. → First published in French.

POUILLON, JEAN; and MARANDA, PIERRE (editors) 1970 *Exchanges et Communications: Mélanges offerts à Claude Lévi-Strauss.* 2 vols. Paris and The Hague: Mouton.

ROSSI, INO 1974 *The Unconscious in Culture: The Structuralism of Claude Lévi-Strauss in Perspective.* New York: Dutton.

SIMONIS, YVAN 1968 *Claude Lévi-Strauss ou la "passion de l'inceste."* Paris: Aubier-Montaigne.

STEINER, GEORGE 1972 *Claude Lévi-Strauss.* Toronto: Canadian Broadcasting Corporation.

ليكى، إل . إس . بى.

L.S.B. ،Leakey

وُلد لويس سيمور بازيت ليكى فى كابيتى بالقرب من نيروبى بكينيا فى السابع من أغسطس من عام ١٩٠٣، وتوفى على أثر أزمة قلبية فى لندن فى الأول من أكتوبر من عام ١٩٧٢ . وقد كرس نصف قرن تقريبًا من حياته العملية لدراسة الحفريات، والآثار، والأنثروبولوجيا، ليصبح بذلك من رواد الكشف عن ماضى الإنسان فى إفريقيا.

سيرة ذاتية : لويس ليكى كان ابن كينيا فقد كان والداه مبشرين غادرا إنجلترا فى عام ١٩٠١ من أجل إنشاء مركز لجمعية التبشير الكنسى فى كابيتى. وقد نشأ ليكى وسط جيرانه من الكيكويو Kikuyu الذين كانت تربطهم بعائلته علاقات قوية وكان كل أفراد عائلته يتحدثون لغتهم. وباستثناء عام واحد فى إنجلترا، تلقى أغلب تعليمه المدرسى بالمنزل على يد والده ومعلمين خصوصيين. وقد تعلم الكثير أيضًا من رفاقه فى اللعب من الكيكويو ومن أفراد الإرسالية ومن أحد صيادى الندوروبو Ndorobo الذى علمه كيفية اقتفاء الآثار بصبر، ومطاردة الحيوانات البرية، وصنع الشراك لصيد الحيوانات.

وقد أدى نشوب الحرب العالمية الأولى إلى منع ليكى من استئناف الدراسة فى إنجلترا. ويقول بعد ذلك فى سيرته الذاتية *"الإفريقى الأبيض White African (1937)"*، إنه لولا نشوب الحرب لكان من الممكن أن يصبح نتاجًا نموذجيًا لنظام المدرسة الإنجليزية العامة، ولما كان لهذا الكتاب أن يُكتب أبدًا. ويأتى عنوان سيرته الذاتية من عبارة قالها عنه كوينانجى Koinange وهو أحد زعماء الكيكويو : "نحن نطلق عليه الرجل الأسود ذا الوجه الأبيض، لأنه إفريقى أكثر منه أوروبيًا، ونحن نعتبره واحدًا منا". وبعد ذلك بسنوات كتب ليكى يقول : " لقد اعتبرت نفسى دائمًا رجلاً من الكيكويو أكثر منى إنجليزيًا من عدة نواحٍ، إذ مازلت أفكر غالبًا بالكيكويو، وأحلم بالكيكويو".

وفى الفترة من ١٩١٣ حتى ١٩١٩ استمر تعليم ليكى بطريقة غير رسمية فى كابيتى. وخلال تلك السنوات أظهر شغفًا بالتاريخ الطبيعى وخاصة بعلم الطيــــور على الرغم من أمله فى أن يصبح مبشراً. وفى عام ١٩١٥ تلقى على سبيل الهدية كتابًا عنوانه *"أيام قبل التاريخ"* *Days Before History* لمؤلفه إتش . أر. هول H.R.Hall.وقد أشعل هذا الوصف لسكان العصر الحجرى الأخير حماسه من جديد، فقد اكتشف بسرعة أن المنطقة المحيطة بموطنه مليئة بأدلة العصر الحجرى الإفريقى، وقام بجمع مجموعة كبيرة من الأدوات. كما جمع عظام حيوانات بتشجيع ومساعدة من أرثر لوفريدج Arthur Loveridge، أمين أول متحف كينى.

وبعد الحرب استأنف ليكى دراسته الرسمية بكلية ويماوث Weymouth College فى إنجلترا. وفى عام ١٩٢٢ تم قبوله بكلية سان جونز St. John's College بكيمبريدج. وبالنسبة للجزء الأول من امتحان درجة الشرف فى جامعة كيمبريدج قرر أن يدرس اللغات الحديثة. وكان بارعًا فى الفرنسية، ولكنها كانت مفاجأة لهذه المؤسسة عندما اختار الكيكويو كلغة ثانية. وكان مرشده الأكاديمى دبليو . إيه. كرابترى W. A. Crabtree من كلية سان كاثرين St. Catharine's College يعرف اللوجاندا Luganda وهى لغة أخرى من لغات شرق إفريقيا، ولذلك كان ليكى يتعامل مع معلمه باستخدام لغة الكيكويو.

وبعد إصابته بجروح فى الرأس أثناء مباراة فى الرجبى فى عام ١٩٢٣، نُصح ليكى بأخذ إجازة لمدة عام. وحدث فى عام ١٩٢٤ أن ساعد عالم الحفريات الكندى دبليو . إى . كتلر W.E.Cutler فى بعثة لجمع عظام الديناصورات فى تنجانيقا. مما أتاح له تعلم لغة الكاى السواحيلية Ki Swahili (اللغة السائدة المشتركة *Lingua France* لشرق إفريقيا) والحصول على خبرة فى التعامل مع الحفريات ولوجستيات العمل الحقلى. إن معركة ليكى المستمرة ضد الوقت تظهر فى وصفه لهذه البعثة الأولى.

لقد عاد ليكى إلى كيمبريدج ليحصل على درجة فى اللغات، وفى

مايو ١٩٢٦ حصل على درجة فى الآثار والأنثروبولوجيا فى الجزء الثانى من امتحان درجة الشرف. وبعد ذلك قاد بعثات بحثية أثرية بشرق إفريقيا فى الأعوام ١٩٢٦ – ١٩٢٧ ، و١٩٢٨ – ١٩٢٩ ، و١٩٣١ – ١٩٣٢، و١٩٣٤ – ١٩٣٥ . وهذه المغامرات التى قام بها فى منطقة جغرافية كانت حتى ذلك الوقت مجهولة بالفعل بالنسبة لعصور ما قبل التاريخ وضعت الأسس للكثير مما تعلمه بعد ذلك عن التسلسل الأثرى والحفرى فى شرق إفريقيا.

وفى عام ١٩٢٩ أثناء بعثته الثانية قاد سيارته من نيروبى إلى جوهانسبرج ليحضر الاجتماع المشترك للرابطتين البريطانية والجنوب إفريقية لتقدم العلوم. وفى طريقه جنوبا زار بروكن هيل Broken Hill (تعرف الآن بكابوى Kabwe فى زامبيا) التى تم العثور فيها قبل ذلك بثمانى سنوات على جمجمة بشرية حفرية كانت تخص إنسان روديسيا *Homo rhodesiensis* المشهور، الذى عُرف فيما بعد بإنسان روديسيا العاقل *Homo sapiens rhode-siensis*.وقد جمع ليكى أدوات حجرية من حصى الأنهار القديمة أسفل شلالات فيكتوريا ومن كهوف مرتفعات ماتوبو جنوب بولاوايو Bulawayo حيث كان إيه . إل. أرمسترونج A.L.Armstrong يجرى حفائره، ومن هوب فاونتين Hope Fountain حيث كان نيفيل جونز Neville Jones يقوم بالكثير من الأعمال الأثرية، وقد زار زيمبابوى حيث كانت جرترود كاتون- طومسون Gertrude Caton-Thompson تجرى حفائرها هناك.

وفى الفترة من ١٩٢٩ إلى ١٩٣٤ حصل ليكى على زمالة كلية سان جون بكيمبريدج، وفى عام ١٩٣٤ ألقى سلسلة محاضرات جين إلين هاريسون Jane Ellen Harrison التذكارية هناك. كما تولى منصب زميل بحث ليفرهولم Leve-rhulme من ١٩٣٣ حتى ١٩٣٥ . وفى فبراير من عام ١٩٣٦ ألقى سلسلة المحاضرات المخصصة لاسم مونرو Munro بجامعة إدنبرة، وقد شكلت المحاضرات العشرة التى ألقاها هناك جوهر كتابه "إفريقيا العصر الحجرى *Stone Age Africa* (1936b). وفى

السنوات الأخيرة تولى منصب المحاضر المخصص لاسم هربرت سبنسر بجامعة أكسفورد (١٠ فبراير ١٩٦١) وسلسلة المحاضرات التى تحمل اسم توماس هكسلى بجامعة برمنجهام (٣ مارس ١٩٦١). وقد نشرت هذه المحاضرات تحت عنوان تقدم وتطور الإنسان فى إفريقيا *The Progress and Evolution of Man in Africa (1961)*. ثم أصبح محاضراً باسم رئاسة الجامعة بجامعة كاليفورنيا (١٩٣٦)، ومحاضراً لسلسلة المحاضرات المكرسة لاسم سيليمان بجامعة ييل (١٩٦٣/١٩٦٤)، وأستاذا لكرسى جورج آر. ميلر بجامعة إلينوى فى أربانا (١٩٦٥)، وأستاذاً متميزاً لكرسى أندرو آر. وايت بجامعة كورنل (١٩٦٨)، وأستاذاً فخرياً للتشريح بكلية الجامعة بنيروبى (١٩٦٩).

وكان زواج ليكى الأول من هنريتا ويلفريدا أفرن (١٩٢٨) وقد أنجب منها طفلين. وبعد فسخ هذه الزيجة تزوج من مارى دوجلاس نيكول، وهى عالمة آثار، وشريكته فى الحياة والعمل حتى وفاته. وقد أنجبا ثلاثة أبناء: جوناثان الذى اكتشف فى أولدوفاى النموذج الطرازى للإنسان الماهر *Homo habilis* وأصبح مربياً للأفاعى فى بحيرة بارينجو بوسط كينيا، وريتشارد الذى حمل عباءة ليكى، والذى كان – بوصفه مديراً للمتحف الوطنى الكينى – يتحكم علمياً فى المناطق الغنية بالآدميات الحفرية فى شرق بحيرة توركانا، حيث اكتشف كل ما أمكن اكتشافه ومازال يعمل بانتظام، ثم فيليب.

ولقد ربط ليكى نفسه بإفريقيا وشعوبها. فمعرفته بأساليب الكيكويو جعلت الحكومة الكينية تطلب مساعدته أثناء سنوات الطوارئ وحركة الماو ماو Mau Mau. وقد تجلّت هذه الخبرات فى كتبه *الماو ماو والكيكويو* *Mau Mau and the Kukuyu (1952)*، و*هزيمة الماو ماو* *Defeating Mau Mau (1954)*، و*دروس أولية فى الكيكويو* *First Lessons in Kikuyu (1959)*، و*كينيا: تناقضات ومشكلات* *Kenya : Contrasts and Problems (1936a)*. وبعد استقلال جمهورية كينيا، أصبح ليكى مواطناً كينياً وكان نصيراً قوياً للدولة.

وأثناء الحرب العالمية الثانية كان ليكى ضابطًا مسئولاً عن الفرع السادس الخاص بقسم البحث الجنائى بنيروبى. وقد اختار فن الخطوط وأصبح مستشارًا فى الكتابة اليدوية. لقد كان ليكى المؤسس لمجلس أمناء حدائق كينيا الوطنية، والأمين والمسئول التنفيذى لجمعية الحياة البرية بشرق إفريقيا، وعضو مجلس جمعية التاريخ الطبيعى لشرق إفريقيا وأوغندا.

وخلال الفترة من ١٩٤١ حتى ١٩٦١ عمل كأمين فخرى، وبعد ذلك كأمين دائم لمتحف كوريندون التذكارى بنيروبى (سمى فيما بعد متاحف كينيا الوطنية). وقد بدأ فى عقد مؤتمرات بلدان إفريقيا عن دراسات ما قبل التاريخ والبلايستوسين وعمل أمينا عامًا لها، وقد عقد المؤتمر الأول بنيروبى فى عام ١٩٤٧.

وفى عام ١٩٦٢ أنشأ ليكى مركز ما قبل التاريخ والحفريات تحت وصاية متاحف كينيا الوطنية وأصبح مديرًا له حتى عام ١٩٧٢ وخلال عشرة أعوام، أصبح المركز الذى أقيم فى مبان قديمة ومنشآت مؤقتة، قاعدة لعلماء الأنثروبولوجيا القديمة Paleoanthro-pologists من مختلف البلدان ومستودعًا هامًا للحفريات الآدمية.

وأثناء حياته، شاهد ليكى نمو مركزه حتى بلغ الذروة. وبعد وفاته قام ريتشارد ليكى وأمناء المتاحف الوطنية بإنشاء معهد لويس ليكى التذكارى الدولى لما قبل التاريخ الإفريقى بنيروبى خلفًا للمركز. وافتتح المعهد فى الثالث من سبتمبر من عام ١٩٧٧، وكان بثويل ألان أوجوت Bethwell Alan Ogot أستاذ التاريخ السابق بجامعة نيروبى أول مدير له.

إن إسهامات ليكى قُدرت بالعديد من الجوائز والأوسمة التى تشمل جائزة كثبرت بيك Cuthbert Peek من الجمعية الجغرافية الملكية (١٩٣٣)، وميدالية أندريه من الجمعية الجغرافية السويدية (١٩٣٣)، وميدالية هنرى ستوبس التذكارية من رابطة الجيولوجيين بلندن (١٩٦٢)، وميدالية هبرد Hubbard من الجمعية الجغرافية الوطنية بواشنطن بالإشتراك مع مارى ليكى (١٩٦٢)،

وميدالية يوم ريتشارد هوبر التذكارية من أكاديمية فيلادلفيا للعلوم الطبيعية (١٩٦٤)، وميدالية صندوق الفايكنج من مؤسسة ونر-جرن Wenner-Gren للبحث الأنثروبولوجي (١٩٦١-١٩٦٥)، وجائزة هيلي سيلاسي (١٩٦٨)، وميدالية ويلكم Welcome من الجمعية الإفريقية الملكية (١٩٦٨)، وميدالية العلم من أكاديمية العلوم البيولوجية بإيطاليا (١٩٦٨)، وميدالية برستويتش من الجمعية الجغرافية بلندن بالاشتراك مع مارى ليكى (١٩٦٩). وقد حصل على درجة الدكتوراه الفخرية من جامعات أكسفورد (١٩٥٨)، وكاليفورنيا (١٩٦٣)، وشرق إفريقيا (١٩٦٥)، وجويلف Guelf (1969). وفى عام ١٩٦٨ أنشئت بالولايات المتحدة مؤسسة إل. إس. بى. ليكى للبحوث المرتبطة بأصل الإنسان وسلوكه وبقائه، وقد افتتح فرع أوروبى للمؤسسة فى لندن فى عام ١٩٧٧ .

الشخصية: هناك ثلاثة انطباعات ثابتة عن ليكى هى حيويته الفريدة، وحماسه، وبصيرته. وتنعكس حيويته ليس فقط فى عدد حفائره واكتشافاته، أو فى الكتب التى تزيد على العشرين وما يزيد على المائة والخمسين مقالاً التى كتبها. ففى السفارى كان يسير بسرعة ويعمل دون تعب وبإخلاص. وقد أدى حماسه إلى إحباط البعض، ولكنه ألهم الكثيرين وجعلهم يهتمون بماضى الإنسان ومساندة جهوده.

وقد حدد بعد نظره اتجاه نشاطه. فمنظوره شبه الحالم أضفى معنى على جهود الفريق العائلى. وكان عقله يستوعب التفاصيل، ولكنه يستطيع أيضًا إدراك المخطط الأكبر. ولم تكن صيغه التركيبية صائبة دائمًا، ولكن فى هذا الفرع من المعرفة - كما هو الحال بالنسبة لفروع المعرفة الأخرى - فإن من لا يرتكب خطأ لا يقدم إسهامًا حقيقيًا مطلقًا. لقد كان رومانسيًا وخياليًا، كان من نوع العلماء الذين يستطيعون تقدير الأمور وإضافة منظور لملاحقة التفاصيل فى المجتمع العلمى.

كان أحيانًا ما يُنتقد لسعيه للشهرة، ولكن رغم ذلك كانت اكتشافاته ومفهوماته دائمًا جديدة. وإذا كان متسرعًا فى الإعلان عن اكتشافاته،

فيمكن المحاجاة بأن ذلك كان وسيلة ضرورية لإثارة الاهتمام والحصول على الدعم المالى. فتمويل بحوثه كان يمثل مشكلة دائمة فى حقل لا تظهر تطبيقاته العملية بسرعة. وكان هذا هو الدافع الأول لقيامه بجولات إلى أمريكا لإلقاء المحاضرات، وهى جولات أثرت دون شك فى اختزال حياته، ولكنها أدت إلى الحصول على الموارد المالية المطلوبة. إن الإعجاب العام بليكى كان يعززه بقوة مهارته فى الاتصال. ففى الحديث والكتابة كان بارعًا، ومؤثرًا ومقنعًا.

إن إرادته القوية، وشخصيته الإيجابية، وأسلوبه المتغطرس فى الغالب جعلته يدخل فى صراع مع زملائه من العلماء. ولكن الذين تسرعوا فى الحكم عليه لم يتعرفوا على جوهر الرجل. أما الذين كانت لديهم الرغبة فى النظر فيما وراء السطح بهدوء، ومحاولة سبر أفكاره ودعاواه، دون الاعتماد على انطباعاتهم الأولية، فقد وجدوا الحكمة، وأحيانًا العبقرية، وغالبًا عنصر إلهام ووحى تستحق النظر.

الإثنولوجيا: بوصفه بارعًا فى لغة كاى السواحيلية Ki Swahili والكيكويو كان ليكى ملاحظًا دائمًا لشعوب شرق إفريقيا الذين احتك بهم عن قرب وهى جماعات : الكيكويو، والماساى، والليو. ففى عام ١٩٢٩ عمل فى لجنة حكومية كانت تعد تقريرًا عن ملكية الأرض عند الكيكويو. وفى الفترة من ١٩٣٧ حتى ١٩٣٩ قام ببحث التنظيم الاجتماعى والثقافة للكيكويو. وتقريره المؤلف من ألف صفحة الذى أُعد لأمناء مؤسسة رودس Rhodes ولم ينشر فى حياة ليكى ، يحوى سجلاً شاملاً لطرائق وأساليب شعب الكيكويو قبل وأثناء فترة التأثير الأوروبى فى نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. ومخطوطته، التى حُررت ونُشرت بعد وفاته فى ثلاثة مجلدات بعنوان *كيكويو الجنوب قبل* ١٩٠٣ *The Southern Kikuyu Before 1903 (1977-1978)*، تعتبر من المصادر الأولية الهامة لعلماء العلوم الاجتماعية. وكثيرًا ما يحتج صغار السن من الكيكويو بأن معرفة ليكى بالناس وطرائقهم معرفة قديمة. وهذا صحيح، لأن المعرفة التى يتحدثون عنها

تخص تلك الأيام القديمة، قبل أن يتحول نظامهم الاجتماعي والثقافي الأقدم تحت تأثير الاستعمار.

علم الرئيسات Primatology: لم تكن اهتمامات ليكي في علم الحيوان مقصورة على الحيوانات الحفرية. فقد اعتقد أن الكثير من السلوك المحتمل للآدميات القديمة يمكن معرفته من خلال الدراسة المفصلة للشمبانزي والغوريلا التي تعيش في الطبيعة. ووفقًا لهذا، دشن دراسات الرئيسات الإفريقية الطليقة، وخاصة القردة البشرية Anthropoid apes. وقد قامت روزالي أوسبورن Rosalie Osborn وجيل دونيثورب Jill Donisthorpe بالدراسات التمهيدية لغوريلا الجبال في أوغندا، بينما ديان فوسي Dian Fossey أكملت الدراسة المميزة في رواندا. وقد أدخل الدراسات طويلة المدى على الشمبانزي وأجرتها جين جودال Jane Goodall في تنزانيا. كما أنشأ في تيجوني Tigoni بالقرب من نيروبي المركز القومي لأبحاث الرئيسات National Primate Research Center.

آثار ما قبل التاريخ: كشفت بحوث ليكي المبكرة في شرق إفريقيا عن ترسيبات أركيولوجية تبين الآن أنها تغطي فترة البلايستوسين بالكامل. وقد لعبت ماري ليكي دورًا بارزًا في أغلب حفائره التي تمت بعد البعثات الأربع الأولى وجعلتها من مشروعاتها الحقلية، بينما هو حوّل انتباهه إلى مكان آخر.

وقد بدأ ليكي منذ بعثاته الأولى في تجميع التسلسل الأركيولوجي لشرق إفريقيا. وقد صدرت دراسته "موجز العصر الحجري في كينيا Outline of the Stone Age in Kenya" في عام ١٩٢٩ . وقد وسّعها بعد ذلك ونشرها في كتابه الأول *ثقافات العصر الحجري في مستعمرة كينيا The Stone Age Cultures of Kenya Colony (1931)*، وتلاه *كتاب سلالات العصر الحجري في كينيا The Stone Age Races Of Kenya (1935)*، وقد صنف المصنوعات الحجرية التي اكتشفها إلى ثقافة الفئوس اليدوية Hand-axe culture (الأشولية الإفريقية The African Acheulean)، وثقافة الرقائق Flake culture، وثقافة النصل

– والمنقاش Blade-and-burine culture، ومصنوعات العصر الحجرى الوسيط والعصر الحجرى الحديث. كما أن الحفائر التالية التى أجريت فى كانجيرا Kanjera، وأولورجيسالى Olorgesaille، وأولدوفاى Olduvai، وغيرها من المواقع أضافت أدلة جديدة عن الثقافة الأشولية الإفريقية وكشفت عن ثقافة أخرى أقدم هى الأولدوانية Oldowan.

أخدود أولدوفاى، تنزانيا: الأخدود كان عبارة عن شق قرنى الشكل يحوى حفريات وأدوات اكتشفه عالم الحشرات كاتوينكل Kattwinkel عام ١٩١١. وقبل الحرب العالمية الأولى قام هانز ريك Hans Reck من برلين بجمع عظام متحجرة من هناك، ونظرًا لاحتوائها على أشكال منقرضة كانت مبعث إثارة بلغت أوجها باكتشاف ريك هيكلاً بشريًا. وكان المظنون فى البداية أن الهيكل ينتمى إلى البلايستوسين الأوسط، ولكن اتضح بعد ذلك أنه دفن فى فترة حديثة نسبيًا فى الترسيبات الأقدم. وقد أوقف نشوب الحرب وخضوع تنجانيقا للانتداب البريطانى كل الخطط الأخرى التى وضعها ريك لاكتشاف الأخدود.

وفى بعثة ليكى الثالثة بشرق إفريقيا عام ١٩٣١ رافقه ريك، وكذلك إيه. تى. هوبوود A.T.Hopwood، ودى ماكينيس D.MacInnes، وفيفيان فوكس Vivian Fuchs، وكان ريك قد عثر قبل ذلك على بقايا حيوانية فقط، أما الأدوات الحجرية فلم يتمكن من اكتشافها. وبعد الوصول إلى أولدوفاى بوقت قصير، عثروا على فأس يدوية رقيقة. وهذه كانت بداية اكتشاف آلاف الفئوس فى الأخدود، وقد كانت من الوفرة لدرجة أن ليكى استطاع فى كتابه أخدود أولدوفاى *Olduvai Gorge* *(1951)* التعرف على ١١ مرحلة فى تطور ثقافة الفئوس اليدوية.

إن الحفريات التى أجراها لويس ومارى ليكى وأولادهما ومساعداهما بما فى ذلك معاوناهما الأفارقة كشفت فى الجدران عن مليونى عام من التاريخ البشرى تقريبًا. فقد عثر داخل أدنى الطبقات على أدوات محشورة تنتمى

إلى واحدة من أقدم الثقافات الحجرية، هى الأولدوانية Oldwan، وبعدها تأتى مصنوعات الفئوس اليدوية الأشولية الإفريقية، وأخيراً الثقافات الأكثر تقدماً. وقد وجدت بقايا متحجرة لأكثر من ١٥٠ نوعاً مختلفاً من الحيوانات مدفونة داخل نفس الطبقات.

إن كتاب ليكى الذى صدر عام ١٩٦٥ بعنوان أخدود أولدوفاى ١٩٠١-١٩٦١ *Olduvai Gorge 1951-1961* دشن سلسلة من الدراسات التى تؤرخ للاكتشافات الجديدة. وقد استمر العمل فى أولدوفاى لعدة سنوات فى يدى مارى ليكى، أما هو فقد كرس اهتمامه الكامل لفورت ترنان Fort Ternan فى كينيا وللحصول على الدعم المالى من الخارج.

تطور الآدميات: لقد ظهر فى وقت مبكر فصل عن الرئيسات العليا من خلال اكتشافات ليكى. ففى عام ١٩٢٣ تم العثور فى كورو Koru التى تقع فى غرب كينيا على أول قردة متحجرة معروفة من شرق إفريقيا. وفى جزيرة روزينجا فى نيانزا ببحيرة فيكتوريا، عثر ليكى على قرد متحجر من عصر الميوسين هو *البروكونسول Proconsul*، وذلك أثناء بعثته التى قام بها عام ١٩٣١. وجاءت الاكتشافات الأخرى لقردة الميوسين من روزينجا Rusinga وكورو Koru وسونجور Songhor وفورت ترنان Fort Ternan وغيرها من الأماكن. وهناك عثر ليكى على آدمى مبكر آخر فى مزرعة فى فورت ترنان، وأطلق عليه اسم *كينيا بيثكس ويكرى Kenyapithecus wickeri*، ولكن أصبح من المقبول عامة أن هذا المخلوق لا يختلف من حيث الجنس عن *رامابيثكس Ramapithecus* الهندى. وتذهب أعمال ليكى التى اتسعت بدراسات إلوين سايمونز Elwyn Simons ودافيد بيلبيم David Pilbeam إلى أن الرامابيثكس (إنسان راما القرد) كان جنساً مبكراً من عائلة الآدميات. كما أن هناك من يرى أن الرامابيثكس ربما يكون السلف الميوسينى للأوسترالوبيثكس (إنسان جنوب إفريقيا القرد).

ومن بين اكتشافات ليكى الأولى الخاصة بالآدميات الحفرية كانت

جمجمة كانجيرا Crania of Kanjera، وفك كانام السفلى Mandible of Kanam، وقد تم اكتشافهما عام ١٩٣٢ . وقد صدم ليكى الأوساط العلمية بزعمه أنهما ينتميان إلى نوع الإنسان العاقل *Homo sapiens* من عصر البلايستوسين الأوسط والأدنى على التوالى، أو على الأقل إلى شكل من البشر قريب من الإنسان العاقل. وقد تم العثور عليهما فى خليج كافيروندو Kavirondo، شمال شرق بحيرة فيكتوريا. وقد اتضح أخيرًا أن فك كانام كان أكثر بدائية مما تصور ليكى، فمعالمه كانت تُذكر بالإنسان منتصب القامة *Homo erectus*، وقد اتضح أيضًا أنه ليس بقِدَم الحيوانات التى وُجد معها. وجمجمة كانجيرا التى كان لها جبهة "حديثة" بشكل يدعو إلى الدهشة ظلت لغزًا محيرًا لفترة طويلة، إلى أن دحض كينيث بى. أوكلى Kenneth P. Oakley زعم ليكى بأنها كانت معاصرة لحيوانات البلايستوسين الأوسط. ومع ذلك، فقد ظل طوال حياته على قناعة بأنها دليل على الظهور المبكر لنوع عاقل من الإنسان. حقًا، لقد كان الإنسان المنتصب القامة وحشى الشكل يمثل بالنسبة له فرعًا جانبيًا من التطور البشرى. وكذلك كان إنسان النياندرتال ذو الجمجمة الكبيرة المسطحة من أعلى التى تتميز ببروز الحاجبين.

يبدو أحيانًا بالنسبة لليكى أن الإنسان العاقل كان دائمًا، أو غالبًا، يشبه الإنسان الحديث. ولهذا السبب رحب بفكرة اعتبار إنسان كانام وكانجيرا بسماتهما الحديثة ظاهريًا أسلافًا مباشرين، واعتبار الإنسان الماهر صغير الحجم رغم تمتعه بسمات حديثة سلفًا مباشرًا آخر.

ومن بين الثدييات الحفرية التى عُثر عليها فى أولدوفاى كان هناك على الأقل ثلاثة أنواع منقرضة من الآدميات. ففى الطبقات الأقدم، التى يتراوح عمرها ما بين ١,٨ ونحو ١,٦ مليون سنة قبل الآن، اكتشف الليكيّان نوعين متزامنين من الآدميات. أحدهما كان مخلوقًا قوى البنية ذا فكين ضخمين وأسنان كبيرة اكتشفته مارى ليكى فى يوليو من عام ١٩٥٩، وأطلق عليه اسم إنسان الزنج *Zinjanthropus* (إنسان شرق إفريقيا، و "الزنج" هو الاسم

القـــديم). وقـــد كـــان من نوع الأوسترالوبيثكس، لكنه أكبر وأثقل من العينات التى اكتشفها روبرت بروم وجون تى. روبنسون فى الترنسفال. وهو يُعرف اليوم بالأوسترالوبيثكس بويزى *Australopithecus boisei*.

والنوع الثانى الأقدم من الآدميات سمّى بالإنسان الماهر *Homo habilis*، وهو اسم أطلقه عليه كل من ليكى، وبى. فى. توبياس P.V.Tobias، وجيه. آر. نابير J.R.Napier (1964). وقد كان نسخة مصغرة من إنسان له مخ أكبر وأسنان أصغر، وعاش فى إفريقيا فى الفترة بين ما يزيد على مليونى سنة إلى نحو ١,٦ مليون سنة مضت. وهذا النوع تمثله عينات من أولدوفاى، وكوبى فورا، وإيليرت فى شمال كينيا، وأومو فى إثيوبيا، ومن المحتمل، أيضًا، عينات من طبقة عليا فى *ستركفونتين بالترنسفال*. *والإنسان المنتصب القامة*، وهو النوع الثالث من الآدميات، ظهر فى أولدوفاى فى فترة متأخرة إلى حد ما.

لقد سيطرت على ليكى فكرة إمكانية العثور على أقدم إنسان حقيقى. فقبيل سفره بقليل إلى لندن فى رحلته الأخيرة فى سبتمبر من عام ١٩٧٢، عُرضت عليه جمجمة تتميز بكبر حجم المخ (إنسان ١٤٧٠) عثر عليها ابنه ريتشارد شرق بحيرة توركانا. وقد أُستخرجت من ترسيبات تم تحديد عمرها أولاً بنحو ٢,٩ مليون سنة، رغم أنه اتضح فيما بعد أن من المحتمل أن يكون عمرها أحدث من ذلك بأكثر من مليون سنة مما افترض من قبل. وقد كان ليكى سعيدًا بالاكتشاف، لأنه بدا أنه يقدم دليلاً إضافيًا على الظهور المبكر جدًا لجنس الإنسان *Homo*. وقد أشارت الفحوص الأخيرة إلى أن أقدم الحفريات التى صنِّفت كأعضاء فى جنس الإنسان من المحتمل أنها ليست أقدم من ٢,٢ أو ٢,٣ مليون سنة من الآن.

الإيكولوجيا القديمة: منذ قيامه ببعثته الأولى فى ١٩٢٦-١٩٢٧، تأثر ليكى بارتفاع مستويات البحيرات القديمة فوق مستويات البحيرات الحالية المجاورة. فالحصى الذى ترسب على هذه المصاطب المرتفعة شمل أدوات

حجرية يمكن التعرف عليها. ولتفسير زيادة مساحة هذه البحيرات فى الماضى استعان ليكى بالتغيرات المناخية التى حدثت فى الماضى. وتأسيسًا على دراسة جيه. دبليو. جريجورى، وإى نيلسون، وإى. جيه . ويلاند اقترح ليكى تقسيم عصر البلايستوسين فى شرق إفريقيا إلى فترتين مطيرتين رطبتين هما الكماسية Kamasian والجامبلية Gamblian، تفصل بينهما فترة بينمطيرة وأكثر جفافا. والكماسية سميت بهذا الاسم نسبة إلى مرتفعات كماسيا غرب بحيرة بارينجو، والجامبلية نسبة إلى مستويات البحيرات فى الماضى التى تظهر فى كهف جمبل وجرف جمبل.

إن استخدام مصطلحى الكماسية والجامبلية، وإضافة مصطلح ثالث هو الكاجيرية Kageran نسبة إلى وادى نهر كاجيرا فى أوغندا تم التصديق عليه من قبل المؤتمر الأول لجميع بلدان إفريقيا عن ما قبل التاريخ الذى عقد فى نيروبى عام ١٩٤٧ . وقد تم اعتماد استخدام المصطلحات الثلاثة أيضًا بواسطة المؤتمر الجيولوجى الدولى الثامن عشر الذى عقد فى لندن عام ١٩٤٨، رغم رفضه اقتراح ليكى بتقسيم الكماسية إلى كماسية مبكرة وكانجيرية Kanjeran مطيرة متأخرة. ومع ذلك فإن اقتراح ليكى الخاص بتقسيم عصر البلايستوسين إلى أربعة أقسام فرعية أصبح مستخدمًا على نطاق واسع لفترة من الزمن. وفى الواقع أن مصطلح "الكانجيرية" تم التصديق عليه رسميًا من قِبَل المؤتمر الثالث لجميع بلدان إفريقيا عن ما قبل التاريخ الذى عقد فى ليفنجستون عام ١٩٥٥، وذلك بسبب انطباع خاطئ بأن "الكانجيرية" اعترف بها المؤتمر الجيولوجى فى لندن! ومع ذلك، فقد أشار النقاد إلى أن هذه التقسيمات الفرعية المقترحة غير قائمة على وحدات طبقاتية كتلك التى يبنى عليها الجيولوجيون عادة التقسيمات الفرعية. وقد تعرض المفهوم للنقد الشديد من قبل علماء الجيولوجيا(من أمثال جيه. دى. سولومون، وإتش . تى. إس. كوك، وآر. بيكرنج، وآر. إف. فلنت، ودبليو. دبليو. بيشوب).

والخلاصة: إن غالبية علماء الجيولوجيا تخلوا عن اقتراح ليكى بتقسيم البلايستوسين إلى فترات مناخية حيث أجمعوا على التوصية بأن تُستبدل بخطته خطة أخرى تقوم على التسلسل الصخرى أو الوحدات الطبقاتية. إن فكرة أن بعض الوحدات الطبقاتية لها تفسير مناخي تبدو صحيحة فى ضوء الدراسات الأحدث. حقًا، إن فكرة ليكى عن بعض التغيرات المناخية التى حدثت فى الماضى أثناء عصر البلايستوسين فى إفريقيا قد صمدت أمام اختبار الزمن، على الرغم من سقوط خطته المفصلة. ولكن من جانب آخر، فإن مزاعم ليكى كانت مفيدة من حيث التشجيع على الكشف: فقد حثت على البحث عن تقنيات أحدث للتأريخ الجيولوجى والإيكولوجيا القديمة وإعادة تقييم مفهومات المناخ القديم والإيكولوجيا القديمة.

المؤلف : Philip V. Tobias
المترجم : مصطفى عوض إبراهيم

Works by Leakas
Supplementary Bibliography

WORKS BY LEAKEY

1929 An Outline of the Stone Age in Kenya. *South African Journal of Science* 26:749–757.

(1931) 1971 *The Stone Age Cultures of Kenya Colony.* London: Cass. → Includes a new introductory note by the author.

(1934) 1960 *Adam's Ancestors.* 4th ed. London: Methuen. → Reprint of the 1953 fourth edition with a new prologue. A paperback edition was published by Harper in 1960.

(1935) 1970 *The Stone Age Races of Kenya.* 2d ed. Oosterhout (Netherlands): Anthropological Publications. → Includes a new introduction by the author.

(1936*a*) 1966 *Kenya: Contrasts and Problems.* Cambridge, Mass.: Schenkman. → Includes a new preface by the author.

(1936*b*) 1970 *Stone Age Africa: An Outline of Prehistory in Africa.* New York: Negro Universities Press.

(1937) 1966 *White African.* Cambridge, Mass.: Schenkman. → Includes a new preface by the author. A paperback edition was published by Ballantine in 1973.

1949 *Tentative Study of the Pleistocene Climatic Changes and Stone Age Culture Sequence in North-eastern Angola.* Publicaçoes Culturais No. 4. Lisbon: Museu do Dundo.

1949 LEAKEY, L. S. B.; and LEAKEY, M. D. *Some String Figures From North East Angola.* Publicaçoes Culturais No. 4a. Lisbon: Museu do Dundo.

1950 LEAKEY, M. D.; and LEAKEY, L. S. B. *Excavations at the Njoro River Cave: Stone Age Cremated Burials in Kenya Colony.* Oxford: Clarendon.

1951 *Olduvai Gorge: A Report on the Evolution of the Hand-axe Culture in Beds I–IV.* Cambridge Univ. Press.

1952 *Mau Mau and the Kikuyu.* London: Metheun.

1952 LEAKEY, L. S. B.; and COLE, SONIA (editors) Pan-African Congress on Prehistory, First, *Proceedings.* Oxford: Blackwell.

1953 YLLA; and LEAKEY, L. S. B. *Animals in Africa.* London: Harvill. → Ylla is the pseudonym for Camilla Koffler.

(1954) 1977 *Defeating Mau Mau.* New York: AMS Press.

1958 *Some East African Pleistocene Suidae.* Fossil Mammals of Africa, No. 14. London: British Museum.

1959 *First Lessons in Kikuyu.* Nairobi: East African Literature Bureau.

1961 *The Progress and Evolution of Man in Africa.* Oxford Univ. Press.

1964 LEAKEY, L. S. B.; TOBIAS, P. V.; and NAPIER, J. R. A New Species of the Genus *Homo* from Olduvai Gorge. *Nature* 202:7–9.

1965 *Olduvai Gorge 1951–1961.* Vol. 1: A Preliminary Report on the Geology and Fauna. Cambridge Univ. Press.

1969*a* *Animals of East Africa.* Washington: National Geographic Society.

1969*b* LEAKEY, L. S. B. (editor) *Fossil Vertebrates of Africa.* Vol. 1. London and New York: Academic Press.

1969 LEAKEY, L. S. B.; and GOODALL, VANNE MORRIS *Unveiling Man's Origins.* London: Methuen; New York: Schenkman.

1970 LEAKEY, L. S. B.; and SAVAGE, R. J. G. (editors) *Fossil Vertebrates of Africa.* Vol. 2. London: Academic Press.

1970 LEAKEY, L. S. B.; SAVAGE, R. J. G.; and CORYNDON, S. C. (editors) *Fossil Vertebrates of Africa.* Vol. 3. London: Academic Press.

1970 PROST, JACK; PROST, STEPHANIE; and LEAKEY, L. S. B. (editors) *Adam, or Ape.* Cambridge, Mass.: Schenkman.

1971 LEAKEY, L. S. B.; and ARDREY, ROBERT Aggression and Violence in Man: A Dialogue. *Munger Africana Library Notes* 9:1–24.

1974 *By the Evidence: Memoirs, 1932–1951.* New York and London: Harcourt. → A paperback edition was published in 1976.

1977–1978 *The Southern Kikuyu Before 1903.* 3 vols. London: Academic Press.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

CLARK, J. DESMOND 1976 Louis Seymour Bazett Leakey, 1903–1972. Pages 520–541 in G. L. Isaac and E. R. McCown (editors), *Human Origins: Louis Leakey and the East African Evidence.* Menlo Park, Calif.: Benjamin. → Includes a bibliography of Leakey's work compiled by Shirley C. Coryndon on pages 542–564.

COLE, SONIA 1976 *Leakey's Luck: The Life of Louis Seymour Bazett Leakey, 1903–1972.* London: Collina.

DANIEL, GLYN; and BROWNE, PETER 1974 Unforgettable Louis Leakey. *Reader's Digest* 105, no. 630: 69–74.

HALL, HENRY RUSHTON (1907) 1908 *Days Before History.* 2d ed. London: Harrap.

TOBIAS, P. V. 1973*a* Louis Seymour Bazett Leakey, 1903–1972. *South African Archaeological Bulletin* 28:3–12.

TOBIAS, P. V. 1973*b* Obituary: Dr. L. S. B. Leakey. *South African Journal of Science* 69:123 only.

Tobias, P. V. 1974 Leakey, Louis Seymour. Volume 2, pages 154–156 in *Scienziati e Technologi Contemporanei.* Edited by E. Macorini. Milan (Italy): Mondadori.

Tobias, P. V. 1976*a* Louis Leakey: A Pioneer of African Palaeoecology. Number 3, pages 3–6 in *Studies in Physical Anthropology.* Edited by T. Bielicki. Warsaw: Polish Academy of Sciences.

Tobias, P. V. 1976*b* White African: An Appreciation and Some Personal Memories of Louis Leakey. Pages 55–74 in G. L. Isaac and E. R. McCown (editors), *Human Origins: Louis Leakey and the East African Evidence.* Menlo Park, Calif.: Benjamin.

مونتاجيو، آشلى

Ashley،Montagu

يعتبر آشلى مونتاجيو، المولود عام ١٩٠٥، واحداً من رجال العلم النادرين الذين نجحوا فى تحقيق إسهامات علمية جوهرية فى فروعهم الأكاديمية وظلوا فى نفس الوقت على علاقة بالمثقف العادى، حيث أسهم بالفعل فى تعليم هذا المثقف بشكل كبير. إضافة إلى ذلك، فهو ناقد اجتماعى مخلص وواضح، اهتم بتطبيق نتائج العلوم الاجتماعية والبيولوجية فى تحسين صورة جموع البشر، وفى نفس الوقت كان يخضع بعض هذه النتائج للفحص الاجتماعى النقدى. إن إنجازاته فى هذه الحقول الثلاثة، وهى العلمى، والثقافى العام، والسوسيوأخلاقى، سوف تُعالج كوحدة فيما يلى، وفقًا لروح البرنامج الذى وجه عمله الحياتى.

وعلى الرغم من أن إسهامات مونتاجيو تمتد إلى مجالات متنوعة فى العلوم الاجتماعية والبيولوجية – تشمل دراسة مشكلات متعددة مثل مفهومات سكان أستراليا الأصليين عن الجنسانية والتكاثر، وقياس العلامات التشريحية الداخلية فى رءوس البشر الأحياء، وعقم الفتيات المراهقات، ودور السلوك التعاونى فى التطور، والعوامل البيولوجية والثقافية المؤثرة فى العدوان وفى أدوار الجنسين – فإن ميراثه الرئيسى هو بلا جدال تحليله النقدى لمفهوم السلالة.

إن مشكلة السلالة شغلت بال مونتاجيو منذ بداية مسيرته الفكرية (Montagu 1925; 1926)، وذلك قبل أكثر من ربع قرن من ظهور قرار إنهاء التمييز العنصرى الذى أصدرته المحكمة العليا فى الولايات المتحدة عام ١٩٥٤ فى مجلس براون للتعليم فى توبيكا *Brown v. Board of Education of Topeka (347 U.S.483)*، وهو القرار الذى روج لمذهب الحقوق المدنية الذى ظهر فى أمريكا منذ ذلك الوقت. إن عمل مونتاجيو كان له دور فى قرار المحكمة العليا، وكذلك فى تشكيل الوعى الاجتماعى الذى قاده وأولاه عنايته منذ ذلك الحين. وإذا كانت بعض أفكاره،

كما ستناقش فيما يلى، يبدو أنها ليست موضع خلاف نسبيًا، وأنها مسألة معرفة شائعة تحظى بالقبول العام، فيجب ألا نغفل أن المعرفة والاتفاق العام يعودان إلى حد ما إلى عمل وجهود مونتاجيو، وإنه أيضًا كان يطرح هذه الأفكار بقوة فى وقت مبكر، عندما كانت لا تحظى بالقبول، وعندما انتهكت بشدة وبشكل لا نظير له فى التاريخ الإنسانى (Montagu 1939; 1941 a).

إن أبحاث مونتاجيو عن السلالة فى أواخر الثلاثينيات، التى بلغت الذروة فى كتابه أخطر خرافة للإنسان: وهم السلالة *Man's Most Dangerous Myth: The Fallacy of Race (1942a)* والتى تلتها سلسلة من الأعمال (تشمل (Montagu 1951; 1964l 1975)، كان من تأثيراتها قلب المفهوم التقليدى عن "السلالة" الذى كان يحظى بالقبول لدى غالبية علماء الأنثروبولوجيا فى أنه تحدى حقيقة أى شىء مماثل لهذا المفهوم. وقد أكد مونتاجيو أن تحليل التردد الجينى للسمات يمكن أن يخبرنا بالكثير عن تطور الجماعات البشرية، مبرهنا على أن مفهوم "الأومليت" (المزج السلالى Racial mixing) كان مصطنعًا تمامًا ولم يؤد إلى تفسير أصول ونتائج الاختلافات بين الجماعات السكانية. وبما أن البشر كلهم، أينما وُجدوا، كانوا يعملون فى الأصل بالصيد - والجمع، فإن التحديات البيئية التى واجهتها الجماعات السكانية المختلفة يبدو أنها كانت متماثلة تمامًا، ومن ثم فيجب ألا نتوقع وجود فروق عقلية. وهذه النظرية، كما فُصلت فى مقال مشترك مع عالم الوراثة ثيودوسيوس دوبجانسكى Theodosius Dobzhan-sky (1947)، أصبحت فيما بعد تحظى بالقبول العام لدى علماء الأنثروبولوجيا. وقد طُلب من مونتاجيو أيضًا صياغة تقرير المنظمات التعليمية والعلمية والثقافية بالأمم المتحدة عن السلالة (١٩٥١) فى عام ١٩٥٠ .

وبالإضافة إلى عمله عن السلالة، كان مونتاجيو أيضًا من ضمن الأوائل الذين طرحوا مجموعة من الرؤى، التى قُبلت على نطاق واسع فيما بعد، عن موضوعات اجتماعية

وسيكولوجية مألوفة مثل العدوان والحرب (1946b; 1976)، والعوامل الاجتماعية فى الجريمة (Montagu and Merton 1940)، وحقوق المرأة (1953b)، والتحليل النفسى والطب العقلى فى الأنثروبولوجيا (1941b)، والحب (1953a)، والولادة فى المنزل والرعاية فى فترة ما قبل الولادة (1950; 1962)، والدراسات الأفرو- أمريكية (١٩٤٤)، والسوسيوبيولوجيا(١٩٤٠)، وترتيب الولادات (١٩٤٨)، والخصوصية (1956a) وكذلك التدخين (1942b) والأطعمة الطبيعية (١٩٥٨). وفى هذه الأعمال وغيرها كان مونتاجيو مدافعاً قوياً بصفة مستمرة عن التفاعلية البيئية - الوراثية Gene-environment Interactionism (1926;1940; 1956b; 1959; 1962)، مؤكداً أن الوراثة ليست "حتمية" بيولوجية فى الجينات، وأن تكوين الإنسان هو عملية دينامية تنتج من التفاعل القائم بين تاريخه التجريبى الفريد وبين القيود والإمكانات المشفرة فى مادته الوراثية.

وقد سمح هذا الموقف التفاعلى لمونتاجيو أن يصبح ممثلاً حقيقياً لحقلى الأنثروبولوجيا الثقافية والبيولوجية، وهما حقلان متضادان فى الأغلب. فهو يستطيع أن يقدم دليلاً على الطبيعة البيواجتماعية للإنسان (1953b) وفى نفس الوقت يبين القدرة اللامحدودة عمليا للتعليم والثقافة فى تشكيل هذه الطبيعة نفسها (١٩٦٢). لقد حاولت تفاعليته التوفيق بين هذين القطبين، ليس فقط فى ضوء تاريخ التأثيرات المزدوجة التى تمارس عملها أثناء حياة الإنسان، ولكن أيضًا تلك التى عملت أثناء التاريخ التطورى للجنس البشرى. وقد أكد مونتاجيو على التعاون الاجتماعى والحب (1953a;1974)، كعوامل انتخابية حاسمة فى التطور - وهى أفكار سبقت بكثير انغماس السوسيوبيولوجيا فى مسألة "الغيرية Altruism" (بالمعنى الجديد الخاص بالصلاحية الشاملة) فى نهاية السبعينات.

إن أعمال مونتاجيو الأخرى كان لها أصداء اجتماعية أقل، ولكنها مازالت تمثل إسهامات مهمة للأنثروبولوجيا. فالوجود بين سكان

أستراليا الأصليين *Coming Into Being Among the Australian Aborigines (1937)* يعتبر من الأعمال الكلاسيكية فى هذا الموضوع ومازال مصدراً مفيداً، يعالج موضوعات مثل الوعى بحقائق الأمومة والأبوة ودلالة التشويه الجنسى الشعائرى. وهذه لم تكن مجرد دراسة رائدة أثارت اهتمام العديد من الطلاب والباحثين، ولكن مدخلها أدى إلى تنظيم حقل كان، إضافة لكتاب برونيسلو مالينوفسكى عن الحياة الجنسية للمتوحشين *Bronislaw Malinowski's Sexual life of savages (1929)*، غير مفهوم بوضوح ويكتنفه الغموض قبل ذلك. إضافة إلى ذلك، فإن دراسة مونتاجيو عن فترة العقم عند المراهقات (1946a) حلت مشكلة معقدة واجهها الكثير من الأنثروبولوجيين - من أبرزهم مالينوفسكى فى دراساته عن التروبرياندبين (١٩٢٩) - وهى ندرة حدوث الحمل عند الفتيات المراهقات على الرغم من تورطهن فى علاقات جنسية متعددة قبل الزواج.

وقد انشغل مونتاجيو أيضاً بمشكلات فنية فى القياس الأنثروبومترى. وقام بتحديد نقاط مرجعية معينة فى فروة الرأس تقاس بها الجمجمة وابتكر أدوات قياس تستخدم فى تحديد النقاط المتناظرة فى الجمجمة الداخلية على الأشخاص الأحياء (١٩٦٠). ودراسته التشريحية عن الرئيسات غير البشرية وعن الحفريات تُوجت بصدور واحد من أوائل الكتب الدراسية فى الأنثروبولوجيا الفيزيقية (١٩٤٥)، وهو الكتاب الذى ظل لفترة طويلة من الأعمال الموثقة التى تحظى بالاستخدام على نطاق واسع فى هذا الموضوع. أما كتب مونتاجيو الأخرى فهى تشمل أعمالاً مرجعية فى الوراثة (١٩٥٩) والتشريح والفسيولوجيا (Montagu and Steen 1959)، وسيرة رائعة لإدوارد تايسون (١٩٤٣)، ومجموعة كبيرة من الكتب اللطيفة والتثقيفية التى كتبت للمثقف العادى.

وقد حصل مونتاجيو على درجة الدكتوراه فى الأنثروبولوجيا من جامعة كولومبيا فى عام ١٩٣٧ . إن جذوره الأكاديمية والفكرية الأولى كانت متنوعة بغزارة مثل إسهاماته اللاحقة. فبعد

اهتمامه الطفولى قديم العهد بالجماجم، والحفريات، والمسائل الطبية بتشجيع من عالم الأنثروبولوجيا - والتشريح آرثر كيث Arthur Keith من الكلية الملكية للجراحين فى لندن، سجل مونتاجيو وهو فى السابعة عشرة من عمره بكلية الجامعة بلندن University College London فى دبلوم علم النفس، على أمل التحويل إلى الأنثروبولوجيا. ومن بين أساتذته فى علم النفس كان سى. إى. سبيرمان C.E.Spearman وأبو الإحصاء الحديث والقياس الحيوى كارل بيرسون Karl Pearson، وفى الأنثروبولوجيا درس على يد إليوت سميث Elliot Smith وسى. جى. سليجمان C.G.Seligman. وفى هذا الوقت كانت الأنثروبولوجيا الحديثة قد بدأت فى الظهور فى أوروبا ببزوغ المدرسة الوظيفية لمالينوفسكى. فقد استبدل بالاتجاه القديم الخاص بالعصى / الأحجار/ العظام تحليل العلاقات الوظيفية المتبادلة بين عناصر الثقافة. وقد أصبح مونتاجيو أول تلميذ لمالينوفسكى، وهو يحمل بالتأكيد بصمته (إلى جانب بصمة أخرى أقوى، يلمسها البعض، من أستاذه العظيم الآخر، فرانز بواس (Franz Boas، ولكنه سرعان ما انحرف مفضلاً اتجاهاً بيولوجيا قويًا، وبالذات فى المسائل المتعلقة بعلم النفس. (لقد كان مونتاجيو من أوائل المؤيدين لسيجموند فرويد فى الأنثروبولوجيا، على الرغم من أنه أصبح ناقدًا للاتجاه التحليلى النفسى فيما بعد).

ويعتقد سى. لورنج براس C.Loring Brace، وهو أنثروبولوجى من جامعة ميتشجان، أن مونتاجيو "عمل أكثر من أى شخص آخر باستثناء مارجريت ميد ليجعل نتائج الأنثروبولوجيا مثيرة لاهتمام العامة من الناس". ويصفه وستون لابار Weston LaBarre من جامعة ديوك بأنه "من أكثر مبسطى الموضوعات الإنسانية تأثيراً وأغزرهم إنتاجًا منذ إتش. جى. ولز H.G.Wells". ولا يفضل كل علماء الأنثروبولوجيا مسألة التبسيط هذه، وربما أثر هذا الاتجاه بالسلب على شعبية مونتاجيو داخل التخصص، ومع ذلك فأكثر من زميل له أشار إلى أن هذا الاتجاه السلبى يمكن أن يعكس مسألة " العنب

حُصرم: وهى عبارة تقال تحقيراً لشيء لأنه لا ينال".

إن التبسيط لم يكن العامل الوحيد الذى قلل من شعبية مونتاجيو المهنية. فوفقا لماركوس جولدستاين Marcus Goldstein من جامعة تل أبيب:

"إن السبب فى هذا، فى رأيى، كان صراحته، وهجومه الجسور والفظ على أعمال ومسائل شعر أنها كانت خاطئة علميًا، وربما أهم من ذلك، كانت أو يمكن أن تكون ضارة اجتماعيًا. وهناك مثالان يمكن ذكرهما. ففى أحد الاجتماعات الأولية للرابطة الأميريكية لعلماء الأنثروبولوجيا الفيزيقية، انتقد بحدة دراسة الأستاذ إى . إيه. هوتون E.A.Hooton عن نماذج المجرمين فى الولايات المتحدة، التى تمثل عودة فعلية للأمبروزية Lombrosoism. والمرء يجب أن يتذكر فى هذا السياق أن هوتون كان المعلم المرجعى لكل الأنثروبولوجيين الفيزيقيين الشبان فى هذا الوقت تقريبًا! وفى مقال لاحق ألفه بالاشتراك مع روبرت ميرتون Robert Merton ("*الجريمة والأنثروبولوجى Crime and the anthropologist 1940*")، تم التدليل بشكل منظم على أن مقدمات هوتون ومنهجيته لا أساس لها من الصحة. وفى اجتماع آخر للرابطة، اقترح مونتاجيو التحرك لاستهجان علماء الأنثروبولوجيا الألمان الذين كانوا يسيئون استخدام العلم بشكل ظاهر بتكييفه مع الأيديولوجية النازية الفاسدة. وقد هزمت الحركة، ولكن فى العام التالى اقترح الرجل نفسه الذى كان مسئولاً عن هزيمتها نفس الحركة، التى اتفق عليها بالإجماع".

إن الحكم النهائى لقيمة التبسيط سيترك بالطبع للتاريخ. وسواء كان فى منتصف أو نهاية القرن العشرين الذى يتسم بجمهوره العام المثقف والملم بالمعلومات بشكل ليس له مثيل وبوسائل اتصاله النافذة والقوية هل مازال من الممكن للعلماء، خاصة العلماء الاجتماعيين إجراء بحوثهم، وبالذات فى الموضوعات الحساسة اجتماعيًا أو بطريقة أخرى الدالة اجتماعيًا، دون القيام فى الوقت ذاته بدور المدافع أو على الأقل بدور المفسر نحو الجمهور المثقف، سؤال إمبيريقى يستطيع واقع

الأحداث المتتالية فقط أن يجيب عنه.

على أية حـــال، من الواضح أن آشلى مونتاجيو اختار حظه مع الدور الجديد المزدوج للعالم الاجتماعى، وقد أدى هذا الدور بشطريه على نحو رائع.

المؤلف : Stevan Harnad

المترجم : مصطفى عوض إبراهيم

Works by Ashley

Supplementary Bibliography

BIBLIOGRAPHY

Personal communications from C. Loring Brace, Weston LaBarre, and Marcus Goldstein to the author have been quoted, with permission, in this article.

WORKS BY MONTAGU

1925 The Colour Question. *Vincula* (Journal of the University of London's Student Union) Dec. 14: 66 only.

1926 Intelligence Tests and the Negro in America. *Wasu* (Journal of the West African Students Union of Great Britain) 1, no. 1:5–7.

(1937) 1938 *Coming Into Being Among the Australian Aborigines.* New York: Dutton. → Includes a foreword by Bronislaw Malinowski.

1939 Race and Kindred Delusions. *Equality* 1, no. 7: 20–24.

1940 The Socio-biology of Man. *Scientific Monthly* 50:483–490.

1940 MONTAGU, ASHLEY; and MERTON, ROBERT K. Crime and the Anthropologist. *American Anthropologist* 42:384–408.

1941*a* The Concept of Race in the Light of Genetics. *Journal of Heredity* 32:243–247.

1941*b* Nescience, Science, and Psycho-analysis. *Psychiatry* 4:45–60.

1942*a* *Man's Most Dangerous Myth: The Fallacy of Race.* New York: Columbia Univ. Press. → A paperback edition was published in 1974 by Oxford University Press.

1942*b* Nothing Can Be Said in Favor of Smoking. *In Fact* 4, no. 10:2–3.

1943 *Edward Tyson, M.D., F.R.S., (1650–1708), and the Rise of Comparative Anatomy in England.* Philadelphia: American Philosophical Society.

1944 The African Origins of the American Negro and His Ethnic Composition. *Scientific Monthly* 58: 58–65.

1945 *An Introduction to Physical Anthropology.* Springfield, Ill.: Thomas.

1946a *Adolescent Sterility.* Springfield, Ill.: Thomas.

1946b Racism, the Bomb, and the Peoples of the World. *Asia and the Americas* 46:533–535.

1947 MONTAGU, ASHLEY; and DOBZHANSKY, THEODOSIUS Natural Selection and the Mental Capacities of Mankind. *Science* 105:587–590.

1948 Sex-order of Birth and Personality. *American Journal of Orthopsychiatry* 18:351–353.

1950 Constitutional and Prenatal Factors in Infant and Child Health. Supplement 2, pages 1–30 in *Problems of Infancy and Childhood.* New York: Josiah Macy, Jr., Foundation.

(1951) 1972 *Statement on Race.* 3d ed. New York: Oxford Univ. Press.

1953a MONTAGU, ASHLEY (editor) *The Meaning of Love.* New York: Julian.

(1953b) 1974 *The Natural Superiority of Women.* Rev. ed. New York: Macmillan.

1956a The Annihilation of Privacy. *Saturday Review* Mar. 31:9–11, 32.

1956b *The Biosocial Nature of Man.* New York: Grove Press.

1958 Are We Forgetting How to Eat? *House and Garden* 114:178–179.

1959 *Human Heredity.* New York: World Publishing.

1959 MONTAGU, ASHLEY; and STEEN, EDWIN B. *Anatomy and Physiology.* 2 vols. New York: Barnes & Noble.

1960 *A Handbook of Anthropometry.* Springfield, Ill.: Thomas.

1962 MONTAGU, ASHLEY (editor) *Culture and the Evolution of Man.* New York: Oxford Univ. Press.
1964 *The Concept of Race.* New York: Free Press.
1974 *Culture and Human Development.* Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall.
1975 MONTAGU, ASHLEY (editor) *Race and IQ.* New York: Oxford Univ. Press.
1976 *The Nature of Human Aggression.* New York: Oxford Univ. Press.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

MALINOWSKI, BRONISLAW (1929) 1962 *The Sexual Life of Savages in Northwestern Melanesia: An Ethnographic Account of Courtship, Marriage, and Family Life Among the Natives of the Trobriand Islands, British New Guinea.* New York: Harcourt.

ميد : مارجريت

MEAD ; Margaret

"كنت أقف منذ دقائق على حافة البحر أتأمل الشاطئ الصخرى حيث يوجد نحو عشرين قارب صيد تحوطها بعض الظلال الملونة فى مواجهة سماء الفجر الشاحبة، وبعد وقت قصير سوف تبدأ تلك القوارب وبحارتها من جميع الأعمار فى الاقتراب من الساحل ومعهم صيدهم من السمك لتناول إفطارهم المبكر. وعلى بعد نصف ميل ترتفع فوق سطح المياه المالحة الضحلة ثلة من الأشجار تحدد الموقع الذى كان يعيش فيه فى الماضى سكان قرية بيرى Pere فى مساكن مرفوعة فوق أعمدة خشبية وحيث كنت أعيش أنا أيضا فى أحد مساكن مانوس Manus الذى كان له سقف عال مرتفع من الخوص المجدول وأرضية من شرائح متباعدة سقطت من خلالها بعض الأشياء الصغيرة إلى الماء - كان ذلك حين جئت لأول مرة لدراسة أهالى مانوس.

وزيارتى الآن هى ثالث زيارة ميدانية فى مانوس. ففى رحلتى الأولى ركزت على دراسة الأطفال. والآن وبعد ست وثلاثين سنة أصبح هؤلاء الأطفال رجالا فى أواسط العمر. ففى عام ١٩٢٨ ذهبت لدراسة أهل مانوس لأنهم كانوا لايزالون يحتفظون بأساليب حياتهم الوحشية ولم يكونوا قد اعتنقوا بعد أفكار الغرب وديانته. ولكن بعد خمس وعشرين سنة وفى عام ١٩٥٣ عدت إليها لكى أرى إلى أى حد تغيروا خلال حياة جيل واحد وماذا حدث لهم أثناء هذا التغير. والآن، وبعد إحدى عشرة سنة أخرى أعود إلى مانوس للمرة الثالثة لكى أتابع مسيرتهم السريعة نحو التحديث.

وهنا فى بيرى Pery عرفت مرة أخرى - من خلال الحديث والسماع مع شعب كامل جاءوا دون أن يفقدوا شيئا من الشعور بالاستمرار - مدى أهمية أن ندرك قدرة الجنس البشرى على التغير مع الاحتفاظ باستمراريته داخل التغير...

وفي كل يوم أتوجه لأداء مهمتي العادية في البحث الميداني... شخص واحد بمفرده تماما أمام مجتمع متكامل... (وإذا كان الطفل يتعلم أثناء نموه كي يصبح هو ماتعلمه فإن الأنثروبولوجي يجب أن يتعلم الثقافة دون أن يتمثلها حتى يكون هو الراصد والمؤرخ الدقيق لتلك الثقافة...." (Mead & Metraux 1970 ,pp. 299-311).

مثل هذه "الرسائل من الميدان" تؤلف جزءا من السجل الذى احتفظت به ميد وتداولته خلال خمسين سنة مع "الأقارب والأنسباء" ومع "الناس" الذين درستهم ومع زملائها الأنثروبولوچيين ومع عدد آخر كبير جدا من الأطفال وآبائهم وأجدادهم فى أنحاء كثيرة من العالم. فانطلاقا من الالتزام بأن تكون هى "مؤرخة" الأنثروبولوچيا والمشاركة عن طريق الملاحظة فى تاريخ ذلك العلم وتطوره، وانطلاقا أيضا من رغبتها فى عرض أكبر قدر ممكن من المعلومات عن حياتها هى وحياة الجماعات التى تصفها، بل وانطلاقا من إيمانها بأنه "ليس هناك شىء مما يراه المرء أو يسمعه أو يشمّه أو يتذوقه يكون بلا معنى ولا يرتبط بكل الأشياء الأخرى " تبزغ تسجيلات ميد الهائلة والمترابطة عن "حياتها العملية "وعن "حياتها الشخصية" (1955,p. 134). فهى لم تكن تكتفى بتقديم معلومات ميدانية ثرية عن أهالى ساموا ومانوس وأرابيش وموندوجومور وتشامبولى وبالى وإياتمول والأمريكيين، (وهى "الشعوب الثمانية التى سمحت لى بالدخول إلى حياتهم") ولكن أيضا عن الأنثروبولوجى الشخص الذى كان يعيش ويعمل بين تلك الشعوب. ولقد تركت وراءها وصفا ملحميا عن كيف تغيرت " مع كل خطوة فى الرحلة ومع كل موقف... ومع كل يوم من أيام الإقامة فى الميدان " (1977,p. 15) ومن إدراكها المتناهى لعمق لثقافتها هى – التى أهداها لها والداها وجدّتها والتى أضاءها "أسلافها" وأساتذتها الأنثروبولوچيون وصقلتها سنوات العمل العديدة بين شعوب البحر الجنوبى". وكانت تؤمل علاوة على ذلك أن "يساعد هذا الكشف الأمريكيين على فهم أنفسهم " (b ,p. 1 1972).

والواقع أن حياة ميد كانت متلازمة بشكل واضح مع ظهور الأنثروبولوچيا الأمريكية كعلم اجتماعي أو "كعلم إنساني" كما كانت تفضل أن تسميها. ففي عامها الأخير بكلية بارنارد (١٩٢١/١٩٢٢) انتظمت في أول مقرر لها في الأنثروبولوچيا مع الرجل الذي أصبح معلمها وراعيها وهو فرانز بواس، أحد مؤسسي الأنثروبولوچيا الحديثة وأبو الأنثروبولوچيا الأمريكية. وكانت تساعده في تدريس ذلك المقرر روث بنديكت التي كانت في ذلك الحين طالبة بالدراسات العليا ثم بلغت بعد ذلك شأوا عظيما تستحقه كعالمة رائدة في ذلك التخصص. وقد أصبحت بنديكت إحدى أقرب الزميلات إلى ميد وأكثر أصدقائها ارتباطا بها. وحين توفيت روث بنديكت في عام ١٩٤٨ تولت ميد كتابة سيرة حياتها وأصبحت هي الوصية على مذكراتها الميدانية وأوراقها الخاصة (1949b ; 1959 a; 1968).

وقد اتخذت ميد قرارها بأن تتخصص في الأنثروبولوچيا (وليس في علم النفس أو علم الاجتماع أو أن تصبح كاتبة أو سياسية (وكلها أمور كانت موضع اعتبارها خلال سني الكلية) "نتيجة التشوق لاختيار مهنة لها رسالة حقيقية". وكان الإحساس الباطني الذي أثارته فيها الأنثروبولوچيا التزاما شبه ديني، فقد كانت تبحث عن أفضل الطرق لكي تسهم من خلال العلم وباستخدام ما لديها من مواهب وإمكانات خاصة في "القيام بعمل شيء مفيد" ينبغي " إتمامه الآن" ولكنه قد يساعد على الوصول لفهم أفضل " للسلوك البشري ويمكن أن يكون مؤثرا في مجرى الأحداث الإنسانية " (١٩٦٢). وبهذه الطريقة من التفكير الأصيل جذبت الأنثروبولوچيا ميد إليها. وبعد أن أنهت ميد رسالتها للماچستير في علم النفس بجامعة كولومبيا عام ١٩٢٤ نذرت نفسها تماما للأنثروبولوچيا. وقد تأثرت رؤيتها للأنثروبولوچيا تأثرا عميقا بأستاذيها الرئيسين بواس وبنديكت اللذين استطاعا أن "يثيرا في إحساسا بالأهمية البالغة والحاجة الماسة " لتسجيل تلك الثقافات البدائية الفريدة التي إذا اختفت فلن يمكن استعادتها أبدا... وحين كنت طالبة

بالدراسات العليا كثيرا ماكنت أصحو من النوم وأنا أقول لنفسى إن آخر رجل فى راراتونجا الذى يعرف شيئا عن الماضى قد يموت اليوم ولذا فلابد من أن أسرع للقائه "(1972a,p. 326).

ولقد أخذت ميد بكل جديّة مقولة بواس المأثورة إنه بصرف النظر عن نوعية الظواهر التى قد يختارها الباحث الأنثروبولوجى للدراسة فإنه تقع عليه مسئولية فكرية وأخلاقية تحتم عليه أن يصف أى ثقافة معرضة للانقراض بقدر كاف من التفاصيل تكفل " حفظها للجنس البشرى كله بما فى ذلك أصحاب تلك الثقافة أنفسهم" (1974,p. 298). وعدد كبير من كتاباتها مثل مقالها عن " التنظيم الاجتماعى فى مانوا "Social Organization of Manu'a (1930) أو مقال " القرابة فى جزر أدميرال "-Kinship in the Admiral ity Islands (1934) أو كتابها عن جبل أرابيش -*The Arapesh Moun tain (1938 - 1939)* كلها كتابات تصدر من المنطلق العام الشامل للثقافة ككل الذى كان يوصى به المعلم والموجه. وفى كل أعمالها كأنثروبولوجية محترفة كان من الواضح أن حماسها الأول كان هو جمع وتسجيل المعلومات الثقافية.

ولقد نتج عن التزام ميد بالأنثروبولوجيا كعلم إنسانى و"عالم لم تتحدد بعد كل معالمه" (-1962,p.p. 120 121) و"عملية إنقاذ جبارة" (p.،1959b 30) ظهور ليس فقط أربعة وأربعين كتابا مطبوعا (ثمانية عشر كتابا منها بالاشتراك مع آخرين) وأكثر من مائة مقال ودراسة ومخطوطة وعدد لا يحصى من المحاضرات والمؤتمرات، ولكن أيضا تصنيفات دقيقة جدا ومنهجية لمذكراتها الميدانية وملاحظاتها ومقابلاتها الحرفية والرسوم والخرائط والتخطيطات الجنيالوچية والصور الفوتوغرافية والأفلام والتسجيلات على شرائط والصناعات اليدوية. ولقد أعدت هذه الأرشيفات وأتاحتها للباحثين المهتمين حتى يمكن لمن يأتى منهم بعدها أن يبدءوا بحوثهم من حيث توقفت " (1962,pp. 120 - 129). ولكن إلى جانب كونها مصدرا ثريا للمعلومات الإثنوجرافية فإن تلك المعلومات تؤلف سجلا أصيلا لفترات خصبة فى

الأنثروبولوجيا الأمريكية، فهي "مادة الحيـاة التي منهـا.... تطورت الأنثروبولوجيا كعلم "(1977b,p. 1)، ومجمل الفروض والنظريات والمناهج والحقائق التي اعتمدت عليها خلال نصف القرن الذي استغرقته أعمالها والذي أسهمت هي فيه بشكل واضح وعميق.

هذا الأرشيف نفسه يؤلف سيرة حياة ثقافية فريدة امتدت لثلاثة أجيال كما يضم تاريخ عدد كبير من الشعوب التي عملت ميد بينهم لفترات طويلة ومتكررة كملاحظة عن طريق المشاركة.. ولقد كان إخلاصها وصلابتها وقدرتها على الفهم والاستجابة للمعلومات البسيطة (Lee 1954,p. 1109) ووفرة إنتاجها من العوامل التي ساعدتها على إرساء ونقل دراسات استغرقت فترات طويلة من الزمن وعلى درجة عالية جدا من التماسك والتفاصيل، ولكن فوق كل شيء كانت أبحاثها الميدانية المتصلة والمستمرة هي التي جعلت من هذه البيانات شيئا له معنى.

وحين غادرت ميد مانوس عام ١٩٢٨ في نهاية زيارتها الأولى، وبينما القارب الذي تستقله كان يبتعد عن شواطئ قرية بيري قام الأهالي بقرع الطبول المستطيلة إعلانا للحداد، فقد كانوا ينعونها بمثل ما يبكون موتاهم إذ كانوا يعتقدون بكل أسى أنها لن تعود إليهم أبدا. وربما يصدق مثل هذا التنبؤ على معظم الأنثروبولوجيين الذين يدرسون شعبا واحدا أو ربما في حالات قليلة عددا من الشعوب خلال تجربة ميدانية طويلة واحدة. فعدد قليل جدا من الأنثروبولوجيين هم الذين يقومون برحلات متابعة في المجتمع الذي درسوه بينما البعض الآخر قد يعيد دراسة مجتمعات سبق لغيرهم دراستها في أوقات سابقة. ولكن على النقيض من كل تلك الأنماط العامة للدراسات الميدانية كانت ميد " تعود مرارا وتكرارا.... لنفس المكان ولنفس الشعب أو الشعوب " (1972,p. 12) بحيث قامت بأربع وعشرين رحلة متنوعة. فقد زارت قرية بيري في جزيرة مانوس وغينيا الجديدة ست مرات خلال الفترة من ١٩٢٨ إلى ١٩٧٥ لكي تدرس التحول الثقافي الهائل الذي خضع له ذلك المجتمع

المحلى وهو ينتقل " من نهاية العصر الحجرى إلى العصر الإلكترونى" خلال جيل واحد (1976,b,p. 64)

وقد شملت رحلات ميد الميدانية الأساسية - كما سجلتها فى سيرتها الذاتية - ساموا (١٩٢٥-١٩٢٦)، مانوس فى جزر أدميرال فى غينيا الجديدة (١٩٢٩) ، إحدى قبائل هنود أمريكا (١٩٣٠) ، جبل أرابيش وموندوجومور وتشامبولى فى غينيا الجديدة (١٩٣١-١٩٣٣) ، بالى وإيتامول فى تامبونان - غينيا الجديدة (١٩٣٦-١٩٣٨) وجولة لإلقاء محاضرات فى إنجلترا أثناء الحرب (١٩٤٣) وجولة محاضرات فى أستراليا (١٩٥١) ودراسة جديدة فى مانوس وجزر أدميرال (١٩٥٣) ثم عادت إلى إياتمول وسبيك (مايو - يوليو ١٩٦٧) ، وعودة إلى جزر أدميرال من أجل تصوير فيلم للتليفزيون التعليمى الوطنى (أغسطس - سبتمبر ١٩٦٧) ، وعودة إلى مانوس وجزر أدميرال وغينيا الجديدة (يوليو - أغسطس ١٩٧١) ، وعودة إلى ساموا (١٩٧١) ، وإعادة دراسة جماعات جبل أرابيش الذين تم توطينهم فى بريطانيا الجديدة New Britain (1973)؛ وعودة إلى مانوس وجزر أدميرال وغينيا الجديدة (١٩٧٥).

وإذا كانت ميد تعتبر جولتيها لإلقاء محاضرات فى إنجلترا وأستراليا رحلات ميدانية فإن ذلك يتسق تماما مع مفهومها عن العمل الميدانى كنشاط مستمر يجب القيام به حيثما ذهب الباحث سواء أكان " فى مكان العمل... أم فى أثناء التجول...أم فى إحدى القرى الصغيرة فى أوروبا " (1965,p.134)، وسواء أكان يلقى محاضرة أو يتراسل مع قرائه العديدين. فقد كانت تعتبر الجمهور الذى يستمع إلى المحاضرة إخباريين يرشدونها عن طريق أسئلتهم وتعليقاتهم عن كيف "تؤلف كتابا يجعل لحياة الناس الذين يعيشون فى جزيرة بعيدة أهمية ومعنى للقراء الأمريكيين ، أو على العكس من ذلك كيف "تشرح الأمريكيين "للشعوب الأخرى (1965,p.126). ومع أنها كانت تزعم أنها كانت تشعر دائما بأنها

تعيش فى وطنها تماما فى أى "مكان بعيد" زارته خلال سنواتها العديدة فى العمل الميدانى فإن أمريكا كانت هى المكان الذى تعود إليه دائما فى نهاية كل رحلة، كما كان الأمريكيون هم الشعب الأول الذى توجه إليه محاضراتها وكتاباتها.

ولقد نشر أول أعمال ميد فى وقت كان المفهوم الأنثروبولوجى عن الثقافة جديدا نسبيا كما كان التنوع الهائل للأنماط الثقافية من مجتمع لآخر فى بداية اكتشافه وتوثيقه. وفى كتبها عن "البلوغ فى ساموا Coming of Age in Samoa (1928 a) والنمو فى غينيا الجديدة Growing Up in New Guinea (a1930) والجنس والمزاج فى ثلاثة مجتمعات بدائية Sex and Temperament in Three Primitive Societies (1933) كانت تحاول أن تبين الدور المهم الذى تلعبه الثقافة فى تشكيل الاتجاهات البشرية مع تركيز الوصف والتحليل على البلوغ وتربية الأطفال وأدوار الجنس.

وكانت ميد أول من درس من بين الأنثروبولوجيين المرأة من منظور ثقافى متقاطع وذلك داخل إطار دراستها الشاملة عن "كيف يمكن للشعوب أن تصوغ ذكورها وإناثها فى أدوار تختلف باختلاف المواقف " (1949a,pp. 31-32). وقد انتهت فى كتابها الجنس والمزاج فى ثلاثة مجتمعات بدائية إلى أنه " إذا كانت المواقف المزاجية التى جرت العادة على اعتبارها مواقف أنثوية ... يمكن أن تكون بسهولة مواقف ذكورية ... فى إحدى القبائل وخارجة على القانون ... بالنسبة للنساء ... وأيضا بالنسبة... للرجال، فلن يكون لدينا أى أساس لاعتبار هذه المظاهر السلوكية مرتبطة بالجنس ارتباطا وثيقا " (1935,pp. 279 -280). وفى عمل آخر تال وهو كتاب الذكر والأنثى (1949a) غيّرت منظورها وأكدت بشدة على الجوانب البيولوچية لسلوك الفتيات والشبان والنساء والرجال أكثر مما فعلت من قبل، كما ركزت على "الضروريات" و"الاطرادات فى الذكورة والأنوثة التى ينبغى على كل مجتمع الاعتراف بها " (p. 32).

وكانت ميد أحد الذين أرسوا قواعد مدرسة الثقافة والشخصية وأول

من قام بدراسة ميدانية موجهة توجها سيكولوچيا. وبدأت فى ذلك المجال دراسات التنشئة الاجتماعية والتطبيع الثقافى، كما كانت أول باحث أنثروبولوجى يدرس ممارسات رعاية الأطفال (1930a) وعكفت لعدة سنوات على تنسيق وتنظيم وتطوير الإجراءات المنهجية التى تضمن دقة الملاحظة والتسجيل التفصيلى لسلوك الطفل (1949b) وإدماجه فى الثقافة، أى عملية التعلم العقلى كما تحدث فى أى ثقافة معينة (1963,p.185). وتعتبر ميد واحدة من أفضل علماء الأنثروبولوچيا فيما يتعلق بالإصرار على إبراز " أدق الارتباطات بين الأنماط الكلية الشاملة للثقافة وأنماط تنشئة الطفل فى تلك الثقافة " (ibid).

وكان لميد إسهامات مهمة أيضا فى دراسة "الخلق القومى" (1946b; 1951 d; 1954; 1963) باعتبارها من المدافعين عن الأسلوب الذى استحدثته بنديكت وچيوفرى جورر Geoffrey Gorrer وغيرهما لتحديد بناء الشخصية المنوالية للثقافة وممارسات العناية بالأطفال فى تلك الثقافة. وفى ردودها على الانتقادات حاولت ميد أن تبين بوضوح أن " النظرية...لا تتابع أصول الثقافة " (1954,p. 404) ولكن فقط أصول عملية التطبيع الثقافى، وكانت تضيف إلى ذلك أن الأفعال والتصرفات الخاصة بتقميط جسم الطفل أو فطامه ليست هى التى تنقل الثقافة للأطفال ولكن الذى كان يقوم بذلك هو السياق الثقافى الذى تتم فيه تلك الأفعال (1963,p. 186).

ومنذ البدايات الأولى للبحوث التى قامت بها وفى كل مرحلة أو خطوة تالية من مراحل عملها كانت تهتم بقضايا المنهج ولذا كرست قدرا كبيرامن العناية لعملية الاختيارالأنثروبولوچية.(1951 d; 1953 a; 1954; 1955; Mead & Metraux 1953) ولفلسفة وأساليب العمل الميدانى (1930a; 1939 a; 1952; 1960; 1970 a). كذلك كانت من أوائل الأنثروبولوچيين الأمريكيين فى الاعتماد على الملاحظة بالمشاركة أكثر من الاعتماد على المقابلات مع الإخباريين، وقد كتبت فى غينيا الجديدة تقول : " لقد أقمنا بيتنا دون جدران حتى يمكننا مشاهدة مايجرى طيلة الوقت فى الخارج

"(1949,a,p. 41). وكـــــانت توصـي الأنثروبولوجي بأن يتعلم اللغة الوطنية الأسـاسـيـة وترى أن من المفـيـد أن يكتـسب بعض العـادات الوطنيـة الأسـاسـيـة مـثل تجديف القوارب أو الرقص (1939,a). وفي هذا الصدد كان أسلوبها في العمل الميداني يقوم على المشـاركـة بمعنى الكلمـة لدرجـة الاسـتغـراق في الثقافة بقدر الإمكان وكان مـدخلها للعمل الميداني يتـفق مع إيمانها بأن الأنثروبولوجيا تخصص يقـوم علـى البيـانات الـواقـعـيـة التي " يتـعـارض فـيـهـا حب المحـافظة على التفاصيل الواقعية...مع التجريدات والتعميمات التي يقوم بها الباحث في العلوم"(1951b,p. 15)، وفي ذلك تقول " إن البيـانات تؤدي لدينا إلى صيـاغة الفروض وليس إلى البرهنة على صحة النظريات،" كـمـا ينبـغي على البـاحث الأنثـروبولوجي أن يتـجنب "الأنسـاق التـصنيـفـيـة المحكمـة التي ... تعطل وتشوه الالتزام الضروري الذي يتميز به المدخل الأنثروبولوجي" (1960,reprinted In 1964 a,p.6). والواقع أنهـا كـانت تشعر أن تعرّف الثقافة كان أشبه شيء بتـعلم لغـة لم يسـبق وصف قـواعـدها النحوية وأن الاثنين يتطلبان القدرة على "تعرّف النمط" (١٩٥٢).

ولقد كانت ميد أول من استخدم التـصـوير الفـوتوغـرافي والأفـلام في البحـوث الميدانية وكانت ترى في ذلك الوسيلة المثلى لإثراء منظورات الملاحظ بالمشاركة والارتقاء بها وتأكيد صدقها وصحتها. فالأمور الدقيقة التي كانت في وقت من الأوقات يصعب إدراكها يمكن الآن عـزلهـا ودراسـتـهـا على الشاشة. وعلاوة على ذلك فإن وجود سجل فوتوغرافي يساعد على إعادة التفسير بعد فترة من انتهاء العمل الميـداني (Mead & MacGregor,1951). فكتـــاب Balinese Character (1942) الذي كتبته مع جريجوري بيتسون كان هو العمل الذي مهد الطريق لاستخدام التـصـوير ليس فقط كأداة للتوضـيح الإثنوجـرافي ولكن أيضـا كـشكل أو صـورة تفـصـيلية قـوية راسخـة من التحليل الثقافي. فقد احتوى الكتاب على أكثر من سبعمائة صورة متم التقطها بيتسون عن تتابع الحركات

السلوكية وترتيبها فى تتابع دقيق ومتكامل لكى تكشف عن المظاهر الأساسية للحياة فى بالى وبعض الاهتمامات النظرية لدى الكاتبين، وقد واصلت ميد وبيتسون إنتاج عدد من الأفلام وتكوين مكتبة ضخمة من "الوصف الفيلمى"، ومن هذه الأفلام فيلم عن "Bathing Babies in Three Cultures" ويعتبر من الكلاسيكيات الأنثروبولوچية. وقد كتبت عالمة الأنثروبولوچيا هيلدرد جيرتز Hildred Geertz فى ذلك تقول "إنه فى تاريخ الأنثروبولوچيا يمكن القول إن ذلك الفيلم كان نقطة البداية فى مجال علم الحركات " kinestics (Geertz,1976,p. 725).

كذلك لعبت ميد دورا أساسيا فى تطوير المناهج الخاصة بدراسة الثقافات البعيدة فى المكان أو غير المتاحة مؤقتا من الناحية الزمنية. وقد قامت بذلك الجهد من خلال مشروع جامعة كولومبيا لبحث الثقافات المعاصرة الذى أشرفت عليه بعد وفاة روث بنديكت، وكان ذلك البحث يدور حول دراسة الثقافة "عن بعد" بالاستعانة بفريق متعدد التخصصات من الباحثين الذين قاموا بجمع وتحليل المقابلات والأدبيات وغيرها من المعلومات الوثائقية اللازمة لإعداد إثنوجرافيين عن المجتمعات التى كان يصعب القيام فيها ببحوث ميدانية مباشرة وقد نتج عن ذلك البحث عدد من المجلدات التى تحتوى على تسجيلات حرفية للمقابلات التى أجريت مع عدد من اليهود الفرنسيين والبولنديين والروس ومن أوربا الشرقية وغيرهم من الإخباريين المهاجرين، وهى تسجيلات تؤلف مصدرا هاما جدا للمعلومات التى تفيد مؤرخى العلاقات العرقية المعاصرة.

وكانت ميد سابقة على عصرها فى عدد من مجالات البحوث التطبيقية التى كانت تتطلب صياغة علاقات متعددة الأبعاد بين الأنثروبولوچيا وغيرها من التخصصات. ومن أهم تلك الإسهامات فى هذا الصدد دراستها لموضوع التغذية. ففى عام ١٩٤١ طلبت منها روث بنديكت الإشراف على "لجنة حكومة الولايات المتحدة لعادات الطعام"، ومع أن هذا البحث كان له علاقة بالسياسة العامة للدولة فإن

بحوث ميد توقعت حدوث تطورات أساسية حديثة فى مجال الأنثروبولوچيا الطبية الحيوية، وقد عرّفت عادات الطعام بأنها "منظومة من السلوكيات المقنّنة ثقافيا" (1943b,p.20) واقترحت منهجا تفصيليا ومتسقا لدراسة هذه المنظومة (١٩٤٥) يرتكز على مفهومها للتعريف الثقافى للطعام وعلى الديناميات السيكولوچية للسياق الثقافى لتلك العادات (١٩٥٠) .

وقد امتد اهتمام ميد بما يسمى الآن بأنثروبولوچيا الطب الحيوى Biomedical Anthropology إلى ما وراء مجال التغذية بحيث شمل التنميط الثقافى للعمليات البيولوچية (1947c) ومجال النضوج والشيخوخة والنمو والكبر (١٩٥٠)، وكانت أول من اكتشف أن النساء اللواتى لم يسبق لهن الحمل يمكن أن يقمن بعملية الرضاعة (1957,p. 375) ولذا كانت مناقشتها لمدخل Gesell-Ilg (1949d) لدراسة النضوج (الذى افترضت فيه وجود اختلافات كبيرة بين الثقافات التى تراعى الإيقاعات البيولوچية العادية وتلك التى تتجاهلها) كانت من أولى المحاولات لإدماج البيولوچيا فى نظرية الثقافة والشخصية.

ولم يتح لأى أنثروبولوجى آخر أن يصف الولادة والرضاعة وأساليب رعاية الطفل الوليد بمثل تلك التفاصيل التى قدمتها ميد. ففى كتابها Male and Female كتبت تقول " يبدو أن رابطة رعاية الأم بطفلها رابطة بعيدة العمق فى... الشروط البيولوچية الفعلية التى لا يمكن التغاضى عنها تماما إلا عن طريق ترتيبات اجتماعية غاية فى التعقيد. وقد يمكن القول إن كل امرأة هى أم بالطبيعة إلا إذا أُخطرت بأنها غير مؤهلة للحمل".(-230; 1949,pp.191-192 231). وقد أكدت ميد فيما بعد أهمية الدراسات الإيثولوچية (علم دراسة سلوك الحيوان Ethology) بالنسبة للسلوك الأمومى نحو الأطفال الصغار داخل إطار التطور البشرى و"وصفت محاولاتها المستمرة لدراسة الأمهات والأطفال كنسق تفاعلى واحد يمكن تحديده وتعريفه بيولوچيا وسيكولوچيا وثقافيا وموقعيا" (1947a,p. 316 ; Mead & Newton 1967,pp. 142 144). وقد وجهت انتقادات عنيفة إلى " أساليب

الرعاية التى يوصى بها طب الأطفال والمتعلقة بالولادة .... التى تتدخل فى فترة ما بعد الولادة مباشرة ... والتى تفصل ... الأم ... عن الطفل المولود حديثا ... والتى تفرض طرق التغذية والعناية التى لا تأخذ فى الاعتبار العلاقة المتبادلة الرقيقة بين الأم والطفل الوليد" (1957p. 370 ; 1949a,p. 192)، بل إنها ذهبت إلى حد افتراض أنه عن طريق القواعد الثقافية "المفروضة على سلوك الأم الهادئ أو الإيجابى يمكن لعملية التعلم أن تبدأ داخل الرحم..." (1949a,p.61).

وكان اهتمام ميد بالتفاعل الأمومى مع الطفل الصغير هو الذى وجهها نحو دراسة عمليات التعلم الرمزى عن طريق الحركة أو الملامسة غير الكلامية. ففى بالى (١٩٣٠ – ١٩٣٦) لاحظت أن الأطفال الصغار لا يستجيبون للتعبيرات الوجهية للأم ولكن للعواطف والمشاعر التى يتم التعبير عنها حركيا (1957,p.373) ...." فبينما الأم تبتسم مثلا وتنحنى وهى تحيى الشخص الغريب ... يصرخ الطفل الصغير من الارتياع...فهو يعبر عن الخوف الناشئ عن السلوك الحركى الذى تعبر به الأم دون أن يصدر عنها أى كلام أو تعبير فى الوجه أو فى طريقة وقوفها" (ibid). وكانت ميد تشعر أنها اكتشفت نوعا جديدا تماما من التعلم، وهى عملية قريبة كل القرب من المفهوم الإيثولوجى للتعبير (١٩٥٨) وهذا التعلم اللالفظى وغير المفصل "يمكن أن يحدث فقط فى حالة وجود نموذج مثالى (1958,p.487) وكانت تؤكد كما لو كان مختلفا عن "تعلم الكلام ثم تعلم لغة ثانية بعد ذلك" (-1954,pp. 402 404). ويمكن اعتبار أعمال ميد حول نظرية التعلم أهم إنجازاتها فى دراسة عملية التطبيع الثقافى وإن لم يبدأ الأنثروبولوچيون الآخرون يركزون على التعلم إلا أخيرا ومن خلال عمليات النموذج الانطباعى (Wallace,1970,pp.157-158).

وقد أوضحت ميد أن اهتمامها " بمفهوم العلاقات غير اللفظية أدى فيما بعد إلى قوة الدفع الخاص بالتعلم الحركى ... وإلى تطوير كل مجال علم الإشارات واستخدام التسجيلات

السمعية - البصرية فى دراسة السلوك " (1947a,p. 314) مما ترتب عليه اتجاهها نحو دراسة الجوانب الروحية التى كانت تعتبرها جزءا من " متصل كلّى لظواهر الاتصال " (pp. 49-،1947a 50; - as early as 1243-1974a,p. 314) وقد سعت سعيا حثيثا للحصول على الاعتراف العلمى من الجمعية الأمريكية للبحوث الروحية (Long 1977). وكانت ميد تعتبر التطبيع الثقافى عملية اتصال وأن التجربة يمكن نقلها عن طريق أساليب رمزية.... فتزامن التأثيرات لا يتم فقط عن طريق سلوك وتصرفات الأشخاص الذين يتصلون بالطفل فحسب، ولكنه يتم أيضا عن طريق الشعائر والمواقف الانفعالية ومظاهر الفنون. فشكل أحد الأوانى مثلا أو الرسوم على أبواب المعابد أو منظر الساحة الممتدة أمام البيت ... كلها ... تقوّى ... نفس النمط الذى يتعرض له الطفل فى تسلسل متتابع (1977,p. 634) ... ففى المجتمعات التى يحدث فيها التغير ببطء شديد ... تتاح الفرصة لكل طفل لأن يتعلم من الأجزاء المختلفة للتجربة. فبعض الأطفال يتعلمون من شكل سقف البيت وهم ينظرون إلى السقف المعروش أثناء استلقائهم على ظهورهم، بينما البعض الآخر يتعلم من ملمس الإناء فى أيديهم بينما آخرون يتعلمون من وقع الأصوات فى آذانهم وهكذا... إلا أن هذه الأشياء كلها تعتبر مجرد أجزاء في وحدة كليّة لها شكل متسق تم تثبيته وتوفيقه خلال عدة أجيال .... (1957,p. 376).

وكانت ميد أول من استخدم التفسير الرمزى للثقافة وهو التفسير الذى عمل على تطويره فيما بعد علماء من أمثال ڤيكتور تيرنر وكليفورد جيرتز. فالشعائر والفنون بل والجسم نفسه هى مجازات واستعارات ثقافية (Mead & Bateson . 1942 ; Nead & Wolfstein 1955; Mead & Metraux 1953). ففى رأى ميد أن التحليل يمكن أن يبدأ من أى نقطة ولكن الرموز التى تجسد المعانى المتعددة والمركزة توفر مفاتيح لفهم النمط وذلك نتيجة للعلاقات المتبادلة بين الأشخاص والصور والأشكال الرمزية والشعائرية (1947a ;1949a). وقد بدأت ميد

دراستها باستخدام تصور بنديكت للثقافة كنمط، وأدى اهتمامها بالفرد إلى إعادة تعريف الثقافة بأنها "الحبكة" التى تكمن وراء السلوك البشرى (1935; 1939b) كما أن دراساتها عن الاتصال ساعدت على تنقية مفهومها للثقافة إلى أن كتبت فى عام ١٩٧٤عن الثقافة على أنها أمر " تمت صياغته بطريقة غير واضحة ومعقدة ليس من السهل تصورها وشارك فى هذه الصياغة آلاف من المخيلات خلال عصور طويلة... إنها عمل من أعمال الفن التى تخاطب العديد من الحواس ولها أبعاد عديدة وأساليب متنوعة للوصول إلى الآخرين "

وخلال كل أعمالها، وبصرف النظر عما إذا كانت أعمالا تطبيقية أو تدور حول قضايا نظرية أو منهجية، كانت ميد دائما " تهتم بتطويع المعرفة التى تحصل عليها من الدراسات المقارنة للتدخل المسئول المباشر فى ثقافتنا نحن " (1962p. 12). وهذا يصدق حتى على الدراسات الأولى التى أجرتها مثل البلوغ فى ساموا والنمو فى غينيا الجديدة والجنس والمزاج فى ثلاثة مجتمعات بدائية وكان إيمانها يزداد بأنه نظرا لأن تدريب الأنثروبولوجيين يتم من منظور مقارن فإنه يقع عليهم عبء الالتزام بتجنب المبالغة فى التخصص المتعسف الذى يعمل على التهوين من التخصصات الأخرى ويتميز بضيق الأفق الذى أدى إلى تفتيت العلوم الاجتماعية بحيث أصبحت "عاجزة نسبيا فى وقت كانت الحاجة فيه شديدة...لاستبصاراتها "(1964b,p. 6 ; Webb 1972,p. 108)

وقد ساعدت الحرب العالمية الثانية على تدعيم اقتناعاتها فى هذا الأمر وأدت إلى زيادة تركيزها والتزامها بالأنثروبولوجيا التطبيقية. " حين انفجرت القنبلة الذرية فوق هيروشيما فى صيف عام ١٩٤٥ مزقت كل صفحة من صفحات كتاب كنت قد قاربت الانتهاء منه. فقد أصبحت عباراته كلها جوفاء بالية تخطاها الزمن " (1972a,p.296)

ففى نظر ميد كانت الحرب قد تسببت بسرعة فائقة ورديئة للغاية فى

إحداث تغير ثقافى على مستوى كوكب الأرض، وهو تغيير مفعم "بالآمال" و"الأمانى" ولكنه فى الوقت ذاته مشحون بـ"الفوضى" و"المصائب". وكانت تلك التطورات التاريخية هى التى جعلتها تعود إلى قرية بيرى وإلى مانوس بجزر أدميرال ومنها إلى القرى الأوقيانوسية الأخرى وتقوم بتسجيل التغيرات المتسارعة بشكل غير معقول يصعب تصوره الذى خضع له هؤلاء الناس وهم يستبدلون بحياتهم القديمة حياة أخرى جديدة (1956a) وأن تتولى تحليل المغزى العام الشامل لذلك التحول. وكان يبدو لها أن ما يحدث فى مانوس هو صورة مصغّرة ونموذج للتغير الذى يحيق بالعالم كله.

"لقد انتقل أهل مانوس بكل بساطة من ثقافة العصر الحجرى إلى الحاضر. لقد تجاوزا ثقافتهم وطوروها ونظروا فيها وقرروا ماذا يحتفظون به منها وماذا ينبذون .. وحين بدأ الأنثروبولوجيون ينظرون فى الطريقة التى اعتاد أهل مانوس أن ينظروا بها إلى المجتمع الأمريكى كنموذج مثالى بدأنا ... ندرك ... كيف يكون حال الإنسان الذى يبنى مجتمعا دون أن يكون لديه نموذج [يهتدى به] ... فليس لدينا نحن أية نماذج ترشدنا إلى كيف نقيم مجتمعا كوكبيا....

"وحين ننظر إلى شعب مثل شعب مانوس... فإننى بدأت أدرك ما الذى سوف يعترضنا فى المستقبل ولماذا نعانى من فجوة الأجيال فى أواسط الستينيات... فقد بدأنا لأول مرة نرى أن الشباب الذين ليس لديهم نموذج لن يكونوا أبدا ما كان عليه آباؤهم ومعلموهم. فللمرة الأولى فى تاريخ الإنسانية أصبح يتعين على الكبار أن ينظروا إلى الصغار ليتحققوا من أنهم ليسوا خلفاءهم كما كان عليه الحال فى الماضى. إنهم لن يكونوا أبدا نفس الشباب الذى كانوا هم عليه" (1976a).

ولقد غيرت الحرب والعودة إلى مانوس بشكل جذرى افتراضاتها عن التغير التى كانت عبرت عنها فى كتاباتها المبكرة (1928b; 1932) وذهبت إلى أن فكرتها القديمة عن أنه لكى يكون التغير مؤثرا فيجب أن يتم ببطء أصبحت فكرة غير قائمة مع أنها

استمرت طيلة جيلين كاملين. كذلك كان الشأن بالنسبة لما كانت تتمسك به في كتابها عن النمو في غينيا الجديدة من أن التغيير يجب أن يبدأ في مجتمع الكبار أولا حتى يكون له تأثير دائم في حياة الأطفال، إذ تبين لها أن العكس هو الصحيح في مانوس، فقد أصبح الفتيان الذين لم يبلغوا بعد السن التي تؤهلهم للقيام بأدوار الرجال البالغين هم أداة التحولات الرئيسية في المجتمع، فهم يغيرون أنفسهم ثم ينقلون تلك التغيرات إلى البالغين.

ولقد أدى انجذابها الشديد إلى الوضع في مانوس إلى التنقل باستمرار خلال الخمسينيات والستينيات بين الجزر الأوقيانوسية والوطن في أمريكا، وصاحب تلك التنقلات الجغرافية تنقلات مماثلة في الملاحظة والتحليل كما قامت ببعض الرحلات القصيرة لعدد من البلاد الأخرى. وقد استرعى انتباهها "الانفصال المريع بين كبار السن... والصغار" في كل تلك المجتمعات (1972a,p.122) ولذا كانت ظاهرة "الفجوة بين الأجيال" هي الظاهرة التي فحصتها في كتابها *الثقافة والالتزام* ***Culture and Commitment (1970a)*** وهو تلخيص شامل لاستبصاراتها عن التنمية الثقافية والتطور والتغير بعد الحرب العالمية الثانية. ففي هذا الكتاب قامت بتطوير منظومة من ثلاثة تصورات مترابطة كانت قد استخدمتها لأول مرة عام ١٩٦٠ عن ما قبل صياغة الثقافة وما بعدها والصيغة الثقافية وكتبت في ذلك تقول إن عددا كبيرا من المجتمعات مرت بهذا التغيير الهائل السريع التي كان لديها ثقافة قبل الصياغة والتي كان فيها تجربة الصغار والكبار تختلف كل الاختلاف لدرجة أن الكبار كانوا يتقبلون تجربة الأطفال وبالعكس، ولكن هذا يتعارض تعارضا شديدا مع الثقافة بعد الصياغة التي تسود في المجتمعات التقليدية المستقرة حيث يعتبر سلوك الكبار نموذجا دقيقا لما يتوقع أن يكون عليه الصغار وما يجب عليهم أن يعرفوه ويتعلموه. وبين هذين القطبين تأتي الثقافة المصوغة التي تميز المجتمع الذي يمر بحالة تغير سريع والذي يتعلم فيه الكبار والصغار على السواء من أقرانهم الذين يمثلون

نماذج معاصرة للأدوار التى يجب القيام بها.

ولم تقتصر التعديلات التى أجرتها ميد أثناء الحرب وبعدها على استبصاراتها الإمبيريقية وصياغتها النظرية عن التغير الثقافى وإنما امتدت إلى رؤيتها للعالم. ولم تكن تلك التعديلات انصرافا فى نظرتها عن المشكلة بقدر ما كانت تضخيما لها. ففى ختام محاضرتها حين انتخبت رئيسا للرابطة الأمريكية لتقدم العلم ذكرت أننا سوف نحتاج فى المستقبل "إلى أنواع جديدة من الأجهزة التى تستطيع أن تكبّر – دون أن تشوّه – معرفتنا المعقدة عن المحيط الحيوى وعن الكون الذى ينبغى أن نتعرّف فيه على وجود كل ذلك الجهد الإنسانى المنظم (p.990،1976c) ويبدو أن ميد كانت تستشرف نتائج التغير الاجتماعى على مستوى العالم ككل من خلال ذلك الجهاز المتخيل الذى يقوم بتوسيع إحساسها بالأهمية العاجلة العلمية والأنثروبولوجية للمهمة التى تقوم بها بحيث أصبحت أكثر عالمية وخطورة.. وكان أحد الموضوعات الكبرى التى ظهرت فى كتاباتها ومحاضراتها خلال الستينيات والسبعينيات هو فكرة إلى أى حد نتعرض نحن ومعنا سواء بسواء تلك الكرة الأرضية "الصغيرة" و"الغالية" و"الهشة والمهددة دائما التى نسكنها والتى يتعرض فيها للخطر ليس فقط مستقبلنا ولكن كياننا ووجودنا نفسه. وكانت تأكيدات ميد فى مواجهة ما كانت تعتبره أمرا نهائيا بل ومحتملا جدا هو نسخة مكبرة من اعتقاداتها العلمية والدينية عن الفعل الاجتماعى التى كانت دائما أمورًا أساسية فى عملها كأنثروبولوجية، ولكن الرسالة الأصلية بالنسبة لها التى دخلت من أجلها إلى مجال الأنثروبولوجيا كانت عبارة بواس عن "عملية إنقاذ كبرى " أصبت شعارا عالميا.

"المعرفة المشفوعة بالفعل...يمكن أن تحمى المستقبل... إفالمعرفة عن الجنس البشرى التى نطلبها من أجل تمجيد الحياة يمكن أن تخلق الحياة (19-72 a,p. 206)

ففى إطار الإمكانات الجديدة للتحليل والإجراءات التى يوفرها العلم

يمكن للإنسانية أن تشرع فى مواجهة المسئوليات الجامحة لتلك الفترة من التاريخ البشرى، حين يتعين على الحقيقة الدينية الكبرى الخاصة بوحدة البشر جميعا أن تتحقق على أرض الواقع وإلا كان الهلاك من نصيبنا جميعا فى كل أنحاء العالم... فكل فرد منّا هو فى الحقيقة حارس لأخيه كما أن الحاجة لأن نحب أعداءنا يجب أن يكون لها معنى علمى وتاريخى محسوس...فالأديان والعلوم الإنسانية لازمة لإقامة النظام الاجتماعى ليمكننا من حماية أطفال أعدائنا بمثل ما نحمى به أطفالنا نحن حتى يعيش الجميع فى أمان " (1972b,pp. 2-3)

ولقد كان الأطفال والشباب دائما فى مركز تحليلات التنشئة الاجتماعية والتعليم والتطبيع الثقافى والاستمرار الثقافى والتطور والتغير، وهى الموضوعات التى شغلت بالها باستمرار. ففى مرحلة السبعينيات من عملها أصبحت تلك الموضوعات أكثر رمزية بالنسبة لها لأنها تبرز " ثقتنا فى المستقبل بالنسبة لكل الشعوب" وبالنسبة "لكوكبنا الذى تتهدده الأخطار". فالأطفال هم مبرر "المطالبة القوية المتنامية ... بأن نعود إلى أرض أكثر بهجة ... كما أنهم هم الذين يحملون أدوات البقاء فى الوجود لأن هناك دائما أملا فيهم كما أنه من خلالهم يتحقق، بل ويتوحد ما هو موجود وما كان موجودا وما سوف يكون. فالسلام والهناء لكل طفل من أطفالنا " كان هو الشعار الذى وضعته على بطاقات أعياد الميلاد التى أرسلتها عام ١٩٧٣ وعليها صورة حفيدتها. وفى بطاقات أعياد الميلاد لعام ١٩٧٥ كان هناك صورة لها مع تلك الحفيدة مشفوعة برسالة تقول "من أجل متعة وحماية الحياة على الأرض" وفى أثناء جدلها حول السلالات مع جيمس بولدوين (١٩٦١) صرحت بقولها "إننى أستطيع أن أحتضن أى شعب من الشعوب.. ولو أننا ... بدأنا... بالالتزام نحو المستقبل والأجيال التى لم تولد بعد وهم الناس الذين نحتضنهم بين أذرعنا .. فإن الذى نأخذه من الماضى هو الذى سوف نعطيه لهم كجزء من المستقبل " (pp. 202,220,237).

وقد ترتب على إيمانها بضرورة إتاحة المعلومات الأنثروبولوجية لجميع الذين قد يستخدمونها أن أفردت جانبا كبيرا جدا من اهتمامها لتقديم دراساتها الميدانية لغير الأنثروبولوجيين سواء من المتخصصين فى المجالات الأخرى ذات العلاقة أو من الجمهور العام. وهذا الالتزام كان وراء قرارها المدروس الواعى بأن تكتب فى لغة سهلة عادية خالية من التعبيرات الفنية و"الألفاظ الوطنية " التى يستخدمها الأهالي والتى لا تخلو منها فى العادة الكتابات العلمية الدقيقة (1965,pp. 121-122). وقد دفعها ذلك أيضا إلى الكتابة والمحاضرة على نطاق واسع وفى موضوعات ومشكلات متنوعة للغاية تشمل خبراتها الميدانية وموضوعات الولادة وتنشئة الأطفال وضبط النسل والإجهاض والمراهقة والجنس والزواج ووضع المرأة فى المجتمع ومستقبل العائلة الأمريكية والنساء والأطفال والتعليم والسلالات العرقية والصحة العقلية والروحية والدين فى العالم المعاصر والشيخوخة والموت والعلم والتكنولوجيا والإسكان البشرى ومشكلات الزيادة السكانية والطعام والجوع والإيكولوجيا والتلوث البيئى وتخطيط المجتمع وبناء الثقافات والعلاقات عبر المجتمعات والدول والسلام وغيرها.

وقد شاركت وتزعمت العديد من التنظيمات العلمية والمدنية والإنسانية والخدمية وألقت محاضرات لكل أطياف المستمعين سواء فى المدارس والجمعيات العلمية أو النوادى النسائية فى كل أنحاء الولايات المتحدة، كما نشرت عددا كبيرا من المقالات فى الصحف والمجلات الشعبية وأشرفت على تحرير عمود شهرى فى مجلة *Redbook Magazine* وكتبت وعلّقت على عدد من الأفلام الأنثروبولوجية كما كانت تلبى كل دعوات وسائل الإعلام من منطلق ميلها للدخول فى الحوارات والمناقشات وحبها للتصوير والظهور فى التليفزيون. وتتميز كتابات ميد بسهولة الأسلوب المستساغ والملىء بالحيوية بحيث كانت بعض كتبها تعد من الكتب الأكثر مبيعا كما هو الحال بالنسبة لكتاب *البلوغ فى ساموا* أو كتاب *الأنماط الثقافية والتغير التكنولوجى*

Cultural Patterns and Technical Change (1953 b) أو كتاب الثقافة والالتزام. وخلال كل هذه الأدوار لم تكن فقط أثناء جيل كامل تقريبا "ترمز وتمثل مجالا علميا متخصصا فحسب للجمهور العام (Webb 1972,p.102) وإنما أيضا لأنها - كما ورد فى المذكرة التى صاحبت إهداءها ميدالية "الحرية" التى منحت لها بعد وفاتها - " كانت معلمة يمكن التعلم على يديها". وكما قالت چاكلين أندرسون ماتفيلد عميدة كلية بارنارد " كان فصلها الدراسى هو العالم بأسره وكان كل سكان العالم هم تلاميذها... كانت معلمة لكل العصور ".

وربما كانت مارجريت ميد أكثر الأنثروبولوچيين شهرة كما أنها "وصلت إلى درجة من علو الصيت قلما تتحقق فى تاريخ العلم "(Webb 1972,p.102) ، فقد منحت أربعا وعشرين درجة شرفية من عدد من الجامعات والكليات سواء فى أمريكا أم فى الخارج - وكثير منها من معاهد سبق لها التدريس أو المحاضرة بها، كما حصلت على أكثر من أربعين جائزة منها جوائز شرفية أكاديمية وعلمية مثل ميدالية ڤايكنج فى مجال الأنثروبولوچيا العامة التى تمنحها مؤسسة ڤنر جرن Wenner Gren Foundation والزمالة الفخرية لمعهد الأنثروبولوچيا الملكى لبريطانيا العظمى وإيرلندا وجائزة أوميجا للإنجاز فى مجال التعلم وعضوية الأكاديمية الوطنية للعلوم والأكاديمية العالمية للآداب والعلوم كما انتخبت لرئاسة الرابطة الأنثروبولوچية الأمريكية والرابطة الأمريكية لتقدم العلم ومعهد علماء المعلومات العامة وجمعية بحث النظم العامة والاتحاد العالمى للصحة العقلية والاتحاد العالمى لمواطن السكنى Ekistics، كما منحت عددا كبيرا من الجوائز العامة والإعلامية مثل الجوائز التى اختارتها "سيدة العام فى العلم والبحث" و" سيدة الضمير " و" المرأة المتميزة فى القرن العشرين" و" المواطنة العالمية " و "أم الدنيا".

وإذا كانت ميد اختارت لنفسها أن تكون شخصية مرموقة فى الأنثروبولوچيا العامة والتطبيقية والأكاديمية فى وقت واحد فإن ذلك

يرجع إلى أن لديها القدرة الذهنية والملكة الأدبية والباعث والطاقة والكاريزما ومعرفة كيف تؤدى هذا كله على المستوى القومى والعالمى والكوكبى. وقد أصبحت نتيجة لذلك شخصية أسطورية وهدفا للنقد والجدل الشديد وفى الوقت ذاته محطا للاحترام والتبجيل. فقد هاجمتها وأشادت بها فى وقت واحد وسائل الإعلام ومجدتها وجعلت منها مؤسسة كاملة وصوّرتها فى شكل عصفور البترل petrel [البحرى الصغير الشارد الذى لا يكاد يستقر على الأرض] كما رسمتها فى صورة كارتونية كمرشحة لرياسة الجمهورية تعلّق فى عنقها سلسلة بها جمجمة بشرية. (1972a p. 386) وهكذا.

وقد وقف زملاؤها الأنثروبولوجيون موقفا مزدوجا من شخصيتها وأعمالها وكتاباتها وتصريحاتها. وظهرت هذه الازدواجية على مدى سنوات طويلة فى عروض كتبها التى نشرت فى مجلة *American Anthropologist*:

"... لايمكن اعتبار أى دراسة أنثروبولوجية عملا يُعتدّ به لمجرد كونها ذات طابع جمالى مؤثر. ومن المؤكد أن مارجريت ميد فنانة..ولكنها حين تترك لنفسها العنان لتخوض فى بحار التفكير وتتكلم عن المبادئ التعليمية فى عام ١٩٣٠ أو تحاول التوفيق بين مقدار ما يحتاجه علماء الإثنولوچيا من الحقائق وما يستطيع الجمهور أن يتحمله فإن خصائصها وقدراتها الهائلة سرعان ما تتبخر وتتلاشى...(Kroe-ber 1931,pp. 248 -250)

"ومن المفيد ... بالنسبة للاستبصارات التى تقدمها واحدة من أهم أعضاء مهنتنا وأكثرهم إنتاجا وإثارة للجدل وأوسعهم شهرة ، فهناك الحماسة الوثابة التى تدفع الآخرين إلى الخوض فى الأنثروبولوچيا . فهى تؤكد أنها سوف تفتح مغاليق أسرار سلوك الإنسان أمام أى شخص لديه الرغبة فى أن يعطى الأنثروبولوچيا ماتحتاجه من وقت ... ويبدو أنها تفترض أن أى إنسان يمتلك المعرفة الأنثروبولوچية يستطيع أن ينجز ما أنجزته هى... والواقع أن ذاك الافتراض لا يخدع سوى القليلين ولكن فى الوقت ذاته فإن تحمسها يستهوى الآخرين بسرعة رائعة." (Gladwin 1956,pp. 764 -767)

والطريقة التى نظر بها الأنثروبولوچيون إلى إسهام ميد فى الأنثروبولوچيا الأساسية والتطبيقية لم تكن متأثرة فقط بالدور الاجتماعى والثقافى المعقد الذى لعبته وبأخلاقيات التخصص الذى كانت ترتاده وتحمل لواءه فحسب ولكن أيضا بمكانتها كامرأة متفردة فى مجالها. وفى يناير عام ١٩٧٩ فى الحفل التذكارى الذى أقيم لها فى المتحف الأمريكى للتاريخ الطبيعى أشارت چاكلين ماتفيلد إلى أنه "...على الرغم من كتاباتها الممتازة التى تجد لها قراء كثيرين فإن الحياة الأكاديمية لميد تبدو على الورق شبيهة بأعمال غيرها من تلك المجموعة الصغيرة من النساء البارعات اللاتى ارتبطن بالجامعات الكبرى فى الفترة من ١٩٣٠ إلى ١٩٦٥ . ولكن الألقاب غير العادية مثل "محاضر "أو "أستاذ ضيف " أو " أستاذ زائر " أو أستاذ شرف"وغيرها من الألقاب التى حملتها كغيرها من نساء جيلها الأكاديميات طيلة حياتها فيما عدا الفترة الأخيرة من عملها لا تعكس بأى حال تميز حياتها العملية كمعلّمة وأنثروبولوچية "

وأحد جوانب التزام ميد الذى لم يفهم كما ينبغى هو مدى استعدادها لإتاحة أعمالها ومصادرها بل وتكريس كيانها بكل جوانب حياتها لتكون أدوات ووسائل لتحقيق الأهداف الإنسانية للأنثروبولوچيا التى وهبت نفسها لها. ففى التمهيد الذى كتبته لسيرتها الذاتية التى ظهرت عام ١٩٧٢ بعنوان Black-berry Water قدّمت نفسها " للناشئة الذين هم فى منزلة أولاد أحفادى" بقولها " إننى أستطيع أن أتصدى لكل شيء مثلما تقولون أنتم عن أنفسكم تماما " (1972,p> 5). وقد فعلت ذلك بصور مختلفة عن قصد ووعى واستعداد لتقبل كل النتائج التى قد تترتب على ذلك مثل ظهورها فى مختلف المجالس وعلى رأسها القلنسوة الحمراء التى تذهب بها إلى العمل الميدانى أو وهى تحمل فى يدها عصاتها السوداء الشهيرة ذات الشعبتين أو أن تدلى بشهادتها أمام مجلس النواب وتدافع عن وجهة نظرها عن أن إباحة تدخين الماريهوانا قد يكون لها دور إيجابى فى الحد من انتشار تعاطى المخدرات.

وليس المقصود من هذا كله أن نرسم لها صورة على أنها راهبة تريد أن تصبح قديسة حين تتقدم بها السن، ولا حتى أن ننكر أنها كانت تستمتع تماما بأنها كانت مارجريت ميد بما في ذلك كونها شخصية عامة ومظاهر شخصيتها في دورها في الحياة وطريقتها في أداء ذلك الدور، ولكن ربما كان أفضل مؤشر على المدى الذي كان يمكنها أن تقدم فيه مواهبها وقدرتها على البذل والعطاء (وهذه هي إحدى القيم التي كانت تعتز بها) هو معهد دراسات التبادل الثقافي وهو منظمة لاربحية أنشأتها عام ١٩٤٤ وتولت أعمال السكرتيرة لها (Dillon1979). والأهداف الأساسية من المعهد كما هو مسجل في شهادة إنشائه هي " تشجيع ... البحث ... المتعلق بالسلوك والأعراف وعلم النفس والتنظيم الاجتماعي... لمختلف الشعوب والأمم ... [مع التأكيد على البحوث] التي يحتمل أن يكون لها نتائج بالنسبة للعلاقات المتبادلة بين الثقافات والدول "، وتقديم المنح وغيرها من المساعدات بما في ذلك الإعلان عن تلك البحوث ونشرها. وكان المصدر الأساسي لتمويل المعهد هو ممتلكات ميد نفسها ودخلها من عملها أمينة للمتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي وأستاذ شرف بجامعة كولومبيا وحقوقها في الأعمال والمحاضرات والمقالات التي تنشرها في الصحف والمجلات وظهورها في التليفزيون. والجزء الأكبر من ذلك الدخل كان موجها للمعهد ومخصصا للأشخاص والجماعات المشاركة في أنواع الأنشطة التي أنشئ المعهد من أجلها. وكانت ميد تبدى اهتماما خاصا بتقديم منح محدودة لصغار الباحثين (وبوجه أخص للباحثات الناشئات) وللوافدين الجدد في المراحل الأولى من حياتهم العلمية في العلوم السلوكية وتشجع نوع البحوث التي لاتتوافر لها سوى مصادر قليلة للتمويل والدعم. وجانب كبير من بحوثها هي نفسها اعتمد على تمويل المعهد. وعلى الرغم من أنها كانت تبذل من طاقتها ومن أموالها ما يزيد على عشر دخلها فإن ماكانت تقدمه وتمنحه من نفسها كان أقرب إلى أن يكون قربانا دينيا ظهر ونما وترعرع من شعورها بالرسالة ومن الأعراف

المستمدة من المسيحية البروتستانتية في أمريكا القديمة التي نشأت بين أحضانها.

كانت ميد من أتباع الكنيسة الأسقفية المخلصين.. وكما يقول فيها القس ويليام إف. ستار أسقف تلك الكنيسة في جامعة كولومبيا " لقد جلبت لإيمانها نفس التفكير الواضح الحاسم الدقيق المليء بالحيوية الذي نجده في أعمالها العلمية ، فقد كانت تتمتع بإحساس قوي للغاية بالخطر القائم الذي نتعرض جميعا له وبالشعور بالإنسانية ليس على أن ذلك أمر مسلم به ولكن على أنه واجب ومهمة ". فلم تكن مجرد امرأة عادية لها نشاط في خدمة الكنيسة ولكنها كانت أيضا عضوا في كثير من اللجان والمؤتمرات والأنشطة الكنسية سواء في المجلس القومي أو مجلس الكنائس العالمي.

وقد كتبت ميد مرارا عن مدى إحساسها الواسع والعميق بتأثير عائلتها في توجهاتها وقيمها ومعتقداتها وأفكارها " لقد أتى كل أسلافي إلى هذه البلاد قبل حرب الثورة، ويمكن أن أرد سبعة من خطوط نسبي الثمانية إلى أسلاف حاربوا في صفوف الثورة بينما خط النسب الثامن كان من المحافظين من ولاية نيويورك العليا الذين جاءوا مهاجرين من كندا... وأنا أعرف أننا ننتمي إلى سلالة خليط من أصول إنجليزية وأسكتلندية وويلزية كما أعرف أن أجدادي قاسوا جميعا من أجل الحرية الدينية باعتبارهم من الحجاج البيوريتان ومن أصحاب العهود والمواثيق الذين كانوا مضطرين إلى الاختباء حتى يفلتوا من الإعدام...

(Mead 1974a,p. 298)

كانت والدة ميد (إميلي فوج ميد) ووالدها (إدوارد شروود ميد) وكذلك جدتها (مارتا آدالين رامسي ميد الذين جاءوا ليعيشوا مع والديها حين تزوجا معروفين تماما من القراء نظرا لأن ميد كتبت عنهم كثيرا وبطريقة عاطفية. وقد ولدت مارجريت ميد في السابع عشر من ديسمبر عام ١٩٠١ في فيلادلفيا وكانت أول أطفال خمسة وكانت تعتقد أنها كانت محبوبة إلى حد كبير. وخلال طفولتها تنقلت العائلة بين عدد من الأماكن في فيلادلفيا وما يجاورها وفي

منطقة هوليكونج Holicong فى وادى بكنجهام بمقاطعة بكس Bucks County فى بنسلفانيا. وكان والدها من رجال الاقتصاد وأستاذا للمالية فى مدرسة وارتون بجامعة بنسلفانيا بينما والدتها كانت خريجة من كلية وازلى وتعمل بالتدريس، وقد تقابل الاثنان وتزوجا أثناء دراستهما العليا بتلك الجامعة وانتقلا إلى هامنتون فى نيوچيرسى حتى تستطيع إميلى أن تجرى دراستها على المهاجرين الإيطاليين لرسالتها فى علم الاجتماع. وكانت إميلى زوجة وأما صالحة ومن أنصار الحركة النسوية المطالبة بحق التصويت كما كانت مشاركة نشطة فى كثير من القضايا الاجتماعية والجهود المنظمة للمجتمع المحلى من " أجل مجتمع أفضل ". ورغم أن الوالدين كانا من المتحمسين للتعليم إلا أنهما كانا يعارضان نظام المدارس الذى كان يقضى بأن يظل التلميذ مرتبطا بمقعده فى الفصل طيلة اليوم ولذا كانت ميد تتلقى تعليمها فى البيت حتى مرحلة المدرسة الثانوية على أيدى جدتها وأحد خريجى الجامعة ثم أحد المعلمين المؤهلين.. وقد وصفت " النمط الذى رسمته عائلتى لى " وقامت بتحليله بأنه " يرتبط نسبيا بالماضى ولكنه كان يراعى بقوة المستوى الأخلاقى الحاضر مع النظرة إلى المستقبل...". ومن خلال والديها وجدتها والإحساس بالتراث الذى نقلاه إليها تولدت لديها "متعة التفكير" و"الاحترام الفائق للحقائق " و"الأخلاقيات الأكاديمية" و"الاهتمام ب"العمليات الواقعية " وكذلك ب"الأطفال الصغار" وارتباط الملاحظة ب"فعل الحب " والثقة فى "قوة الضمير " و"مبادئ المساواة" و"الإحساس بالمسئولية نحو المجتمع ونحو العدالة" والجديّة والحنان والعطاء والتعاطف والإعزاز والحب. كذلك كانت تعتقد بأنها ورثت معظم ذاكرتها الفوتوغرافية منهم جميعا. وبكل هذه الأساليب والوسائل والطرق كانت ميد تشعر بأن عملها كان متأثرا بشكل محسوس بالأشخاص الثلاثة الذين تولوا تربيتها.

بالإضافة إلى ذلك، كانت هناك شبكة واسعة من العلاقات العائلية التى يدخل فيها حتى أخوات الأم وأبناء

عمومتها التى لعبت دورا هاما بالنسبة لها طيلة حياتها. فقد كانت قريبة جدا من أشقائها. كان هناك ريتشارد الاقتصادى المتخصص فى موضوع المواصلات والأستاذ بجامعة جنوب كاليفورنيا، وكانت هناك إليزابث أستاذ الفن بكلية ليزلى وزوجة ويليام ستايج وهو فنان مثلها ورسام كاريكاتير، وكانت هناك بريسيلا زوجة ليو روستن المفكر السياسى والكاتب الذى درس الخدمة الاجتماعية فى السنوات الأخيرة من عمره، ثم كانت هناك أخت شقيقة أخرى هى كاثرين التى توفيت وهى ابنة تسعة شهور فقط ولكنها كانت تعتبر حيّة دائما بالنسبة لمارجريت ميد.

وفى فترة الأنوثة المكتملة شملت علاقات القرابة بالنسبة لها ثلاث زيجات متتالية وكان الأزواج الثلاثة من الأنثروبولوجيين. فقد تزوجت لأول مرة عام ١٩٢٣ من لوثر كرسمان Luther Cressman الذى كان يعد نفسه ليكون قسيسا فى الوقت الذى كانت هى بدأت بحوثها الميدانية للدراسات العليا فى الأنثروبولوجيا، وفى أثناء عودتها من رحلتها الميدانية الأولى فى ساموا قابلت ريو فورشن Reo Fortune وتزوجا عام ١٩٢٨ وهما على ظهر سفينة متوجهين إلى جزر أدميرال فى غينيا الجديدة لدراسة مانوس. وبعد خمس سنوات وأثناء دراستهما معا لشعب تشامبولى فى غينيا الجديدة قابلت جريجورى بيتسون الذى كان يدرس إياتمول وتزوجا عام ١٩٣٥ وأنجبت منه طفلتها الوحيدة عام ١٩٣٩ . وكانت ميد تخطط فى الأصل لأن يكون لها ستة أطفال على الأقل حين تزوجت أول مرة ولكن بسبب بعض المتاعب النسائية لم تستطع أن تنجب سوى تلك الابنة الوحيدة التى أطلقت عليها اسم "مارى كاثرين بيتسون" لتكون بهذا الاسم المركب خلفا لاسم خالة بيتسون وكانت مؤرخة مرموقة ولكنها توفيت فى سن صغيرة، ولاسم أخت ميد التى ماتت فى طفولتها المبكرة (1972a,p. 257) وكانت ولادة ابنة ميد - " بعد سنوات طويلة من التجربة كطالبة تدرس تربية الأطفال والولادة فى القرى البعيدة - تمثل مجىء " شخص جديد" يعتبر معجزة وتجربة جديدة وسعيدة تماما

لهـا كـامـرأة كـانت تحلم وتؤمل فى الحـصـول عليـهـا طيلة حـيـاتهـا (1972a,pp. 249,252,259).

ولقد أثمر تعاون ميد وبيتسون فى البـــحـث فى بالى (١٩٣٦-١٩٣٩) كتابهما Balinese Character وهو واحد من أكثر أعمال ميد أصالة وثراء سواء من حيث تأثيره فى المناهج الأنثروبولوجية أو فى مـسـتـقبل اتجـاهاتهـا النظرية. وحـين تم طلاقـهـا من بيـتـسـون عـام ١٩٤٥ " انتهت...سنوات حياتها كزوجة تشـارك العمل مع الغير وتحاول الجمع بين العمل الميدانى المركز وبين الحياة الشخصية المليئة بالتوتر" (1972a,p.27).

وقد درست مارى كاثرين بيتسون اللغويات والأنثـروبولوچيـا وأصـبـحت متخصـصة فى لغويات وثقـافة الشرق الأوسط وتزوجت من مـهندس أرمنى هو باركـيف كـاسـارچيـان. وكـانت ولادة حفيدتها سافان مارجريت كاسارجيان فى عام ١٩٧٠ بالنسـبة لها حـادثا أدى إلى إكمال فـهـمهـا لشىء كانت تحاول دائمـا الوصـول إليـه - وهو أن كل شـخص يحـتـاج لأن يكون له أجـداد وأحفـاد حتى تكتمل حياته كإنسان " (1972a,p. 282).

ولم يكن الأقـارب فـقط هم الذين كانت ميد تحرص على توثيق علاقاتها بهم بصـرف النظر عن حـدود الزمـان والمكان، ولكنها كانت تدرك أن حيـاتها المهنية والشخصية المعقدة " تعتمد إلى حد كبير جدا "على استمرار اتصـالاتها بدائرة واسـعة جـدا من الأشـخـاص من مـخـتلف الخلفـيـات الاجـتـمـاعـيـة والمجموعات العمرية والمهن ومن شتى أنحاء العالم وأيضـا من العاملين معها الذين ترتبط بهم ارتباطا مباشرا وجها لوجـه ".فـأثناء اجـتـمـاع "الرابطة الأمـريكيـة لتـقـدم العلم " سنة ١٩٧٦ (وكانت ميد هى رئيسة الرابطة فى ذلك العـام) أشـار ديلـتون إس. ديلون، وهو أنثـروبولوجى ومـدير للندوات وحلقـات البحث فى معهد سميثزونيان إلى دائرة معارف ميد الواسعة المتنوعة على أنها تشـبـه "حلقـة الكولا" ولكن على نطاق أكبـر وأوسع حيث يتم من خـلالهـا عن طريق عـمليـة تبـادل واسـعـة جـدا ومستمرة للهدايا من الخدمات الفكرية

والإنسانية والأفكار. وكان لميد تصور عن "القرابة بالاختيار"، ولذا كانت دائرتها تضم زملاء أصدقاء أشبه بالأقارب مثل بنديكت وجورر وچين بلو Jene Belo وماري آيشلبرجر وإدوارد سابيروورانس فرانك وزوجته وأولادهما الذين شاركتهم ميد وحفيدتها مسكنا واحدا أثناء معظم مرحلة طفولة الحفيدة، وكذلك رود مترو Rhode Metraux التي شاركتها في كثير من أعمالها وكتاباتها. كذلك كانت تلك الدائرة تضم أشخاصا من تخصصات مختلفة مثل الكاتب چيمس بولدوين James Baldwin وفيلسوف العلم چاكوب برونوفسكي Ja-cob Bronowski وعالم الوراثة ثيودوسيس دوبچانسكي Theodosius Dobzhanky (Mead et al .1968) والمخترع الفيلسوف آر. بكمينستر فوللر R. Buckminster Fuller والمصور كِن هايمان Ken Hey-man (Mead &) heyman 1965 p. 75). وعدد من الأجيال التالية من الأنثروبولوچيين الذين كانوا من تلاميذها في وقت من الأوقات، وأعضاء سابقين من العاملين والمساعدين في المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي وعدد آخر من المتخصصين في العلوم الاجتماعية من غير الأنثروبولوچيين والذين كانت ميد تعجب بأعمالهم، ثم كان هناك الإخباريون من الشعوب التي درستها ومجموعة أخرى متنوعة بشكل غريب من الأشخاص الذين لم يكونوا يعرفون شيئا عن أنشطتها المهنية ولا عن مكانتها العلمية ولا عن شهرتها (Dillon 1974 ,p. 492).

ومع أن ميد كانت تقول إنه لا فرق لديها بين" أن تتحرك أو تستقر قاعدة في البيت وبين أن تسافر إلى الخارج أو تعود إلى أرض الوطن" (1972a ,p.9) فقد كانت هناك أماكن بل وأناس لهم منزلة خاصة في حياتها مثل الأماكن التي شهدت طفولتها في هامنتون وهوليكونج ثم كلية برنارد التي تخرجت فيها عام ١٩٢٣ والتي عرفت فيها ليس فقط نوع حياة التلمذة التي كانت تناسب أهواءها ولكن أيضا أحلامها كأنثروبولوچية، ثم جامعة كولومبيا حيث تلقت تدريبها في الدراسات العليا في الأنثروبولوچيا وحيث أصبحت أستاذا مساعدا عام ١٩٥٤، ثم ساموا ومانوس وبالي. ولكن

موطنها المهنى كان "حجرة مكتبها الصغيرة فى أعلى بناية" المتحف الأمريكى للتاريخ الطبيعى فى مدينة نيويورك، فهناك كانت تعيش منقطعة لعملها حين لا تكون فى الميدان، وهناك أنجزت معظم كتاباتها كما حفظت المادة الميدانية التى جمعتها من رحلاتها .

" وفى ذات يوم، وبينما أنا فى طريقى [إلى ساموا فى ١٩٢٥ - ١٩٢٦] وصلتنى برقية تعرض علىّ الوظيفة فى المتحف. وأذكر أنه لم يكن هناك إنسان يستطيع أن يفهم ماكان ذلك يعنى بالنسبة لى كما لم يكن هناك مجال للاحتفال بذلك العرض، ولذا لم يكن أمامى إلا أن أمشى وحدى بطول الشاطئ وأنا أفكر فيما عسى أن يكون....(1965p. 116)

"ثم حين عدت من ساموا عام ١٩٢٦ توجهت إلى...المتحف... حيث أعطونى حجرة مكتبى فى الطابق العلوى تحت إفريز السطح مباشرة فى البرج الغربى من المبنى القديم فى الشارع رقم سبعة وسبعين... وربما لأننى أُعطيت تلك الحجرة الصغيرة التى تطل على أسطح جميع مبانى المدينة قررت بعد شهور قليلة أن أمكث فى المتحف طيلة حياتى... "(pp.14-15،1972a)

فى عام ١٩٦٩ عُيِّنت ميد أمينا شرفيا للإثنولوچيا بالمتحف. وفى عام ١٩٧١ تم تتويج كل عملها خلال خمس وأربعين سنة بافتتاح " قاعة شعوب الباسيفيكى [المحيط الهادى] "وهى عبارة عن معرض كانت ميد تخطط له وتجمع له المعروضات الملائمة. وفى عام ١٩٧٦ وبمناسبة مرور خمسين عاما على عملها بالمتحف ومرور خمس وسبعين سنة على مولدها أُنشئ "صندوق مارجريت ميد لتقدم الأنثروبولوچيا " مع تمويل كرسى جديد للأنثروبولوچيا وتوسيع وصيانة قاعة شعوب الباسفيكى ولتوفير التمويل اللازم لتدريب الأجيال الناشئة من الأنثروبولوچيين والمحافظة فى المعرض على المجموعات القيمة التى لايمكن تعويضها.

بعد عامين اثنين، وفى الخامس عشر من نوفمبر عام ١٩٧٨، وقبل شهر واحد من عيد ميلادها السابع

والسبعين، وفى اليوم الأول لاجتماع الرابطة الأنثروبولوجية الأمريكية، وفى اليوم الذى أعلنت فيه الأماناك العالمية اختيار ميد واحدة من النساء الخمس والعشرين الأكثر تأثيرا على مستوى العالم توفيت مارجريت ميد متأثرة بسرطان البنكرياس الذى استمر معها لعام كامل. ونزولا على رغبتها كانت تعرف "الحقيقة الكاملة عن حالتها الفيزيقية دون أية محاولة لإخفاء الواقع أو إعطائها أية معلومات متفائلة وذلك "حتى يمكنها الاستفادة ... من الفترة المحدودة الباقية قبل موتها... بطريقة واعية وبناءة " (Modell 1974,pp . 907 - 908). وكانت قد قامت فى السابع من أغسطس ١٩٧٨ بتجديد وإعادة تسجيل "الوصية الحيّة : عن التدخل الطبى"، وهى وثيقة كانت قد كتبتها فى الأصل عام ١٩٦٢ . وكما هو مألوف فى شخصيتها كان "إعلانًا بالرغبة فى حالة عجزى عن أن أتخذ هذا القرار حين يكون من الواجب اتخاذه " فإنها كانت تتوقع مسبقا ظهور المشكلات التى أصبحت مهمة وملحّة فى المجتمع الأمريكى خلال السبعينيات عن " الحق فى الموت " و"الموت بكرامة ". ولم يقتصر ذلك الإعلان على تحديد "الاختيارات" التى توجه الأطباء المعالجين ولكن أيضا بعض النظرات الثقافية العامة المتعلقة بما سمته "الأزمة...التى وصلنا إليها...لأن التقدم الطبى استبعد تماما الصور التى نتوقعها عن السلوك الأخلاقى "(Modell 1974,pp. 907-908). وكانت قد نشرت قبل ذلك بسنوات وهى فى تمام صحتها ودون ذكر اسمها فى مجلة *New England Journal of Medicine* عن طريق والتر موديل Walter Modell وبإذن منها بمقتضى خطاب بتاريخ ٣٠ يناير ١٩٧٤ تقول فيه :" وسوف يسعدنى نشر هذه الوثيقة باسمى أو دونه حسب ماترى أيهما أفضل، فإننى أعتقد أن الموت بكرامة هو مسألة ملحة إلى حد كبير وأنه ينبغى اتخاذ كل ما يمكن عمله لتحقيق ذلك".

ولقد ظلت ميد حتى دخولها المستشفى تؤمل فى العودة إلى مانوس للمرة السابعة فى رحلة كانت تخطط للقيام بها فى ديسمبر ١٩٧٨. وعلى الرغم من أن ذلك أصبح أمرا مستحيلا

فإنها ظلت محتفظة حتى النهاية بالمبادئ الأنثروبولوچية عن العمل الميداني، فكانت تمارس أسلوب الملاحظة بالمشاركة في تتبع مرضها الأخير وملاحظة المستشفى الذى أمضت فيه الأسابيع الستة الأخيرة من حياتها وإجراء المقابلات مع الممرضات والأطباء الذين يباشرون حالتها هم وذلك الشخص الذى تطوع بممارسة "الطب الإيماني " عليها والذى كانت تعتبره نسخة حديثة من (الشامانات) الذين عرفتهم ودرستهم في الثقافات الأكثر بدائية.

وقد دفنت مارجريت ميد في احتفال ديني خاص في المقبرة التي كانت وصفتها في سيرتها الذاتية Blackberry Winter بأنها كنيسة أسقفة صغيرة في بكنجهام بولاية بنسيلفانيا، وهي الكنيسة التي كان " تم تعميدى فيها حسب رغبتي وأشرف عليها عرّابات اخترتهن بنفسي "(1972a ,p. 116). وقد اعتبرت وفاتها حدثا شعبيا وأمريكيا وعالميا على جانب كبير جدا من الأهمية بحيث قامت بتغطيته كل محطات الإذاعة والتليفزيون في الولايات المتحدة وكثير من الدول الأوروبية، كما أذيع النبأ في نشرة الصباح التي بثتها شركة الإذاعة الوطنية في بابوا Papua في غينيا الجديدة كما ظهر نبأ الوفاة في الصفحات الأولى من الجرائد الأمريكية والبريطانية والفرنسية وكتبت المقالات عنها في المجلات الواسعة الانتشار مثل التايم والنيوزويك وفي المجلات العلمية المتخصصة مثل Science وAmerican Anthropologist. وقد وصلت في اليوم التالي نشرة خاصة عن الوفاة إلى بكين لتسليمها إلى أعضاء مجلس إدارة الرابطة الأمريكية لتقدم العلم الذين كانوا في زيارة لجمهورية الصين الشعبية.

وقد أقيمت الصلوات في كنيسة سان بول بجامعة كولومبيا وفي كاتدرائية ولاية واشنطن وفي كلية الطب بجامعة سينسيناتي (حيث كانت تذهب كأستاذ زائر كل عام منذ ١٩٥٧) وفي قسم الأنثروبولوچيا بجامعة كولومبيا وكلية المعلمين وكلية بارنارد وفي الاجتماع السنوي للرابطة

الأنثروبولوجية الأمريكية والرابطة الأمريكية لتقدم العلم والرابطة الأمريكية لطب الأمراض العقلية والمتحف الأمريكى للتاريخ الطبيعى.

وحين علم الناس فى قرية بيرى فى مانوس بوفاة (مارجريت ميد) أغلقوا المدرسة وقبعوا داخل بيوتهم أربعا وعشرين ساعة وأعلنوا الحداد لخمسة أيام مارسوا فيها طقوس الموت التى تقام حين وفاة كبار الزعماء. وكانت اللجنة الرسمية التى تقود تلك المراسم تضم ستا وعشرين امرأة من أقرب الصديقات إليها وقد توجهن إلى البيت الذى كانت تقيم فيه والذى أقامته القرية خصيصا لها عام ١٩٦٥ حيث قمن بإنشاد الترانيم والمراثى الجنائزية التى تم تأليف الكثير منها لسرد تاريخ زياراتها للقرية وقصة حياتها وجهودها المهنية فى (العالم الخارجى). وفى الثانى والعشرين من نوفمبر أرسل فرانسيس باليو عمدة القرية إلى تيودور شوارتز وبابارا رول (من الأنثروبولوجيين) وفردريك رول (مصور) الذين كانوا يعملون مع ميد فى مانوس برقية جاء فيها : " الناس محزونون لموت مارجريت ميد. مع العزاء والاحترام. استراحة سبعة أيام. زراعة شجرة جوز هند لذكرى صديقة عظيمة." (Roll 1979)

وقد أقيم مركز لخدمة المجتمع المحلى فى مانوس تخليدا لذكرى مارجريت ميد. وفى متحف التاريخ الطبيعى فى نيويورك أطلق اسم مارجريت ميد على قاعة شعوب الباسفيكى ووصلت عدة رسائل إلى مكتبها من عدد من الروابط والجمعيات الطوعية والمنظمات العلمية تطلب الإذن لها بتخصيص "يوم مارجريت ميد " وتنظيم سلسلة محاضرات باسمها وإنشاء "جائزة مارجريت ميد " والبدء فى تكوين "صندوق مارجريت ميد التذكارى" بل وإطلاق اسمها على بعض تلك المنظمات. وفى السادس من يناير ١٩٧٩ تسلم فيليب هارت باسمها جائزة من "مؤتمر البيئة الحضرية" اعترافا بالجهود التى بذلتها للتوفيق بين مصالح العمال والأقليات والبيئة. وفى العشرين من يناير منح اسم مارجريت ميد ميدالية الرئيس للحرية وهى أعلى

درجات التشريف للمدنيين، وقد سلمها لابنتها أندرو يونج سفير الولايات المتحدة لدى هيئة الأمم بالنيابة عن الرئيس چيمى كارتر وذلك فى حفل أقيم بالمتحف وبعد أقل من شهر على وفاتها ظهر مجلد كانت ميد قد خططت له لمناسبة رأس السنة بالاشتراك مع رودا مترو تحت عنوان An Interview with Santa Claus عام ١٩٧٧ وأعيد نشره فى السنة التالية ويحمل الإهداء إلى Kate (ابنتها الروحية وحفيدة مترو). ويضم المجلد بعض كلماتها الأخيرة الرمزية عن عدد من المبادئ الأخلاقية والمعتقدات الروحية المتسامية التى كانت تضفى الحيوية على حياتها وعملها.

" لماذا لا توجد كتيبة كاملة من الشخصيات القادرة على العطاء وتقديم الهدايا ؟ إن وجود مثل هذه الكتيبة من الشخصيات كفيل بأن يوحى برسالة تحمل معنى خاصا للأطفال. لقد كانت هذه الشخصيات تظهر دائما فى يوم هو أقرب الأيام لأقصر يوم فى السنة حين تشتد حدة برد الشتاء القارس القاسى التى تبشر فى الوقت ذاته بمقدم الربيع بحيث كانت قلوب الناس تمتلئ وسط الشتاء بالغبطة وبالبهجة وتهفو إلى العطاء والمرح وبخاصة بالنسبة للأطفال...

وليس سانتا كلوز سوى واحد من تلك الشخصيات التى تعطى الآخرين . ومن سانتا كلوز وغيره يستطيع الأطفال أن يتعلموا أن العطاء – مثل الأخذ تماما – عملية بهيجة وأن الهدايا التى يبدو أنها تعطى بغير مقابل من زائرين رائعين وكرماء هى رموز عن الرعاية السعيدة التى يبذلها نحوهم الأمهات والآباء.

ويكفى (كيت) الآن أن تتعلم ومعها كل الأطفال أساطير وحكايات سانتا كلوز، فحين يكبرون وتلتقى الأسطورة بالواقع بشكل جديد سوف تدرك أن العطاء هو ذاته نوع من التعبير عن الشكر".... (pp. 43-48)

المؤلف : Renee C. Fox
المترجم : أحمد أبوزيد

Works by MEAD ; Margaret
Supplementary Bibliography

(1928a) 1961 *Coming of Age in Samoa: A Psychological Study of Primitive Youth for Western Civilization.* New York: Morrow. → The 1961 edition has a new preface. This book has been translated into several foreign languages. A paperback edition was published in 1971.

(1928b) 1969 *An Inquiry Into the Question of Cultural Stability in Polynesia.* New York: AMS Press. → First published as volume 9 of the Columbia University Contributions to Anthropology. Mead's doctoral dissertation.

(1930a) 1976 *Growing Up in New Guinea: A Comparative Study of Primitive Education.* New York: Morrow. → Translated into Dutch, French, and Hebrew.

1930b Social Organization of Manu'a. Bernice P. Bishop Museum, *Bulletin* No. 76. Honolulu: The Museum.

1931 Education, Primitive. Volume 5, pages 399–403 in *Encyclopaedia of the Social Sciences.* New York: Macmillan.

1932 *The Changing Culture of an Indian Tribe.* New York: Columbia Univ. Press. → A paperback edition was published by AMS Press in 1969.

1934 Kinship in the Admiralty Islands. American Museum of Natural History, *Anthropological Papers* 34:183–358.

(1935) 1963 *Sex and Temperament in Three Primitive Societies.* New York: Morrow. → The 1963 edition has a new preface. This book has been translated into several foreign languages.

1937 MEAD, MARGARET (editor) *Cooperation and Competition Among Primitive Peoples.* New York and London: McGraw-Hill. → An enlarged paperback edition was published by Beacon in 1961.

(1938–1949) 1968–1971 *The Mountain Arapesh.* 3 vols. Garden City, N.Y.: Natural History Press. → Volume 1: *The Record of Unabelin With Rorschach Analyses.* Volume 2: *The Arts and Supernaturalism.* Volume 3: *Stream of Events in Alitoa.*

1939*a* Native Languages as Field Work Tools. *American Anthropologist* 41:189–205.
1939*b* On the Concept of Plot in Culture. New York Academy of Sciences, *Transactions* Series 2 2:24–27. → Issue entitled *Researches in Bali, 1936–1939.*
(1942) 1965 *And Keep Your Powder Dry: An Anthropologist Looks at America.* New York: Morrow. → The 1965 edition includes a new chapter. This book has been translated into several foreign languages and is available in Braille. A paperback edition was published in 1971.
(1942) 1962 MEAD, MARGARET; and BATESON, GREGORY *Balinese Character: A Photographic Analysis.* New York Academy of Sciences.
1943*a* Our Educational Emphasis in Primitive Perspective. *American Journal of Sociology* 48:633–639.
1943*b* The Problem of Changing Food Habits. National Research Council, *Bulletin* 108:20–31. → Report of the Committee on Changing Food Habits, 1941–1943.
1945 Manual for the Study of Food Habits. National Research Council, *Bulletin* No. 111. Washington: The Council. → Report of the Committee on Food Habits.
1946*a* Personality, The Cultural Approach to. Pages 477–488 in *The Encyclopedia of Psychology.* Edited by Philip Lawrence Harriman. New York: Philosophical Library.
1946*b* Research on Primitive Children. Pages 667–706 in *Manual of Child Psychology.* Edited by Leonard Carmichael. New York: Wiley.
1947*a* Age Patterning in Personality Development. *American Journal of Orthopsychiatry* 17:231–240.
1947*b* The Application of Anthropological Techniques to Cross-national Communication. New York Academy of Sciences, *Transactions* Series 2 9:133–240.
1947*c* The Concept of Culture and the Psychosomatic Approach. *Psychiatry* 10:57–76. → Reprinted on pages 594–622 in Douglas Haring (editor), *Personal Character and Cultural Milieu.* 3d ed. Syracuse University Press, 1956.

1947*d* On the Implications for Anthropology of the Gesell–Ilg Approach to Maturation. *American Anthropologist* 49:69–77. → Reprinted on pages 585–593 in Douglas Haring (editor), *Personal Character and Cultural Milieu.* 3d ed. Syracuse University Press, 1956.

1947*e* The Implications of Cultural Change for Personality Developments. *American Journal of Orthopsychiatry* 17:633–646. → Reprinted on pages 623–636 in Douglas Haring (editor), *Personal Character and Cultural Milieu.* 3d ed. Syracuse University Press, 1956.

1949*a* *Male and Female: A Study of the Sexes in a Changing World.* New York: Morrow. → This book has been translated into 11 foreign languages.

1949*b* Ruth Fulton Benedict, 1887–1948. *American Anthropologist* 51:457–468.

1949*c* Psychologic Weaning: Childhood and Adolescence. Pages 124–135 in Paul Hoch (editor), *Psychosexual Development in Health and Disease.* New York: Grune & Stratton.

1950 Cultural Contexts of Nutritional Patterns. Pages 103–111 in *Centennial: Collected Papers Presented at the Centennial Celebration, Washington, D.C., September 13–17, 1948.* Washington: American Association for the Advancement of Science.

1951*a* Anthropologist and Historian: Their Common Problems. *American Quarterly* 3:3–13.

1951*b* *The School in American Culture.* Cambridge, Mass.: Harvard Univ. Press.

1951*c* *Soviet Attitudes Toward Authority: An Interdisciplinary Approach to Problems of Soviet Character.* New York: McGraw-Hill. → A paperback edition was published by Schocken in 1966.

(1951*d*) 1968 The Study of National Character. Pages 70–84 in Daniel Lerner and Harold D. Lasswell (editors), *The Policy Sciences: Recent Developments in Scope and Method.* Stanford Univ. Press.

1951 Mead, Margaret; and MacGregor, Frances C. *Growth and Culture: A Photographic Study of Balinese Childhood.* New York: Putnam.

1952 The Training of the Cultural Anthropologist. *American Anthropologist* 54:343–346.

1953*a* National Character. Pages 642–667 in A. L.

Kroeber (editor), *Anthropology Today: An Encyclopedia Inventory*. Univ. of Chicago Press.

1953*b* World Federation for Mental Health. In *Cultural Patterns and Technical Change*. Paris: United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization.

1953 MEAD, MARGARET; and CALAS, NICHOLAS (editors) *Primitive Heritage: An Anthropological Anthology*. New York: Random House.

1953 MEAD, MARGARET; and METRAUX, RHODA (editors) *The Study of Culture at a Distance*. Univ. of Chicago Press.

1954 The Swaddling Hypothesis: Its Reception. *American Anthropologist* 56:395–409.

1954 MEAD, MARGARET; and METRAUX, RHODA *Themes in French Culture*. Stanford Univ. Press.

1955 Effects of Anthropological Field Work Models on Interdisciplinary Communication in the Study of National Character. *Journal of Social Issues* 11: 2–11.

1955 MEAD, MARGARET; and WOLFENSTEIN, MARTHA (editors) *Childhood in Contemporary Cultures*. Univ. of Chicago Press.

(1956*a*) 1975 *New Lives for Old: Cultural Transformation—Manus, 1928–1953*. New York: Dell. → The 1975 edition has a new preface. This book has been translated into several foreign languages and is available in Braille.

1956*b* Some Uses of Still Photography in Culture and Personality Studies. Pages 79–105 in Douglas G. Haring (editor), *Personal Character and Cultural Milieu*. 3d ed. Syracuse Univ. Press.

1957 Changing Patterns of Parent–Child Relations in an Urban Culture. *International Journal of Psychoanalysis* 38:369–378.

1958 Cultural Determinants of Behavior. Pages 480–508 in Ann Roe and George Gaylord Simpson (editors), *Behavior and Evolution*. New Haven: Yale Univ. Press.

(1959*a*) 1973 *An Anthropologist at Work: Writings of Ruth Benedict*. New York: Avon.

1959*b* Apprenticeship Under Boas. *American Anthropologist* 61, part 2:29-45.

1959c *People and Places.* New York: World Publishing. → A paperback edition was published by Bantam in 1963.

(1960) 1964 Anthropology Among the Sciences. In *Anthropology: A Human Science.* Princeton: Van Nostrand. → Delivered as the presidential address at the annual meeting of the American Anthropological Association in Minneapolis, Minnesota, November, 1960.

1960 MEAD, MARGARET; and BUNZEL, RUTH (editors) *The Golden Age of American Anthropology.* New York: Braziller.

1961 National Character and the Science of Anthropology. Pages 15–26 in Seymour M. Lipset and Leo Lowenthal (editors), *Cultural and Social Character: The Work of David Riesman Reviewed.* New York: Free Press.

1962 Retrospects and Prospects. Pages 115–149 in Thomas Gladwin and William C. Sturtevant (editors), *Anthropology and Human Behavior.* Washington: The Anthropological Society.

1963 Socialization and Enculturation. *Current Anthropology* 2:184–188.

1964a *Anthropology: A Human Science.* Princeton: Van Nostrand.

1964b *Continuities in Cultural Evolution.* New Haven: Yale Univ. Press. → A paperback edition was published in 1966.

1964c *Food Habits Research: Problems of the 1960's.* National Academy of Sciences, National Research Council, Publication 1225. Washington: The Council.

(1965) 1969 *Anthropologists and What They Do.* Eau Claire, Wisc.: Hale.

1965 MEAD, MARGARET; and HEYMAN, KEN *Family.* New York: Macmillan.

1966 MEAD, MARGARET; and BROWN, MURIEL *The Wagon and the Star: A Study of American Community Initiative.* St. Paul, Minn.: Curriculum Resources.

1967 MEAD, MARGARET; and NEWTON, NILES Cultural Patterning and Perinatal Behavior. Pages 142–144 in Stephen A. Richardson and Alan F. Guttmacher (editors), *Childbearing—Its Social and Psychological Aspects.* Baltimore: Williams & Wilkins.

1968a Benedict, Ruth. Volume 2, pages 48–52 in *International Encyclopedia of the Social Sciences.* Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.

1968b Conferences. Volume 3, pages 215–220 in *International Encyclopedia of the Social Sciences.* Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.

1968c The Importance of National Cultures. Pages 89–105 in Arthur S. Hoffman (editor), *International Communication and the New Diplomacy.* Bloomington and London: Indiana Univ. Press.

1968d Incest. Volume 7, pages 115–122 in *International Encyclopedia of the Social Sciences.* Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.

1968 MEAD, MARGARET; and BYERS, PAUL *The Small Conference: An Innovation in Communication.* Publications of the International Social Science Council, No. 9. Paris and The Hague: Mouton.

1968 MEAD, MARGARET; DOBZHANSKY, THEODOSIUS; TOBACH, ETHEL; and LIGHT, ROBERT E. (editors) *Science and the Concept of Race.* New York: Columbia Univ. Press. → A paperback edition was published in 1969.

1969 Research With Human Beings: A Model Derived From Anthropological Field Practice. *Daedalus* 98: 361–386.

1970a The Art and Technology of Fieldwork. Pages 246–265 in Raoul Naroll and Ronald Cohen (editors), *A Handbook of Method in Cultural Anthropology.* Garden City, N.Y.: Natural History Press.

(1970b) 1978 *Culture and Commitment: The New Relations Between the Generations in the 1970's.* New York: Columbia Univ. Press; Garden City, N.Y.: Doubleday. → Translated into ten foreign languages and available in Braille. The revised and updated 1978 edition contains a new preface, several new chapters, and new appendices. First published with the subtitle: *A Study of the Generation Gap.*

1970c Hunger, Food, and the Environment. Pages 3–5 in *Hunger: A Scientists' Institute for Public Information Workbook*. New York: The Institute.

1970 MEAD, MARGARET; and METRAUX, RHODA *A Way of Seeing*. New York: McCall. → A paperback edition was published by Morrow in 1974.

1971 Cross-cultural Significance of Space. *Ekistics* 32:271–272.

1971 MEAD, MARGARET; and BALDWIN, JAMES *A Rap on Race*. Philadelphia and New York: Lippincott. → A paperback edition was published by Dell in 1974.

1972a *Blackberry Winter: My Earlier Years*. New York: Morrow. → A paperback edition was published by Pocket Books in 1975.

1972b *Twentieth Century Faith: Hope and Survival*. Edited by Ruth N. Anshen. New York: Harper.

1972 CAROTHERS, J. EDWARD; MEAD, MARGARET; McCRACKEN, DANIEL D.; and SHINN, ROBERT L. (editors) *To Love or to Perish: The Technological Crisis and the Churches*. New York: Friendship Press.

1974a Autobiography. Volume 6, pages 293–326 in *A History of Psychology in Autobiography*. Edited by Gardner Lindzey. Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall.

1974b *Education* 94, no. 4:289–406. → The entire issue is devoted to Mead. Section 1: "What I Think I Have Learned About Education, 1923–1973." Section 2: "Selected Reprints." Section 3: "Epilogue."

1974c *Ruth Benedict*. New York: Columbia Univ. Press.

1975 MEAD, MARGARET; and HEYMAN, KEN *World Enough: Rethinking the Future*. Boston: Little, Brown.

1976a New Lives for Old: The Effects of New Communication on Old Cultures in the Pacific. *Papers of the East–West Communication Institute* (Honolulu) 1976:1–10.

1976b Return to Manus. *Natural History* 85, no. 6: 60–69.

1976c Towards a Human Science. *Science* 191:903–909.

1977*a* An Anthropological Approach to Different Types of Communication and the Implications of Differences in Human Temperaments. Pages 47–52 in Joseph P. Long (editor), *Extrasensory Ecology: Parapsychology and Anthropology.* Metuchen, N.J.: Scarecrow Press.

1977*b* *Letters From the Field: 1925–1975.* New York: Harper.

(1977) 1978 MEAD, MARGARET; and METRAUX, RHODA *An Interview With Santa Claus.* → First published in December 1977 issue of *Redbook Magazine.*

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

BENEDICT, RUTH 1932 Configurations of Culture in North America. *American Anthropologist* 34:1–27.

BENEDICT, RUTH 1934 *Patterns of Culture.* Boston: Houghton Mifflin. → A paperback edition was published in 1961.

DILLON, WILTON S. 1974 Margaret Mead: President Elect, 1974. *Science* 194:490–493.

DILLON, WILTON S. 1979 Margaret Mead, 1901–1978. *Grants Magazine* 1:290–293.

Ethos. 1975 3: Whole volume. → This issue is devoted to Margaret Mead in honor of her contributions to socialization and enculturation.

GEERTZ, HILDRED 1976 Review of "Trance and Dance in Bali," "Bathing Babies in Three Cultures," and "Karba's First Years." *American Anthropologist* 78:725–726.

GLADWIN, THOMAS 1956 Review of *Childhood in Contemporary Cultures. American Anthropologist* 78:764–767.

GORDAN, JOAN (editor) 1976 *Margaret Mead: The Complete Bibliography, 1925–1975.* The Hague: Mouton.

KROEBER, A. L. 1931 Review of *Growing Up in New Guinea. American Anthropologist* 33:248–250.

LEE, DOROTHY 1954 Review of *Primitive Heritage: An Anthropological Anthology. American Anthropologist* 56:1109–1111.

LONG, JOSEPH (editor) 1977 *Extrasensory Ecology: Parapsychology and Anthropology.* Metuchen, N.J.: Scarecrow Press.

ميردوك : چورج پ

MURDOCK ,George P.

ولد چورج بيتر ميردوك، وهو أنثروبولوجى أمريكى عام ١٨٩٧ فى مزرعة مزدهرة بالقرب من مريدن Meriden بولاية كونكتيكت Connecticut، وهو أكبر ثلاثة أبناء لجورچبرونسون ميردوك وهاربيت إليزابث جريفن. وقد جاء الوالدان من خلفية سياسية ديمقراطية غير متمسكة بالدين وتعطى قيمة عالية للتعليم وتنمية المعرفة كطريق للإشباع الشخصى والاجتماعى. وقد تلقى ميردوك تعليمه بما يتفق مع هذه الخلفية. فبعد أن انخرط فى أكاديمية فيليبس فى آندوڤر التحق بجامعة ييل حيث حصل على البكالوريوس بدرجة الشرف فى التاريخ الأمريكى عام ١٩١٩، ولكن دراسته الجامعية توقفت بسبب أدائه الخدمة العسكرية كعضو فى الحرس الوطنى فى حادث الحدود المكسيكية عام ١٩١٦ ثم بسبب الحرب العالمية الأولى حين تم تجنيده كملازم ثان فى سلاح المدفعية الميدانية. وبعد تخرجه من ييل عكف على دراسة القانون فى جامعة هارڤارد ولكنه انسحب منها فى العام التالى للقيام برحلات فى آسيا وأوروبا. وقد أيقظت فيه تلك الرحلات وبخاصة رحلات آسيا تعلقه القديم بالجغرافيا ودفعته إلى التسجيل فى الدراسات العليا فى برنامج يجمع بين الأنثروبولوچيا وعلم الاجتماع تحت إشراف ألبرت ج. كللر Albert G . Keller فى جامعة ييل. وقد تزوج فى العام نفسه من كارين إميلى سوانسون.

وقد تولى تدريس علم الاجتماع والأنثروبولوچيا فى جامعة مريلاند لمدة عامين عاد بعدها إلى جامعة ييل عام ١٩٢٨ حيث عين أستاذا مساعدا بقسم "علم المجتمع" الذى يرأسه كللر والذى تحول فيما بعد إلى قسم علم الاجتماع. وبعد ثلاث سنوات تسلم إلى جانب عمله بقسم علم الاجتماع وظيفة أستاذ مشارك فى قسم الأنثروبولوچيا الذى أنشئ حديثا ثم ارتبط به نهائيا حين تولى رئاسته عام ١٩٣٨ وبعد ان تمت

ترقيته لمنصب أستاذية الأنثروبولوچيا فى العام التالى، وظل يعمل فى ييل لمدة إحدى وعشرين سنة مع التغيب لبعض الوقت لأداء الخدمة العسكرية كقائد ملازم (١٩٤٣ - ١٩٤٥) ثم كقائد (١٩٤٥ - ١٩٤٦) فى قوات الاحتياط للأسطول الأمريكى خلال الحرب العالمية الثانية. وفى عام ١٩٦٠ انتقل إلى جامعة بيتسبرج لشغل كرسى أندرو ميلون Andrew Mellon للأنثروبولوچيا الاجتماعية وتقاعد من ذلك المنصب عام ١٩٧٣ فى سن الخامسة والسبعين

ولقد ورث ميردوك من كللر ومن سلفه ويليام جريهام سمنر William Graham Sumner الاهتمام الشديد فى الكشف عن العمليات الفاعلة فى التنظيم الاجتماعى وارتياد مجال التغير الاجتماعى والثقافى، ومن اهتماماته فى فترة الصبا بالجغرافيا ظهر ولعه الشديد بإثنوجرافيا العالم وهو موضوع بلغ فيه ذروة لا تبارى من التمكن، وقد انعكست تلك الاهتمامات بوضوح فى أعماله الأولى إذ ظهرت له ترجمة منقحة عن الألمانية لكتاب يوليوس ليبرت Julius Lippert عن تطور الثقافة The Evolution of Culture (1931) ثم كتاب " معاصرونا البدائيون " *Our Primitive Contemporaries (1934)*، وكتاب يشتمل على عدد من الملخصات الإثنوجرافية اعتمد عليه الكثيرون فى تدريس مقررات الأنثروبولوچيا، كما أشرف على تحرير كتاب يضم مجموعة من المقالات المهداة لكللر بعنوان دراسات فى علم المجتمع Studies in the Science of Society (1937c). ونظرا لأنه لم يكن قد قام بأية دراسة إثنوجرافية تحت إشراف كللر حرص بعد انضمامه لقسم الأنثروبولوچيا فى ييل على تلافى هذا النقص فقام ببحث ميدانى على جماعات الهايدا Haida فى صيف عام ١٩٣٢ وجماعات التنينو Tenino فى صيف ١٩٣٤ وصيف (1934a; 1935 1936a ; 1938; 1958; 1965b). وقد أقنعته تلك التجربة بأن الدراسات الميدانية تؤلف عنصرا أساسيا فى تكوين الأنثروبولوچيين، وهو اقتناع تمسك به طيلة حياته العملية.

وكان ميردوك يعد فى الوقت ذاته العدة لمتابعة بحوثه عن الاطرادات

والثوابت فى الظواهر الاجتماعية والثقافية، وهو عمل يقتضى القيام بدراسات مقارنة على نطاق واسع جدا ويصعب إجراؤه دون أن تتوافر أولا المعلومات الإثنوجرافية اللازمة عن طريق الجمع والتحليل وتوجيهها لأهداف البحث. وكان عدم وجود أرشيف لمثل هذه المعلومات الموثقة يمثل فى ذلك الحين عقبة كبرى تعوق إجراء دراسة مقارنة منهجية. ففى عام ١٩٣٧ قام ميردوك بوضع تصور وتصميم مسح ثقافى متقاطع ضخم لمعهد ييل للعلاقات الإنسانية Yale's Institute of Human Relations الذى كان ميردوك عضوا فيه. وقد تولى أعضاء المعهد من علماء النفس والطب النفسى والاجتماع والأنثروبولوجيا إعداد نظرية موحدة عن السلوك وأدركوا أهمية وضرورة وجود كتلة منظمة من المعلومات عن المجتمعات والثقافات الإنسانية كأساس ضرورى لتوكيد وإقرار إجراء ذلك المسح عن تقاطع الثقافات (1940a; 1950a; 1950c; 1953). وكانت المهمة الأولى لذلك المسح هى إعداد نسق شامل لتصنيف المعلومات الثقافية التى تولى ميردوك ومعاونوه نشرها تحت عنوان Outline of Cultural Materials . (Murdock et al.1938) وكان من الضرورى فى الوقت ذاته تقييم المعلومات الإثنوجرافية توطئة لإعداد عينة عملية كافية عن الثقافات المتقاطعة التى يمكن إجراء البحوث عليها. وقد نجم عن الجهد البيليوجرافى المصاحب ظهور مجلد بعنوان قائمة ببليوجرافية إثنوجرافية لشمال أمريكا *Ethnographic bibliography of North America (1941)*. وقد أعيد نشرها فى طبعتين منقحتين بعد ذلك ثم ظهرت فى طبعة جديدة موسعة عام ١٩٧٥ وذلك بالتعاون مع تيموثى أوليرى Timothy O'Leary، وهى الطبعة التى لاتزال تؤلف البيليوجرافيا المعتمدة.

وقد ظلت مشكلة توفير المعلومات لإجراء الدراسة المقارنة تشغل ذهن ميردوك طيلة فترة حياته المهنية وأدى ذلك به إلى التعاون مع سى. إس. فورد C. S . Ford وجون وايتنج John Whiting فى استخدام النسق التصنيفى للمسح الثقافى التقاطعى فى تحليل المعلومات الخاصة بالأسطول الأمريكى

فى كل جزر المحيط الهادى التى كانت اليابان قد احتلتها قبل الحرب العالمية الثانية. وقد تولى الثلاثة إعداد عشرين دليلا عن الشئون المدنية لترشيد الإداريين الحكوميين فى تلك الجزر خلال الحرب وبعدها. وقد استخدم ذلك النسق التصنيفى فى تنظيم المعلومات الخاصة بعدد من الدول ذات الأهمية الاستراتيجية بالنسبة للولايات المتحدة؛ وبذلك أصبح ميردوك هو وفورد من المحركين الأساسيين فى إنشاء السجلات المعروفة باسم Human Relations Area Files التى نشرت كعمل مشترك بين الجامعات لإعادة تنظيم مسوح التقاطع الثقافى ووضعها فى صورتها النهائية. (Ford 1970) وقد قام ميردوك فى ذلك كله بدور المستشار العلمى حتى عام ١٩٦١ ثم أصبح بعدها عضوا فى مجلس إدارة المشروع حتى عام ١٩٧٢ حين أصبح مديرا شرفيا طيلة حياته. وقد تولى رئاسة مجلس الإدارة عام ١٩٦٤ .

ولكى يضفى مزيدا من السهولة على بحوث التقاطع الثقافى عكف ميردوك على تكويد وترميز عينة كبيرة من ثقافات العالم بالإشارة إلى مجموعة ضخمة من العناصر التى تهم المنظرين السلوكيين والثقافيين. وقد نشرت النتائج بصورة مبدئية تحت عنوان (1957b)"World Ethnographic Sample" تلاها "الأطلس الإثنوجرافى "Ethnographic Atlas" الأكثر شمولا (١٩٦٧) وبعدها عكف على إنشاء بنك معلومات لاستخدامات الكمبيوتر على شريط وانشغل بذلك حتى تقاعده. وقد ظهرت أعمال أخرى مماثلة تدور حول تحليل البيانات كما هو الحال بالنسبة لكتاب Outline of World Cultures وعدد من المقالات عن المناطق الثقافية فى أمريكا الجنوبية وعن أساليب اختيار العينات وترميز بعض الموضوعات المهمة (Murdock & Morrow 1970 ; Murdock & Wilson 1972 ;) وقياس التعقد الثقافى (Murdock & Provost 1973b) وتوزع الأمراض على مستوى العالم (Murdock, Wilson & Frederick 1978) وغيرها.

وقد ترتب على اهتمامات ميردوك بالتقاطع الثقافى ازدياد إدراكه بحاجة الأنثروبولوجيين لنشر النتائج

الإثنوجرافية لبحوثهم الميدانية. ولكي يشجع نشر هذه الأعمال أنشأ عام ١٩٦٢ ما أصبح يعرف باسم مجلة Ethnography التي حظيت بالتقدير العلمي التي ظل يشرف على تحريرها بمساعدة زملائه في جامعة بيتسبرج حتى تقاعده.

وقد أدت بحوثه وخدماته أثناء الحرب كضابط حكومي حربي في أوكيناوا إلى أن ينشغل بشكال إيجابي بضرورة تطوير واقع البحث الإثنوجرافي في منطقة المحيط الهادي وبخاصة في ميكرونيزيا. وقد لعب دورا رئيسيا في تنظيم وتنسيق والإشراف على البحوث المشتركة حول "أنثروبولوجيا ميكرونيزيا"، وهو برنامج أشرفت عليه هيئة علوم الباسيفيكي التابعة للمجلس القومي للبحوث وبتمويل من مكتب بحوث الأسطول (1948a). وتحت مظلة هذا البرنامج توجه ثلاثة وثلاثون باحثا في الأنثروبولووچيا واللغويات إلى ميكرونيزيا وتولى ميردوك نفسه قيادة فريق من خمسة باحثين عام ١٩٤٧ إلى تروك TruKحيث أمضى خمسة شهور في دراسة التنظيم الاجتماعي (Murdock & Goodenough 1947 ; Murdock 1948b ;1948 c).

وكان لذلك البرنامج نتائج مهمة تتمثل من ناحية في أن بدأ الأنثروبولوچيون يلتحقون بانتظام لمدة عقد كامل بالهيئة الإدارية لصندوق مناطق المحيط الهادي، ومن ناحية ثانية في استمرار الدراسات الأنثروبولوچية واللغوية إلى حد أن أصبحت ميكرونيزيا أكثر مناطق المحيط الهادي دقة في الوصف كما تتمثل، من الناحية الثالثة في إنشاء برنامج عن الدراسات الإيكولوچية للجزر المرجانية بما في ذلك إيكولوچيتها الثقافية والبشرية، وهو برنامج قامت به الهيئة العلمية للباسيفيكي التابعة لمجلس البحث الوطني. وكان ميردوك عضوا بارزا في تلك الهيئة وفي الرابطة الدولية لعلوم المحيط الهادي حتى عام ١٩٦٦ . وحين توفي بيتر بك Peter Buck مدير متحف Bernice P. Bishop عام ١٩٥٢ دُعِيَ ميردوك ليكون مستشارا خاصا لذلك المتحف فقدم عددا من أهم

التوصيات حول إعادة تنظيم الإدارة والمعارض وتنمية الموارد المالية وتعرُّف آراء الجماهير، ثم أصبح فيما بعد قائما بأعمال المدير فى ربيع عام ١٩٥٦. وقد انضم كممثل لجامعة ييل ألكزاندر سبوهر Alexander Spoehr المدير الجديد للمتحف وليونارد ماسون الأستاذ بجامعة هاواى فى تنظيم البرنامج الباسيفيكى الذى شارك فيه ثلاثة معاهد والذى تولى رعاية الباحثين الإثنوجرافيين واللغويين والأركيولوجيين فى الفترة من ١٩٥٣ إلى ١٩٦٤ فى أهم مجالات الدراسة التى كانت مهملة رغم أهميتها القصوى. وقد ظهرت ورقة عن "الأنساق الإيكولوجية للجزر العليا" (١٩٦٣) وأخرى عن "التطورات فى اللغويات الأوقيانوسية "(١٩٦٤) وهما تعكسان مدى استغراق ميردوك فى البرنامج.

ولقد اقتضى انشغال ميردوك بمشكلة تنظيم وترتيب وتحسين الصورة العامة للإثنوجرافيا أن يوجه اهتمامه فى الخمسينيات إلى إفريقيا. فقد كان هناك قدر كبير من الأدبيات الإثنوجرافية بالفرنسية والألمانية والإنجليزية والإيطالية والهولندية التى لم تحلل تحليلا شاملا بطريقة مرضية. وحتى يتسنى له القيام بتلك المهمة وضع لنفسه قائمة بالأسئلة التى تهم الأنثروبولوجيا بوجه عام ثم عكف على فحص الأدبيات الخاصة بكل مجتمع من المجتمعات الإفريقية المعروفة وذلك بطريقة منهجية منظمة كى يحصل على إجابات لتلك الأسئلة. وقد نشرت نتائج هذه الجهود فى كتابه Africa: Its Peoples and Their Culture History (1959a). ورغم تعرض ذلك الكتاب لكثير من الانتقادات من العلماء المتخصصين فى الشئون الإفريقية فإنه أفلح فى أن يضع الاهتمام بإثنوجرافيا إفريقيا على مستوى جديد كما أنه - من حيث كونه تحليلا عاما - لم يظهر أى عمل آخر يتفوق عليه فى هذا الصدد. ومن أهم الإسهامات التى توصل إليها ذلك الكتاب - وبحث آخر مصاحب له (1960c). هو تقديم الدليل على أن غرب إفريقيا كانت تتميز منذ القدم بتطور تقاليدها فى إنتاج الطعام وأن هذه التقاليد نشأت نشأة مستقلة

عن الأصل الذى بدأ فى الشرق الأدنى القديم.

وفى ذلك كله كان ميردوك يولى مشكلة التنظيم الاجتماعى اهتماما خاصا وبالذات حين يتعلق الأمر بأنماط العائلة والتنظيم القرابى. فقد كان يحرص على التركيز على التنظيم الاجتماعى فى كل دراساته الميدانية بحيث جعل منه موضوعا أساسيا فى كل بحوثه المقارنة. فالبحوث المقارنة المبكرة كانت تدور حول موضوع النسب وجماعات النسب والقرابة وتقسيم العمل بحسب الجنس ومصطلحات القرابة التى تساعد على اندماج التفرعات القرابية (١٩٤٧). ولكنه شفع تلك الدراسات بما أصبح معترفا به كإسهامه الرئيسى وهو كتاب *البناء الاجتماعى* *Social Structure* (1949c) الذى اعتمد فيه على عينة مؤلفة من مائتين وخمسين ثقافة مستمدة فى معظمها من مسوح الثقافات المتقاطعة. وقد تمكن من صياغة اختبار لا يزال يعتبر حتى الآن أفضل نظرية عن محددات تصنيف القرابة وتحديد النسب. وقد استعان ميردوك فى ذلك العمل بدراسات العلماء السابقين عليه مما ساعد على وضع تنميط جديد لصور التنظيم الاجتماعى واقتراح نظرية عن الطريقة التى تتغير بها هذه الصور من شكل لآخر.. ويذهب البعض إلى أن هذه النظرية " تفسر كثيرا من - وإن لم يكن كل - التنوعات فى نظم الإقامة والنسب ومصطلحات القرابة فى المجتمعات الإنسانية وأن التوصل إليها يعتبر إنجازا كبيرا فى مسوح التقاطع الثقافى " (1970,p.1240). وقد قدم (عرض) ميردوك فى هذا الكتاب نفسه نظرية جديدة عن محددات محرمات العلاقات الجنسية بين المحارم (الزنى بالمحارم).

وقد أزاح كتاب *البناء الاجتماعى* عددا من القضايا التى كانت تشغل بال المهتمين بدراسة العائلة والقرابة فى العقود السابقة، وفى الوقت ذاته أدى تطوير التصورات والمفاهيم والارتقاء بالترتيب لدرجة أعلى إلى إثارة مشكلات عديدة كما دفع إلى مزيد من العمل على تطوير المفاهيم والتصورات

والاعتراف بأشكال التنظيم الجديدة التى تشمل جماعات النسب الأمومى، وهى الجماعات التى أسهم فى دراستها بنصيب وافر كما هو الشأن فى المجلد الخاص عن البناء الاجتماعى فى جنوب شرق آسيا-Social Structure in South east Asia (1960b) الذى أشرف على تحريره وكتب له مقالا تمهيديا على جانب كبير من الأهمية.

وتضم إسهامات ميردوك العديدة فى مجال دراسة التنظيم الاجتماعى تحليلات للأبيات المتاحة عن الإنكا (١٩٣٤) والويتوتو Witoto (1936b) والمورنجن Murngin ((Murdock & Lawrance 1941) - وشعوب نيجيريا والنانتشيز Murdock & Natchez (Seagleton 1971) كما أنها تضم أوراقا محورية حول الانضباط الاجتماعى والسلوك الجنسى فى عدد من الثقافات (١٩٧١) وتقسيم العمل بحسب الجنس (١٩٣٧)، بينما أوراقه الأخرى تتناول حول الموضوعلت العامة والنظرية مشكلات من نوع الجوانب المتغيرة فى التنظيم الاجتماعى والانقسامات السياسية الثنائية (١٩٥٦) وتطور التنظيم الاجتماعى (١٩٥٩) والتنميط فى التنظيم الاجتماعى (١٩٦٠) والأقارب (١٩٦٩) وغيرها.

وقد حرص ميردوك على مراعاة منظومة من المبادئ السلوكية الواسعة فى كل أعماله كما هو واضح فى معالجته للقضايا التى أرسى قواعدها فى دراساته للتقاطع الثقافى والتى تؤلف موضوعا متسقا ومطردا فى كتاباته النظرية حول الثقافة كمجال للدراسة العلمية (١٩٣٢) ودور الأنثروبولوچيا فى دراسة العلاقات الإنسانية (١٩٤١) والثوابت فى عديد من الثقافات الأخرى (١٩٤٥) وضرورة دراسة مشكلات التعلم والمجتمع والثقافة والشخصية كلها فى سياق علم موحد عن السلوك (1949a) وقصور الأنثروبولوچيا البريطانية (1951a) والتنافر والعداوة بين الجماعات (١٩٥٢) والعلاقات المتبادلة بين علم الاجتماع والأنثروبولوچيا (1954b) والتغير الثقافى (1956b) والأنثروبولوچيا كعلم مقارن (١٩٥٧) والأساطير التى ضللت النظرية الأنثروبولوچية (١٩٧٢) والمدخل العلمى الملائم للبحث المقارن (١٩٧٧).

ويظهر تنوع اهتماماته فى اتساع نطاق نشاطه التنظيمى. فبالإضافة إلى أنشطته العديدة التى سبقت الإشارة إليها كان رئيسا لجمعية الأنثروبولوجيا التطبيقية التى كان قد شارك فى تأسيسها عام ١٩٤٧ كما كان رئيسا للجمعية الإثنولوجية الأمريكية American Ethnological Society عام ١٩٥٢/١٩٥٣ والرابطة الأنثروبولوجية الأمريكية عام ١٩٥٥، ولعب دورا رئيسيا فى تأسيس جمعية بحوث التقاطع الثقافى Society for Cross-Cultural Research عام ١٩٧٢ كما لعب دورا مؤثرا فى انضمام اللغويين والعلماء الاجتماعيين لعضوية الأكاديمية الوطنية للعلوم التى كان هو نفسه انتخب عضوا بها عام ١٩٦٤، كما أصبح رئيسا لقسم العلوم الإنسانية فى المجلس الوطنى للبحث فى الفترة ١٩٦٤ -١٩٦٦. وقد تمثل الاعتراف بإنجازاته العديدة فى إهدائه ميدالية فايكنج عام ١٩٤٩ وميدالية هربرت إى. جريجورى عام ١٩٦٦ وميدالية توماس هكسلى عام ١٩٧١ وانتخابه عضوا فى الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم وعضوا بالأكاديمية الوطنية للعلوم.

ولم يؤسس ميردوك مدرسة أنثروبولوجية تحمل اسم أى نظرية أو مدخل معين، فقد كانت إنجازاته وتأثيره من نوع مختلف، إذ كان يرى نفسه مشاركا لزملائه وتلاميذه فى مشروع تعاونى واسع لتطوير علم موحد لدراسة المجتمع والثقافة والسلوك الاجتماعى، وكان يرى دوره فى هذا المشروع هو تكريس نفسه وجهوده لما كان يعتبره أهم الأمور وأشدها إلحاحا بالنسبة للأنثروبولوجيين.

وكثيرا ماكان يقول إنه تعلم من تلاميذه بقدر ما علّمهم. وقد كان يشجعهم عن طريق متابعة اهتماماتهم الفردية الخاصة بهم. وقد ظهرت ثمار ذلك فى المجلد الذى يضم الأوراق التى أهدوها إليه تحت عنوان *Explorations In Cultural Anthropology* (Goodenough 1964). وقد تميز بين كل معاصريه بتحقيق منظورات ومداخل جديدة فى اللغويات بالنسبة لإدوارد سابير، وفى علم النفس بالنسبة لجون دولارد John

Dollard وكلارك إل هيل ونيل إى ميللر وإيرل زين Earl Zinn، وفي الأنثروبولوجيا بالنسبة لفرد إجان وچون جيللن وإرفنج هولويل وكلايد كلكهوهن ورالف لينتون من أجل تحليل مفهوم للمداخل الثقافية والتاريخية والسوسيولوچية والسيكولوچية، وكان يساير تلاميذه وزملاءه الأصغر منه سنا بل ويقوم بتعديل أفكاره في ضوء أعمالهم ومتابعة التطورات الجديدة ودراسات التنظيم الاجتماعي والإسهام فيها وفي وضع مناهج أكثر دقة لبحث التقاطع الثقافي كما هو واضح في مجموعة المقالات التي نشرها بعنوان *Culture and Society* (1965a).

ولقد بلغت ملحمته الفكرية المستمرة ذروتها المثيرة عام ١٩٧١ حين كان يلقي محاضرة هكسلي التذكارية في إنجلترا فإذا هو يعلن أنه يعيد النظر بشكل جذري في آرائه عن العلاقة بين الفرد والمجتمع والثقافة (١٩٧٢). فكما هو شأن الكثيرين من الأنثروبولوچيين الأمريكيين كان يرى أنه يمكن إلى حد كبير تفسير سلوك الأفراد في المجتمع بثقافة المجتمع. ولكنه في تلك المناسبة رفض نظرته إلى الثقافة كمفهوم تفسيري ووضع نفسه ضمن زمرة العلماء الاجتماعيين والسلوكيين الذين ينظرون إلى الثقافة والبناء الاجتماعي في ضوء العمليات التي تتم داخل الأفراد في متابعة اهتماماتهم بالتفاعل فيما بينهم.

وهذا التنازل عن موقف نظري محدد كان يتمسك به لفترة طويلة يكشف عن تصوره للالتزام العلمي. فهو لم يقلل من إسهامه الخاص المتميز والدائم الذي نجم عن إدراكه للحاجة لتنظيم الكم الهائل من البيانات الإثنوجرافية للاستخدام العلمي الجيد. ولقد حمل ميردوك العبء الضخم لتنظيم تلك البيانات وبيّن بطريقته الخاصة الإمكانات التي يستطيع تقديمها للعلم الاجتماعي والسلوكي.

المؤلف : Ward H. Goodenough
المترجم : أحمد أبوزيد

Works by Murdock
Supplementary Bibljography

WORKS BY MURDOCK

1931 LIPPERT, JULIUS *The Evolution of Culture.* Translated and edited by George P. Murdock. New York: Macmillan.

1932 The Science of Culture. *American Anthropologist* 34:200–215.

1934*a* Kinship and Social Behavior Among the Haida. *American Anthropologist* 36:355–385.

1934*b* The Organization of Inca Society. *Scientific Monthly* 38:231–239.

1934*c* *Our Primitive Contemporaries.* New York: Macmillan.

(1936*a*) 1970 *Rank and Potlatch Among the Haida.* Yale University Publications in Anthropology, No. 13. New Haven: Human Relations Area Files.

1936*b* The Witoto Kinship System. *American Anthropologist* 38:525–527.

1937*a* Comparative Data on the Division of Labor by Sex. *Social Forces* 15:551–553.

1937*b* Correlations of Matrilineal and Patrilineal Institutions. Pages 445–470 in George P. Murdock (editor), *Studies in the Science of Society.* New Haven: Yale Univ. Press.

1937*c* MURDOCK, GEORGE P. (editor), *Studies in the Science of Society.* New Haven: Yale Univ. Press. → *Festschrift* prepared for Albert Galloway Keller.

1938 Notes on the Tenino, Molala, and Paiute of Oregon. *American Anthropologist* 40:395–402.

(1938) 1967 MURDOCK, GEORGE P. et al. *Outline of Cultural Materials.* 4th ed., rev. New Haven: Human Relations Area Files.

1940*a* The Cross-cultural Survey. *American Sociological Review* 5:361–370.

1940*b* Double Descent. *American Anthropologist* 42:555–561.

1941 Anthropology and Human Relations. *Sociometry* 4:140–149.

(1941) 1975 MURDOCK, GEORGE P.; and O'LEARY, TIMOTHY *Ethnographic Bibliography of North America.* 4th ed. 5 vols. New Haven: Human Relations Area Files.

1945 The Common Denominator of Cultures. Pages 123–142 in Ralph Linton (editor), *The Science of Man in the World Crisis.* New York: Columbia Univ. Press.

1947 Bifurcate Merging: A Test of Five Theories. *American Anthropologist* 49:56–68.

1947 MURDOCK, GEORGE P.; and GOODENOUGH, WARD H. Social Organization of Truk. *Southwestern Journal of Anthropology* 3:331–343.

1948*a* Anthropology in Micronesia. New York Academy of Sciences, *Transactions* Series 2, 2:9–16.

1948*b* Baseball: It's Waged in Truk. *Newsweek* 32, no. 9:69–70.

1948*c* New Light on the Peoples of Micronesia. *Science* 108:423–425.

1949*a* The Science of Human Learning, Society, Culture, and Personality. *Scientific Monthly* 59:377–381.

1949*b* The Social Regulation of Sexual Behavior. Pages 256–266 in American Psychological Association, *Psychosocial Development in Health and Disease.* Edited by Paul H. Hoch and Joseph Zubin. New York: Grune & Stratton.

(1949*c*) 1965 *Social Structure.* New York: Free Press.

1949 MURDOCK, GEORGE P.; and LAWRENCE, WILLIAM E. Murngin Social Organization. *American Anthropologist* 51:58–65.

1950*a* The Conceptual Basis of Area Research. *World Politics* 2:571–578.

1950*b* Family Stability in Non-European Cultures. American Academy of Political and Social Science, *Annals* 272:195–201.

1950*c* Feasibility and Implementation of Comparative Community Research, With Special Reference to the Human Relations Area Files. *American Sociological Review* 15:713–720.

1951*a* British Social Anthropology. *American Anthropologist* 53:465–473.

1951*b* *Outline of South American Cultures.* Behavior Science Outlines, Vol. 2. New Haven: Human Relations Area Files.
1951c South American Culture Areas. *Southwestern Journal of Anthropology* 7:415–436.
1951 MURDOCK, GEORGE P.; and WHITING, J. W. M. Cultural Determination of Parental Attitudes: The Relationship Between the Social Structure, Particularly Family Structure, and Parental Behavior. Pages 13–34 in Milton J. Senn (editor), *Problems of Infancy and Childhood.* New York: Josiah Macy, Jr., Foundation.
1952 Intergroup Antagonisms. Pages 95–102 in James E. Hulett, Jr., and Ross Stagner (editors), *Problems in Social Psychology: An Interdisciplinary Inquiry.* Urbana: Univ. of Illinois Press.
1953 The Processing of Anthropological Materials. Pages 476–487 in A. L. Kroeber (editor), *Anthropology Today: An Encyclopedic Inventory.* Univ. of Chicago Press.
(1954*a*) 1975 *Outline of World Cultures.* 5th ed. New Haven: Human Relations Area Files.
1954*b* Sociology and Anthropology. Pages 14–31 in John Philip Gillin (editor), *For a Science of Social Man: Convergences in Anthropology, Psychology, and Sociology.* New York: Macmillan.
1955*a* Changing Emphases in Social Structure. *Southwestern Journal of Anthropology* 11:361–370.
1955*b* North American Social Organization. *Davidson Journal of Anthropology* 1:85–97.
(1956*a*) 1971 How Culture Changes. Pages 319–332 in Harry L. Shapiro (editor), *Man, Culture, and Society.* Rev. ed. New York: Oxford Univ. Press.
1956*b* Political Moieties. Pages 133–147 in Leonard D. White (editor), *The State of the Social Sciences.* Univ. of Chicago Press.
1957*a* Anthropology as a Comparative Science. *Behavioral Science* 2:249–254.
1957*b* World Ethnographic Sample. *American Anthropologist* 59:664–687.
1958 Social Organization of the Tenino. *Miscellanea*

Paul Rivet Octogenario Dictata (Mexico City) 1:299–315.

1959*a* *Africa: Its Peoples and Their Culture History.* New York: McGraw-Hill.

1959*b* Cross-language Parallels in Parental Kin Terms. *Anthropological Linguistics* 1.9:1–5.

1959*c* Evolution in Social Organization. Pages 126–143 in Anthropological Society of Washington, *Evolution and Anthropology: A Centennial Appraisal.* Edited by Betty J. Meggers. Washington: The Society.

1960*a* Cognatic Forms of Social Organization. Pages 1–14 in George P. Murdock (editor), *Social Structure in Southeast Asia.* Viking Fund Publications in Anthropology, No. 29. New York: Wenner–Gren Foundation for Anthropological Research.

1960*b* Murdock, George P. (editor) *Social Structure in Southeast Asia.* Viking Fund Publications in Anthropology, No. 29. New York: Wenner–Gren Foundation for Anthropological Research.

1960*c* Staple Subsistence Crops of Africa. *Geographical Review* 50:523–540.

1960*d* Typology in the Area of Social Organization. Pages 183–188 in International Congress of Anthropological and Ethnological Sciences, *Men and Cultures: Selected Papers.* Edited by Anthony F. C. Wallace. A conference held in Philadelphia, 1956. Philadelphia: Univ. of Pennsylvania Press.

1962 The Traditional Socio-political Systems of Nigeria: An Introductory Survey. Pages 1–16 in Robert O. Tilman and Taylor Cole (editors), *The Nigerian Political Scene.* Durham, N.C.: Duke Univ. Press.

1963 Human Influences on the Ecosystems of High Islands of the Tropical Pacific. Pages 145–154 in Francis R. Fosberg (editor), *Man's Place in the Island Ecosystem.* Honolulu: Bishop Museum Press.

1964*a* Genetic Classification of the Austronesian Languages: A Key to Oceanic Culture History. *Ethnology* 3:117–126.

1964*b* The Kindred. *American Anthropologist* 66:129–132.

1965*a* *Culture and Society.* Univ. of Pittsburgh Press. → Includes an autobiographical paper.

1965*b* Tenino Shamanism. *Ethnology* 4:165–171.

1966 Cross-cultural Sampling. *Ethnology* 5:97–114.

1967 Ethnographic Atlas: A Summary. *Ethnology* 6:109–236.

1968 World Sampling Provinces. *Ethnology* 7:305–326.

1969 MURDOCK, GEORGE P.; and WHITE, DOUGLAS R. Standard Cross-cultural Sample. *Ethnology* 8:329–369.

1970 Kin Term Patterns and Their Distribution. *Ethnology* 9:165–207.

1970 MURDOCK, GEORGE P.; and MORROW, DIANE O. Subsistence Economy and Supportive Practices: Cross-cultural Codes 1. *Ethnology* 9:302–330.

1971 Cross-sex Patterns of Kin Behavior. *Ethnology* 10:359–368.

1971 MURDOCK, GEORGE P.; WHITE, DOUGLAS R.; and SCAGLION, RICHARD Natchez Class and Rank Reconsidered. *Ethnology* 10:369–388.

1972 Anthropology's Mythology. Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland, *Proceedings* 1971: 17–24. → Huxley memorial lecture.

1972 MURDOCK, GEORGE P.; and WILSON, SUZANNE F. Settlement Patterns and Community Organization: Cross-cultural Codes 3. *Ethnology* 11:254–295.

1973*a* MURDOCK, GEORGE P.; and PROVOST, CATERINA Factors in the Division of Labor by Sex: A Cross-cultural Analysis. *Ethnology* 12:203–225.

1973*b* MURDOCK, GEORGE P.; and PROVOST, CATERINA Measurement of Cultural Complexity. *Ethnology* 12:379–392.

1977 Major Emphases in My Comparative Research. *Behavior Science Research* 12:217–221.

1978 MURDOCK, GEORGE P.; WILSON, S. F.; and FREDERICK, V. World Distribution of Theories of Illness. *Ethnology* 17:449–470.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

BRYAN, EDWIN H., JR. 1953 *Report of the Director for 1952.* Bishop Museum Bulletin (Honolulu), No. 210.

FORD, C. S. 1970 Human Relations Area Files, 1949–1969: A Twenty Year Report. *Behavior Science Notes* 5:1–61.

GOODENOUGH, WARD H. (editor) 1964 *Explorations in Cultural Anthropology: Essays in Honor of George Peter Murdock.* New York: McGraw-Hill. → A bibliography of Murdock's writings is on pages 599–603.

NAROLL, RAOUL 1970 What Have We Learned From Cross-cultural Surveys? *American Anthropologist* 72:1227–1288. → Contains a review of the many cross-cultural surveys stimulated by Murdock's work.

هاولز، ويليام دبليو

William. W.Howells

ما يميز الأنثروبولوجيا الأمريكية، أن الرؤية الأنثروبولوجية للإنسان العاقل تدمج أنثروبولوجيا ما قبل التاريخ والأنثروبولوجيا الطبيعية (البيولوجية) والأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية معًا. وقد ضرب وليام هاولز مثالاً لهذا التقليد من منظور الأنثروبولوجيا الطبيعية. وقد ولد هاولز في مدينة نيويورك عام ١٩٠٨، وهو ابن جون ميد وأبى ماكدوجال وايت هاولز وحفيد الروائي ويليام دين هاولز. وقد تزوج من موريل جيردون سيبرى أثناء عامه الأخير من دراسته الجامعية الأولى في جامعة هارفارد. وقد حصر اهتمامه في مرحلة ما قبل التخرج في مجال الأنثروبولوجيا، وقد واصل ذلك التركيز خلال دراسته للدكتوراه من جامعة هارفارد في عام ١٩٣٤ وكان إرنست هوتون قد جعل من جامعة هارفارد مركزًا للتدريب الأكاديمي في حقل الأنثروبولوجيا الطبيعية في الولايات المتحدة في فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى. ويرجع الفضل إلى طريقة هوتون النشطة والمحفزة في تعريف الطلاب والجمهور عامة بالأنثروبولوجيا. وقد شكلت الاتجاهات الرائدة لهوتون في ذلك الوقت، بعض اهتمامات هاولز المهنية في الأنثروبولوجيا الطبيعية، مثل استخدام الأساليب الكمية في دراسة التباين المورفولوجي للسكان، وهو المجال الذى كان هوتون يشايعه في ذلك الحين.

وفيما عدا السنوات ثلاث التى قضاها في الخدمة العسكرية في وقت الحرب بمكتب الولايات المتحدة للاستخبارات البحرية في مدينة واشنطن، شغل هاولز ثلاثة مناصب مهنية، المنصب الأول كان في المتحف الأمريكى للتاريخ الطبيعى في مدينة نيويورك، حيث قام بالاشتراك مع هارى، ل. شابيرو، وهو أول طالب أعد درجة الدكتوراه تحت إشراف هوتون، بإجراء بحث عن التنوع في السلالات لدى سكان جزر المحيط الهادى، وفي

عـام ١٩٣٩ تولى هاولز التـدريس فى جـامعـة ويسكونسن بولاية ماديسـون حـيث ظل حـتى وفـاة هـوتون فى عـام ١٩٥٤ فعاد إلى هارفارد. وقد تقاعد فى عـام ١٩٧٤. وقـد تفـوق هاولز فى التدريس لطلاب المرحلة الجامعية الأولى سـواء فى جـامـعـة ويسكونسن أو هارفارد. وكان فى الجامعة الأولى على رأس المهتمين بتطوير المنهج التكاملى للدراسات الليبرالية، وأنشأ فى جامعة هارفارد واحداً من أشهر المقررات فى مجال العلوم الطبيعية ضمن برنامج التعليم العام. وأثناء تدريبه طلاب درجة الدكتوراه فى جامعة هارفارد، أفلح فى إعداد أكثر من عشرين باحثًا فى الأنثروبولوجيا الطبيعية، الذين تنعكس خبرتهم المنهجية التى اكتسبوها منه، فى تنوع موضوعات الأنثروبولوجيا الطبيعية التى عالجوها فى بحوثهم. (Giles & Friedlaender 1976)

وقد امتد أسلوبه الشائق فى إلقاء محاضراته إلى كتابة كتبه المبسطة إلى عـامة الناس التى تغطى كثيـراً من الموضـوعـات التى تتـراوح من "الدين البدائى عند الوثنيين" (The Heathens 1948)، وأركيولوجيا العالم فى "ما وراء التـــاريخ" (Back Of History 1954)، الـذى قام بترجمـتـه د. أحمد أبو زيد إلى العربية والأنثروبولوجيا الطبيعية، مع التركيز على الإنسان الحفرى، فى كـتـابه الجنس البـشـرى حـتى الآن (Mankind So Far 1944)، الـذى تـلاه بكتاب اتخذ نفس المنهج عنوانه تكوين البـشـرية (Mankind in the Making 1959). وقـد لقـيت هذه الكتب التى استخدمت فى التدريس على نطاق واسع حفاوة بالغة واستحساناً كبيراً من المتخصصين، وقد ترجمت هذه الكتب إلى لغـات عـديدة ابتـداء من الفرنسية والألمانية والإسبانية وانتهاء باللغة العربية، مما جعل هاولز أكثر علماء الأنثروبولوجيا الأمريكيين تأثيرا من حيث تنوع وشرح موضوعات العلم.

وقـد انتـخب هاولز عـضـواً فى الأكاديمية الوطنية للعلوم والأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم، كمـا تسلم ميدالية مؤسسة فايكنج Viking فى الأنثروبولوجيا الطبيعية. وتولى تحرير

مجلة الأنثروبولوجيا الطبيعية الأمريكية (American Journal of Physical Anthropology) فى الفترة من عام ١٩٥٠ إلى عام ١٩٥٤، وفى عام ١٩٥١ كان رئيسًا للرابطة الأنثروبولوجية الأمريكية وهو منصب يعكس مكانته والتقدير الذى حازه فى المجتمع الأنثروبولوجى عامة.

وقد تنوعت أبحاثه الأولى بين الموضوعات المألوفة بين علماء الأنثروبولوجيا الطبيعية : مثل التقارير الفنية عن الهياكل العظمية للإنسان الحديث التى اكتشفها الأثريون، وتطوير أساليب القياس الدقيقة المستخدمة فى علم العظام، واستخدام وسائل القياس الإنسانى، وفصائل الدم، والسمات الأخرى التى تحدد الجماعات السلالية وتاريخها والعلاقات المتبادلة بينها عامة. وقد بزغت الأفكار الأساسية التى تميز أبحاثه من هذه الاهتمامات. وربما كانت الدراسات الأكثر وضوحًا التى ارتبطت أكثر من غيرها باسمه فى الأنثروبولوجيا الطبيعية هى التطوير والتطبيق الجديدان لأساليب الإحصاء متعدد المتغيرات على مشكلات المورفولوجيا، مثل فهم الأفراد فى إطار تكوينهم الجسمى، وفهم الشعوب الحالية فى إطار أدوات القياس الجسدى، وفهم عينات الحفريات البشرية فى إطار روابط المصاهرة، وفهم سكان العالم فى إطار تباين شكل الجمجمة.

وقد كانت مشاركة هاولز فى الوصف الأولى للمادة الحفرية ثانوية ولكنها ذات دلالة، (مثل شظية الساعد عند جماعة الكانابوى فى شرق إفريقيا)، وقد اعتبرت دراساته ومراجعاته للدراسات الأنثروبولوجية فى أنثروبولوجيا الحضارات القديمة أعمالاً مرجعية وغير متحيزة. وقد بلغت بحوثه الأكثر شمولاً واتساعًا والبالغة التأثير فى مجال فحص التباين فى شكل الجماجم البشرية، الذروة فى مقاله عن تباين الجماجم عند الإنسان : دراسة تعتمد على التحليل المتعدد المتغيرات لأنماط الفروق بين المجموعات البشرية المعاصرة "Cranial Variation in Man : A Study by Multivariate Analysis of Patterns of Difference Among Re-

cent Human Populations" (1973a).

ومن أجل إجراء هذا التحليل جمع هاولز فى البداية بيانات عن سكان سبعة عشر شعبًا واضحة المعالم يمثلون كل أقاليم العالم. وقد تطلب منه ذلك شخصيًا أن يحصل على أكثر من مائة ألف مقياس من عديد من المجموعات فى المتاحف. وقد أثبت تحليله المتميز الدقيق متعدد المتغيرات لأبعاد الجماجم بشكل قاطع أن هذا التباين لا يتعلق بهيكل الرأس، كما كان يعتقد من قبل. وقد وفرت أعمال هاولز على الأقل قاعدة ملائمة لقياس وتقييم العلاقات بين شعوب العالم مثلها مثل أى وسيلة أخرى، كما قدم مساهمة أكبر فى دراسات ما قبل التاريخ والأنثروبولوجيا الطبيعية. وقد كان تباين الجماجم موضوع اهتمام الكثيرين فى الأنثروبولوجيا الطبيعية لمدة تزيد على القرن. ولكنه لم يؤد إلى نتائج حاسمة، بل الأسوأ من ذلك أنه لم يكن صادرًا عن الإحساس بالمسئولية ولم يحقق أى شخص مثل هذا النجاح الذى حققه هاولز فى إضفاء المصداقية والفكر التطورى الحديث على تلك البحوث.

ولقد أظهر هاولز، بداية من أبحاثه المبكرة، اهتمامًا خاصًا بشعوب أوقيانوس ومرحلة ما قبل التاريخ هناك. وقام بزيارة كل الجماعات الكبيرة فى المنطقة تقريبًا، وأجرى بحثًا فى جزر سولومون وفى أماكن أخرى باعتباره عضوًا فى فريق بحث بيولوجيا الطب البشرى الذى نظمه وأشرف عليه ألبرت دامون *Albert Damon*. وقد أكد هاولز أهمية مفهوم المسافة البيولوجية، بين السكان الحديثين فى تلك المنطقة، وهو مقياس روابط المصاهرة المتبادلة بين السكان فى منطقة محددة، ويرتكز على تحليل متعدد المتغيرات لمظاهر الاتفاق والاختلاف بين سمات إحدى الجينات المفردة. (مثل فصائل الدم)، وسمات الجينات المتعددة (مثل بصمة الأصبع والكف)، ويمكن أن تكون هذه الدراسات مكملة أو متضمنة أبحاثًا مماثلة لقياس العلاقات اللغوية والجغرافية، ومقاييس أخرى لتحديد العلاقات فى أنماط التجمعات وديناميات تفاعل السكان فى فترات أكثر حداثة.

ولقد ربط هاولز، فى كتابه سكان جزر المحيط الهادى (The Pacific Islanders 1974) بين قدر كبير وهائل من الأدلة المتباينة والمتعارضة أحياناً والمستقاة من مجال اللغويات، والأنثروبولوجيا الاجتماعية، وما قبل التاريخ، والأنثروبولوجيا الطبيعية ليقدم صورة شاملة عن الشعوب الأصلية المقيمين فى الأقاليم الرئيسية فى تلك المنطقة وهى : ميلانيزيا القديمة، وبولينيزيا، وميكرونيزيا، وأستراليا، وأوحت هذه الأدلة إلى هاولز بوجود مجموعتين قديمتين من السكان، إحداهما أطلق عليها ميلانيزيا القديمة التى تمتد من الفلبين وأستراليا، وغينيا الجديدة، وبعض الجزر الميلانيزية الجديدة ثم المنغوليين الأصليين الذين اختلطوا بعد ذلك مع كل جماعات الجزر. وعلى الرغم من التنوع الكبير فى النماذج الفيزيقية فى منطقة الأوقيانوس، كان هاولز يرى أن أصول هذه الشعوب كلها تعود فى النهاية إلى شرق آسيا. ولقد كان هاولز فى هذا الكتاب والكتب الأخرى متواضعاً وقنوعاً بما قدم من مساهمات ضخمة وما بذل من جهد فى جمع البيانات والربط بينها، وبفضل على ذلك إبراز جهد وأعمال الآخرين والمشكلات الأخرى التى لا تزال فى حاجة إلى دراسة.

المؤلف : EUGENE GILES
المترجم : سعيد فرح

Works by William
Supplementary Bibliography

WORKS BY HOWELLS

1937 Anthropometry of the Natives of Arnhem Land and the Australian Race Problem: Analysis and Discussion. *Peabody Museum of Archaeology and Ethnology Papers* 16, no. 1:1–97.

1941 The Early Christian Irish: The Skeletons at Gallen Priory. Royal Irish Academy, *Proceedings* 46, section C, no. 3:103–219.

1944 *Mankind So Far.* Garden City, N.Y.: Doubleday.

1948 *The Heathens: Primitive Man and His Religions.* New York: Doubleday. → A paperback edition was published in 1962.

(1954) 1963 *Back of History: The Story of Our Own Origins.* Rev. ed. New York: Doubleday.

(1959) 1967 *Mankind in the Making: The Story of Human Evolution.* Rev. ed. New York: Doubleday.

1970 Hutterite Age Differences in Body Measurements. *Peabody Museum of Archaeology and Ethnology Papers* 57, no. 2:1–123.

1973*a* Cranial Variation in Man: A Study by Multivariate Analysis of Patterns of Difference Among Recent Human Populations. *Peabody Museum of Archaeology and Ethnology Papers* 67:1–259.

1973*b* *Evolution of the Genus* Homo. Reading, Mass.: Addison-Wesley.

1974 *The Pacific Islanders.* New York: Scribners.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

GILES, EUGENE; and FRIEDLAENDER, JONATHAN S. (editors) 1976 *The Measures of Man: Methodologies in Biological Anthropology.* Cambridge, Mass.: Peabody Museum Press. → A volume "published to honor William Howells." Contains a complete bibliography and additional biographical information.

هوبل، إى . أدامسن

E. ADAMSON ،HOEBEL

ولد إى أدامسن هوبل فى عام ١٩٠٦ وهو شخصية مرموقة فى أنثروبولوجيا القانون، حيث أشار إلى إعادة كشف القانون وصلاحيته وحدد موضوعه للدراسات الأنثروبولوجية بعد عقود من الإهمال الكامل تقريبًا. وحركت إسهاماته المنهجية والنظرية مجال الدراسة ببعد كاف واقترح وصفًا كاملاً "للقانون البدائى" وبطريقة واضحة ليبرز مفهوم "إثنوجرافيا القانون" أو "أنثروبولوجيا القانون". وفى عمله مع القانونى الشهير كارل ن.لويلين Karl N. Lewellyn، كوّن هوبل نموذجًا للتعاون بين المحامين والأنثروبولوجيين وأوضح مدى المنفعة أو الاستفادة التطبيقية عند تحليل المفاهيم المنهجية فى كل من العلمين. وقد ساعد تعاونهما جزئيًا فى تدعيم اتجاه الدراسات البينية كما أن عمله استولى على جذب انتباه المحامين وقادهم للتعرف على الأنساق القانونية الغربية. واشتهر هوبل أيضًا بأنه إثنوجرافى خصوصًا فى دراسته عن الشايين Cheyenne وقيامه بدراسات ميدانية ونشره لأربع ثقافات أخرى وبصفة خاصة ثقافة الكومانش Comanche، والشوشون Shoshone، والبويبلو الكيرسان Keresan Pueblo وباكستان. وكمثقف أنثروبولوجى كان له تأثير أصيل من خلال كتبه التى لم تهمل، وأدواره الإدارية، وقيامه بالتدريس.

ولد هوبل ونشأ فى ماديسون Madison بولاية ويسكونسن Wisconsin وكان والده بحارًا مسافرًا يعمل فى شركة لصناعة لجام وأسرجة الخيول التى أسسها جده وكانت والدته عضواً فى لجنة الخدمة المدنية، لولاية ويسكونسن. وقد حصل على درجة البكالوريوس من جامعة ويسكونسن فى عام ١٩٢٨ حيث تخصص فى علم الاجتماع وكان متأثرًا بدرجة كبيرة بـ إى. أ. روس E . A . Ross الذى وجهه للاهتمام بالقانون والضبط

الاجـتـمـاعى. وكطالب فى مـرحلة البكالوريوس فى جـامـعـة ويسكونسن عاصر عدداً من الطلاب الذين أصبحوا أنثروبولوجيين مثل جون جيلين John Gillin، ولوريستن شـارب Lauristen Sharp وصـول تاكس Sol Tax وكـلايد كلكهـوهن Clyde Kluckohn. وكمـا هو الشأن بالنسبة لكلكهون تكشف أعمال هويل توجـهًـا عـمـيـقًـا نحـو العلم الاجـتـمـاعى والأبعـاد الإنسـانيـة فى الأنثـروبولوجـيـا . فكتـاباته الأسـاسـيـة تعكس ذلك التـوجـه بدرجـة أكـبـر مما نجده عند معظم الأنثروبولوجيين، فـهى كتابات تحليلية وشاعرية فى وقت واحد. وقـد ظـهـر إبداعـه فى هـاتين النزعـتـين للروح الأنثـروبولوجـيـة واسـتـمـرت أثناء تدريبه فى دراسـتـه العليا فى جـامـعـة كـولومـبـيـا بعـد حـصـوله على درجـة الماجستير فى علم الاجتماع حيث اتجه إلى الأنثروبولوجيا تمامًا وكان تلميذًا لكل من فـرانز بواس Franz Boas وروث بنديكت Ruth Benedict.

وفى عـام ١٩٩٣، أبدى هـويل اهـتـمـامًـا للقـيام ببحث الدكـتـوراه على أسـاس دراسـة مـيـدانيـة عن النسق القانونى لدى هنود البلينز Plains Indian. وقـد أعلن بواس عن شكوكـه أن يكون لهذه الثقافات نظم قانونية كما أوضحت بنديكت عـدم اهـتـمـامـهـا وجـهلها لهـذا الموضـوع. لكن بواس عـهـد إلى كـارل لويلين الذى كـان يتـولى كـرسى الأستاذية فى مدرسة القانون فى جامعة كـولومـبـيـا والقـيـادى البـارز المعـروف قانونيًا فى مدرسة "الواقعية القانونية Legal realism" ونظرته الواسـعـة فى القـانون أن يكون مـشـرفًـا على رسـالة الدكـتـوراه الخـاصـة بهـويل. وكـانت الرسـالة عن قـانون الكومـانش وقـد نشـرت أخـيـرًا تحت عنوان التنظيم السـيـاسى والطرق القـانونيـة لهنود الكومـانش *The Political Organiza-tion and Law Ways of the Co-manche Indians (1940)* ونـال هـويـل درجة الدكتوراه فى عام ١٩٣٤ . كذلك أشرف عليه لويلين فى دراساته المبكرة عن الشـوشـون واشـتـرك مع هويل فى دراسـة عن الشـايين التـى نشـرت بعنوان طريقة الشايين *Cheyenne Way* عـام (١٩٤١)، والتى أصـبـحت عـمـلاً خـصـبًـا فى كل من الأنثـروبولوجـيـا

والقانون. ورغم أن لويلين كان المؤلف الأعلى مقامًا فإن الكتاب كان تعاونًا حقيقيًا بينهما.

وكثير من أفكار إي أدامسون هوبل تطورت بفضل تعاونه مع لويلين. ويجب أن ننظر إليها في سياق وضع القانون في الأنثروبولوجيا في عام ١٩٣٣ حين تقابل الاثنان لأول مرة. ولم يكن بواس وحده بل كثير من الأنثروبولوجيين المشهورين أمثال "رالف لينتون" هو الذي أظهر عدم إيمانه بأن شعوب القبائل لديها أي شيء يمكن أن نسميه "بالقانون" بالمعنى الرسمي. وخلال أربعين عامًا منذ بلوغ المدرسة التطورية ذروتها لم تكن هناك بصفة عملية أي دراسات أنثروبولوجية منشورة عن القانون البدائي وبخاصة عند غير الأنثروبولوجيين، والاستثناء الوحيد لذلك كان برونيسلاف مالينوفسكي في كتابة الجريمة والعرف في مجتمع متوحش *Crime and Custom in Savage Society (1926)* الذي ظن لويلين أنه عمل تحليلي مهم، والذي اقترح لهوبل أن التعاون بين الأنثروبولوجيا والقانون يجب أن يكون مثمرًا.

إن المفهوم الأساسي لدراسة القانون عند الكومانش أو طريقة الشايين *Cheyenne Way*، أو كل الكتابات القانونية الأخرى لهوبل "كانت *منهج الحالة الصعبة* *Trouble case method*". وهذا المنهج أصبح السمة المميزة لكل الدراسات الأنثروبولوجية الحديثة في الأنساق القانونية. والتركيز على المنازعات العقلية التي تعتبر هي جوهر القانون ومفتاح القواعد أو الجوانب المعيارية للنسق القانوني وإجراءاته وقد اعترف هوبل في عام (١٩٦٤) بأصول المنهج المتبع في الواقعية القانونية عند لويلين الذي كان قد ترسخ أيضًا في تدريب بواس الإثنوجرافي الدقيق لهوبل. وقد شرح هذا المنهج وهذبه ابشتاين Epstein (1987)، وجليفر Gulliver (1906)، وتويننج Twining (1973a;1973b)، وأبل Abel (1969)، وجلكمان Gluchman (1973).

والفكرة الرئيسية التي ظهرت نتيجة التعاون بين لويلين كانت مفهوم وظائف القانون أو أعمال القانون "Law

jobs". كما يسميها لويلين وقد ذهب هوبل ولويلين إلى أن مفهوم هذه الوظائف موجود فى كل الأنساق القانونية والميدانية على السواء وأنها تتجاوز فض المنازعات لكى تتضمن "المتطلبات الوظيفية للمجتمع المدعوم بصفة خاصة بالقانون" ورغم أن الدور الأكبر فى توضيح وظائف القانون يرجع إلى لويلين فإن قبول هوبل لهذا المفهوم كان راسخًا فى معرفته بأعمال مالينوفسكى ورادكليف براون المعروفة فى ذلك الحين.

أثناء ذلك التعاون نظر لويلين وهوبل إلى القانون فى أبعاده الثقافية وقد قام هوبل بتعديل هذه الفكرة بعد ذلك فى تحليله الأساسى. والواقع أن رؤية القانون فى أبعاده الثقافية ترجع إلى الواقعية القانونية عند لويلين التى لها حدودها الفكرية التى اكتشفها عند وليام جريهام سمنر William Graham Sumner وإدوار س. كوروين Edward S . Corwin وأنهما أكدا على أهمية الطرائق الشعبية والأعراف والاعتماد الثقافى على القانون. ولكن رؤية القانون فى نسيجه الثقافى كان بطبيعة الحال يتفق كل الاتفاق مع كل التدرتيب الذى تلقاه هوبل فى الأنثروبولوجيا وقد ساعد هوبل لويلين فى رؤية الجذور الثقافية للقانون التى يمكن أن تفوته.

استطاع هوبل كأنثروبولوجى أن يجعل موضوع الشرعية للقانون لها عموميتها حتى فى القانون الغربى عند مقارنته واختباره فى ضوء المادة الخاصة بالبلينز Plains والشوشونى وكان لويلين مقارنًا وشاكًا وكان طبيعيًا واقعيًا متعاونًا وهذا البعد للعمل التعاونى كان له عائد ذو أهمية خاصة فى دراسات القانون واتساع المجال لمقارنة وثيقة الصلة فى القانون.

ويتضمن الوجه الأخير لتعاون هوبل - لويلين دراسة قانون قبائل هنود البويبلو الناطقين بلغة الكرسان التى بدأت فى عام (١٩٤٤) والتى لم تنته لوفاة لويلين فى عام (١٩٦٢) وتركت تلك المادة الضخمة دون نشر رغم أن هوبل قد نشر منفردًا أوراقًا عديدة عن قانون البويبلو الكرسان (١٩٦٩).

أسهم هوبل إسهامًا كبيرًا فى أنثروبولوجيا القانون وقام هو بنفسه بطريقة محددة وراء العمل المشترك مع لويلين كما وضع القاعدة الأساسية بعلم القانون عن طريق الدراسة المقارنة لسلسلة من الأنساق القانونية غير الأوروبية لكى يستنتج تعميمات تجريبية حول القانون ولكى ينقح مفاهيم تحليلية وهكذا رغم أن طريقة الشايين لا تحتوى على تعريف للقانون، عمل هوبل الثانى الرئيسى هو *قانون الإنسان البدائى* ***The Law Of Primitive Man (1954)***، الذى ركز فيه على المعايير وكان تعريف هوبل الذى تناوله فى فقراته بكثرة يربط بين القانون بطريق واضحة والواقع الثقافى والاجتماعى كما يركز أيضًا على العملية وكلاهما علامة واضحة فى فكر هوبل، ولكن ذلك تعرض للنقد لأنه يقصر الجزاءات على الجزاءات الفيزيقية فقط.

أوضح هوبل (١٩٥٤) أن المعايير الثقافية يمكن استياقها من "المسلمات" عن طريق تعميم الفروض التى يستخدمها أعضاء المجتمع مثل طبيعة الأشياء، وما هو مرغوب فيه أو غير مرغوب فيه بطريقة كيفية ويوظف القانون حينئذ ليعبر عن تدعيم المسلمات الخاصة بالمجتمع. وهذا المدخل المتعلق بالمسلمات وهو أحد الإسهامات الرئيسية لهوبل فى القانون المقارن وكان قد استخدمه فى كتاباته الإثنوجرافية بدرجة كبيرة ومعظمها جدير بالذكر حتى رسالته القصيرة والعامة عن الشايين. ولهذا المدخل جذور فكرية فى أعمال روث بنديكت والمفهوم يتشابه مع إحدى مسلمات موريس أوبلر Morris Opler "الوحدات المتكررة Themes".

والاتجاه مسجل فى قانون الإنسان البدائى بشكل رائع وعميق فى الصور المقدمة عن الأنساق القانونية "البدائية" فى خمسة مجتمعات غير متعلمة. وإن منهجية الاستدلال عن المسلمات تكون حدسية إلى حد ما ويصعب تكرارها. لذلك فإن المفهوم لم تتح له فرصة أن يتبناه الأنثروبولوجيون القانونيون بشكل موسع كما هو الوضع بالنسبة لمنهج الحالة الصعبة.

يقدم *قانون الإنسان البدائى* تحليلاً تطوريًا يطلق عليه هوبل تعبير "اتجاه القانون The trend of the law" ويعطى بطريقة تجريبية للتنوع المشترك نموذجًا لوجود المجتمع فى ظل محتوى المعايير العقابية القانونية - أو قواعد القانون - وإجراءاته القانونية. وهذه الخطة التى قُبلت بطريقة كبيرة دفعت هوبل للقيام بمسح عميق عن العموميات - وهى عكس المتغيرات - فى محتوى القانون ووجدت فى نفس المجلد. يهذب قانون الإنسان البدائى جملة الوظائف الخاصة بالقانون التى نمت فى دراسة طريقة الشايين والتى مازالت تلخص الوظائف الرئيسية للقانون ولها صفة العمومية كما توضح أن القانون "البدائى" بدائى فى إجراءاته. وقد امتد تأثير تلك الدراسة نتيجة ترجمتها إلى الألمانية والإيطالية.

كان هوبل الشاب يتمتع بقوة ذاتية ومعرفة بفرع تخصصه تُشعره بالراحة فى تعاونه مع لويلين. وقد أصبحت تلك المشاركة نموذجًا راسخًا لعلاقاتهما فيما بعد وكان لهوبل علاقات تعاون مع سلسلة من العلماء الآخرين مثل جيسى د. جننجز Jesse D. Jennings، ميكائيل ج. بسميث، أ. أ. شيلر A . A . Schiller، إرنست والاس Ernest Wallace، إيفيرت ل. فروست Everette L. Frost، شيرلى هولت Shirely Holt، توماس ويفير Thomas Weaver بعضهم نظراؤه وآخرون أساتذة أصغر منه بحيث كان يمثل دور لويلين بالنسبة لهم.

وكان تأثير هوبل فى أنثروبولوجيا القانون أقل على تلاميذه بالمقارنة لتأثيره فى نظرائه من الأساتذة أو الأساتذة الأصغر منه ورغم الاعتراف الواسع جدًا بدور كتاباته فإنه لم يكن هوبل يفرض اتجاهاته الفكرية على الآخرين فرغم أنه تتلمذ على يد بواس المتسلط وكان تلميذًا لويلين العنيف المهيمن فإنه كان على حذر من أن يفرض أفكاره على طلابه بالقوة وكان يرى أنهم ليسوا أتباعًا له وكان للمغزى الكامن فى أفكاره أكثر من مؤازرته لتلاميذه أكبر التأثير بشكل واضح فى أعمال جيل من الأنثروبولوجين القانونيين يضم ماكس جلكمان وفليب

جليفر وبول بوهانن ولورا نادر وليبولد بوسبزل ووليام توينج وجيمس وآخرين.

وكإثنوجرافى يعد هوبل موهوباً بشكل خاص فى الجانب الآخر من العمل الإثنوجرافى وهو تقديم صورة فنية مكتوبة للثقافة. يكتب من خلال دقة المفهوم وفى نفس الوقت ينقل شعوراً بحقيقة الثقافة، وكان يملك مقدرة على الحكى كمثال ملائم للتحول الشعرى للجملة وهى كلها تميز كتابه طريق الشايين وكتابه الذى ظهر بعد ذلك عن الثقافة والذى كتبه بمفرده وهو كتاب *الشايين هنود السهول الكبرى The Cheyennes Ibndians of the Great Plains (1960)*. وكان هذا مجلداً افتتاحياً وكان أفضل ما بيع فى سلسلة الرسائل الإثنوجرافية القصيرة بطريقة فورية التى نشرت فى الستينيات. وكانت موهبة الكتابة الإثنوجرافية علامة لأعمال هوبل النظرية كما هو الشأن فى كتابه القانون عند الإنسان البدائى.

إى . أدامسن هوبل E. Adamson Hoebel كان تأثيره الملحوظ كمعلم وقد ساعدته قراءاته الموسعة فى الإثنوجرافيا ودراساته الميدانية المبكرة فى ثلاث ثقافات فى كتابه "الإنسان فى عالم بدائى" *Man In Primitive World (1949)* الذى صممه ككتاب تعليمى لطلاب المرحلة الجامعية الذين أقبلوا بأعداد كبيرة على دراسة الأنثروبولوجيا بعد الحرب العالمية الثانية. كما حفزت طريقة الشايين جيلاً جديداً من الأنثروبولوجيين على التحول إلى الأنثروبولوجيا القانونية ومن ثم فإن الكتاب التعليمى أنتج جمهرة من صغار الأنثروبولوجيين تأثروا وقلدوا وفكروا بوعى ذاتى حول دور الأنثروبولوجيا كأداة للتعليم الحر فى مجال نموذج للتعليم العام فى المرحلة الجامعية الأولى ومن ثم فى المتغيرات التى تتابعت بعد نفاد طبعته. وقد صدر الكتاب فى أربع طبعات وظهرت الطبعتان الثالثة والرابعة تحت عنوان الأنثروبولوجيا: دراسة الإنسان، وقد ترجم الكتاب إلى اللغتين الإسبانية والفنلندية. أما العمل الذى أعيد طبعه للمرة الخامسة مع توماس ويفر كمؤلف مشارك فقد نشر فى عام (١٩٧٩) بعنوان الأنثروبولوجيا والخبرة

الإنسـانيـة -Anthropology and the Hu
man Experience.

إن الاهتمام بالتعليم فى حد ذاته سـواء أكـان تـعليـمًـا حـرًا أو تعليـمًـا جامعيًا فى مرحلة الدراسة العليا جعل هويل يقـبل المناصب الإدارية كـرئيس لقسم الأنثروبولوجيا وعمـيد كليـة فى جـامـعـة يوتا وكـرئيس لقسـم الأنثروبولوجيا فى مينسوتا Minnesota حـيث احـتـفل به فى عـام (١٩٦٩) كأستاذ متميز وأستاذ الأساتذة فى الأنثروبولوجيا وكان أستاذًا فخريًا متفرغًا للأنثروبولوجيا منذ عام ١٩٧٢ وأستاذًا منتدبًا للقانون منذ عام ١٩٦٩ .

المؤلف : JAMES LOWELL GIBBS. JR
المترجم : فاروق أحمد مصطفى

WRITINGS BY HOEBEL
SUPPLEMENTARY BIOGRAPHY

1940 *The Political Organization and Law-ways of the Comanche Indians*. Menasha, Wisc.: American Anthropological Association.

(1941) 1973 LLEWELLYN, KARL N.; and HOEBEL, E. ADAMSON *The Cheyenne Way: Conflict and Case Law in Primitive Jurisprudence*. Norman: Univ. of Oklahoma Press.

1948 TER HAAR, B. *Adat Law in Indonesia*. Translated and edited by E. Adamson Hoebel and A. A. Schiller. New York: Institute of Pacific Relations. → First published in Dutch as *Beginselen en Stelsen van het Adatrecht*.

(1949) 1979 HOEBEL, E. ADAMSON; and WEAVER, THOMAS *Anthropology and Human Experience*. 5th ed. New York: McGraw-Hill. → Hoebel was the sole author of the first four editions. The first and second editions were entitled *Man in the Primitive World: An Introduction to Anthropology*. The third and fourth editions were entitled *Anthropology: The Study of Man*.

1952 WALLACE, ERNEST; and HOEBEL, E. ADAMSON *The Comanches: Lords of the South Plains*. Norman: Univ. of Oklahoma Press.

1954 *The Law of Primitive Man: A Study in Comparative Legal Dynamics*. Cambridge, Mass.: Harvard Univ. Press. → A paperback edition was published in 1969 by Atheneum.

(1955) 1972 JENNINGS, JESSE D.; and HOEBEL, E. ADAMSON *Readings in Anthropology*. 3d ed. New York: McGraw-Hill.

(1960) 1978 *The Cheyennes: Indians of the Great Plains*. 2d ed. New York: Holt.

1964 Karl Llewellyn: Anthropological Jurisprude. *Rutgers Law Review* 18:735–744.

1965 Fundamental Cultural Postulates and Judicial Law-making in Pakistan. *American Anthropologist* 67:43–56.

1968 Maine, Henry Sumner. Volume 9, pages 530–533 in *International Encyclopedia of the Social Sciences*. Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.

1969 Keresan Pueblo Law. Pages 92–116 in Laura Nader (editor), *Law in Culture and Society*. Chicago: Aldine.

1976 Hoebel, E. Adamson; and Frost, Everette L. *Cultural and Social Anthropology*. New York: McGraw-Hill. → Abridged version of the third edition of Hoebel & Weaver (1949) 1979.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

Abel, Richard L. 1969 Customary Law of Wrongs in Kenya: An Essay in Research Method. *American Journal of Comparative Law* 17.

Bohannan, Paul 1957 *Judgment and Justice Among the Tiv*. Oxford Univ. Press.

Cohen, Fay G.; and Frees, Joseph (editors) 1973 *Law and Society Review* 7, no. 4. → Special issue dedicated to Hoebel.

Epstein, A. L. 1967 The Case Method in the Field of Law. In A. L. Epstein (editor), *Social Anthropology*. London: Tavistock.

Gibbs, James L., Jr. 1963 The Kpelle Moot: A Therapeutic Model for the Informal Settlement of Disputes. *Africa* 33:1–111.

Gluckman, Max (1955) 1967 *The Judicial Process Among the Barotse of Northern Rhodesia*. 2d ed. Manchester (England) Univ. Press.

Gluckman, Max 1973 Limitations of the Case-method in the Study of Tribal Law. *Law and Society Review* 7:611–641.

Gulliver, Philip 1963 *Social Control in an African Society; a Study of the Arusha: Agricultural Masai of Northern Tanganyika*. Boston University, African Research Studies, No. 3. Boston Univ. Press; London: Routledge.

GULLIVER, PHILIP 1969 Case Studies in Non-Western Societies. Pages 11–23 in Laura Nader (editor), *Law in Culture and Society.* Chicago: Aldine.

MALINOWSKI, BRONISLAW (1926) 1961 *Crime and Custom in Savage Society.* London: Routledge.

NADER, LAURA (editor) 1965 The Ethnography of Law. Special issue of the *American Anthropologist* 67, no. 6, part 2.

NADER, LAURA (editor) 1969 *Law in Culture and Society.* Chicago: Aldine.

POSPISIL, LEOPOLD (1971) 1974 *Anthropology of Law: A Comparative Theory.* New Haven: Human Relations Area File Press.

POSPISIL, LOEPOLD 1973 E. Adamson Hoebel and the Anthropology of Law. *Law and Society Review* 7:537–559.

TWINING, WILLIAM 1973*a* *Karl Llewellyn and the Realist Movement.* London: Weidenfeld & Nicolson

TWINING, WILLIAM 1973*b* Law and Anthropology: A Case Study of Interdisciplinary Collaboration. *Law and Society Review* 7:561–583.

هوكارت، إيه. إم

A.M.Hocart

ينحدر عالم الأنثروبولوجيا البريطاني آرثر موريس هوكارت (١٨٨٣-١٩٣٩) من أصول فرنسية، ولد في بلجيكا وتابع دروسه في كلية إكستر بجامعة أكسفورد. وبعد تخرجه في الجامعة وحصوله على الدرجة الجامعية في الدراسات الكلاسيكية والتاريخ القديم، ذهب إلى جزيرة سولومون لإجراء بحث إثنوجرافي مع و. هـ. د. ريفرز، باعتباره عضواً في رحلة قام بتمويلها بيرس سلادن (١٩٠٨ - ١٩٠٩). وقد زكى ألفريد هادون أستاذ الأنثروبولوجيا في جامعة كيمبريدج هوكارت لشغل وظيفة ناظر مدرسة في جزيرة لاو في فيجي حيث بقي هناك مدة ٣ سنوات (من ١٩٠٩ إلى ١٩١٢) اكتسب خلالها معرفة ثرية عن حضارة فيجي. وهناك تابع إجراء دراسات وأبحاث عن روتاما، وجزيرة واليس، وجزيرة ساموا وتانجو قبل أن يعود إلى جامعة أكسفورد عام ١٩١٤ حيث قام في العام التالي بإلقاء محاضرات في علم النفس والأنثروبولوجيا. وخدم في الفترة من ١٩١٥ إلى ١٩١٩ في سلاح المشاة الخفيفة، وحارب في فرنسا ورقي إلى رتبة نقيب. وبعد انتهاء الحرب في عام ١٩٢١ عين عضواً لجنة تسجيل الآثار في سيلان، وشغل تلك الوظيفة حتى عام ١٩٢٩ حين اضطر إلى التقاعد لاعتلال صحته. وفي السنوات الأربع أو الخمس التالية شغل وظيفة محاضر شرفي في جامعة لندن، وأمين مكتبة، وعضو مجلس معهد الأنثروبولوجيا الملكي. وفي عام ١٩٣٤، بناء على اقتراح وتزكية من إفانز - بريتشارد اختير أستاذاً لعلم الاجتماع بجامعة فؤاد الأول بمدينة القاهرة. وقد شغل هذا المنصب حتى وفاته في عام ١٩٣٩، بسبب إصابته بفيروس مرضي أودى بحياته أثناء إجراء دراسة حقلية في صعيد مصر.

ورغم أن هوكارت لم يشغل أي وظيفة أكاديمية أغلب حياته، فإنه نال احتراماً مهنيًا من جانب عدد كبير من

الشخصيات البارزة والشهيرة فى حقل الدراسات الأنثروبولوجية، من أمثال ريفرز، وهادون، وجرافتون إليوت سميث، ووليم بيرى، وإفانز - بريتشارد، ولورد راجلان، ومارسيل موس. وقد نشر خمسة كتب وما يقرب من مائتى مقال قصير (Needham 1967). ورغم مكانته العلمية، وإنجازاته الكثيرة، فإنه لم يترك سوى أثر ضعيف فى الحقل الأكاديمى الأنثروبولوجى الذى هيمن عليه برونيسلاف مالينوفسكى، و رادكليف براون، ثم لم يحظ بأى اعتراف متميز فى المرحلة التالية من تاريخ تطور الأنثروبولوجيا. وقد انحصر اهتمامه النظرى الأساسى فى تاريخ الثقافة الذى كان يتم باستخدام المنهج المقارن والمنهج الاستدلالى فى فقة اللغة (الفيلولوجيا)، وهذه المناهج لم تلق القبول فى زمن هوكارت إذ كانت الجهود الأكاديمية موجهة نحو إجراء الدراسات الوظيفية المكثفة فى مجتمعات معينة، وكان الدين والرمزية وهما الصيغتان الأساسيتان اللتان ارتكزت عليهما براهينه وحججه فى منزلة أدنى من منزلة التحليل السوسيولوجى للقرابة والتنظيم الانقسامى والأنساق السياسية. بيد أن أعماله وطريقته فى التفكير جذبت قدراً أكبر من الانتباه فى العقود التالية. وقد نشر كتابه "أسطورة منح الحياة" "The Life-giving Myth" لأول مرة عام (a1952)، وأعيد نشره فى عام ١٩٧٠ وفى العام نفسه ظهرت طبعة هامة جديدة نقدية لكتابه "الملوك والمستشارون" "Kings and Coucillors" الذى صدر عام (١٩٣٦) والذى يعد أهم أعماله. ومع نمو الاتجاه الذى يدعو إلى عدم المغالاة فى التمسك بالمفهوم الحرفى الضيق للأنثروبولوجيا، أعيد إحياء الاهتمام بأصول الثقافات والطقوس والتفكير فى جذور الثقافة مما جعل أفكار هوكارت مناسبة ووثيقة الصلة بالأنثروبولوجيا من جديد.

واتسم فكر هوكارت بالتدفق والسلاسة والتنوع، وكان منهجه فى تقديم وعرض الحجج والبراهين منظماً ولكن يصعب التنبؤ به (مثل لاعب السلاح عند الهجوم) كما لم يكن يصوغ فى كثير من الأحيان نظرية تقوم على

تتابع المبادئ التى ثبتت صحتها. وكان المقال القصير والخطاب الذى يرسله إلى جريدة ما هما الأداتان المفضلتان عنده للتعبير عن أغراضه وأهدافه، وكانت مناقشاته فى الأغلب مختصرة وغير مألوفة إلى الحد الذى تبدو معه غير صحيحة. وكانت موضوعاته تتباين تباينًا غريبًا ابتداء من فكرة التوحيد والنقود، والغرور وفكرة الخلاص، والتعميد، والعهود، والمواثيق، والتدهور والانحطاط، والقرابة، والتضحية، وانتهاء بنظام فرض الضرائب. ومهما كان الموضوع الذى يدافع عنه ويؤيده فإنه كان يأخذ كل الأمور بجدية، ولا يأخذ الأشياء على علاتها وواقعها، كما لم يكن يثق من الناحية المنهجية فى تعميمات الأنثروبولوجيا والتعريفات التى يبتدعها الأكاديميون. ويعول كثيراً على القاعدة التى تفترض "عدم التسليم بأى شىء لا نعرف عنه شيئًا فى عالم الواقع". وكثيراً ما تكون التساؤلات التى طرحها بسيطة أو ساذجة مثل "لماذا لا تبقى إحدى العادات... كما هى عليه دون تغيير" ؟ "طالما آمن الإنسان ذات مرة بالآلهة، فلماذا يحاول أن يختزل عددها دائمًا إلى إله واحد" ؟ "كيف توصل البشر الأوائل إلى فكرة تفتيت وتكسير الأحجار" ؟، ولكنها كانت مع ذلك تساؤلات مثيرة واستفزازية وأصيلة. وقد تبدو النتائج التى توصل إليها غير مقنعة ويستحيل تصديقها، ولكنها قلما تفشل فى تحدى الأفكار المقبولة وحث الفكر على الالتفات إلى الموضوعات المهمة بشكل دائم. وإذا كانت البيانات التى يدلى بها مستمدة بشكل عفوى من الهند وفيجى أو أى مكان آخر فى العالم فإنها كانت تهدف إلى إرساء مبادئ عامة، مثل "لا بد أن يكون الملوك الأوائل أمواتًا"، "لقد انتشرت منظومة واحدة من الطقوس إلى أقصى أنحاء العالم"، "الأساطير والمعجزات تاريخ موثوق فيه ليس عن الأحداث ولكن عن العادات".

لم يطرح هوكارت نظرية عامة، ويكاد يكون من المستحيل تنظيم خواطره المتباينة، ولكنه كان دائمًا ملهمًا بالرغبة فى "إعادة تشكيل تاريخ الفكر". "وتطور النظم الإنسانية". إلا أنه كان يفتقد المنهج الجازم القاطع لإنجاز

تلك الغايات، وكان يدعو دومًا ويلح على أنه ليس في مقدرة الأنثروبولوجيين إهمال أي فرض يمكن أن يكون مثمرًا، ويقول في ذلك "سوف نتبني الفرض الواضح عن الأصول العامة المشتركة لنرى إلى أين يقودنا". وكان الدين هو شكل الفكر الذى حاول أن يوضحه، ويمكن تتبع الملامح الرئيسية للدين فى أنحاء كثيرة من العالم. وفى أطول أعماله وأكثرها تكاملاً وهو كتاب *"الملوك والمستشارون"* انتهى إلى أن الأصل المشترك للحكومة نفسها وأجهزتها المتخصصة العديدة تكمن فى تنظيم قديم ليس لإدارة الشئون العامة من أجل المصلحة ، ولكن كمطلب رمزى يسعى وراء الحياة. ورغم أن هذا الكتاب لا يحل محل نظريات المؤرخين وفلاسفة السياسة، فإنه يعد حالة جديدة تلفت الانتباه وعملاً جديرًا بالإعجاب، إذ أشار إلى جانب ميتافيزيقى فى الحياة الاجتماعية، كان له دور مؤكد فى تطور المجتمع وأجهزته الإدارية المتعددة.

وعلاوة على ذلك يحتل مكانة عالية تعكس طموحات هوكارت من أجل صياغة نظرية تفسر كل التباينات والاختلافات بطريقة سهلة، دون أن يستشهد بأية عمليات لم تخضع للملاحظة ولم يتم رصدها. (1952a,P.170).

وتظهر خصائص هوكارت أنه شخص خارج عن الجماعة وهائم على وجهه، وأن لكتاباته جاذبية خاصة تستهوى نمطًا معينًا يدعو إلى التمرد على القواعد الفكرية السائدة، ويحتل فيها المنهج الواضح والنتائج الرصينة مكانة ثانوية، بسبب التغيرات المثيرة التى تطرأ على هيئة وشكل ومضمون ومغامرات الأفكار. ولكنه كان نمطًا مثاليًا للعالم وطالب العلم، وكما وصفه إفانز - بريتشارد (١٩٣٩) "لم يكن يحصل على المعرفة لكى يرتقى بها بنفسه، بل لأنه كانت لديه كعالم الرغبة الحقيقية لفهم أسباب الأشياء ".

المؤلف : Rondey Needham

المترجم : سعيد فرح

توفى روندى نيدهام فى الثالث عشر من ديسمبر عام ٢٠٠٦ (المراجع)

WORKS BY HOCART

1927 (1969) *Kingship.* Oxford Univ. Press.

1929 *The Lau Islands, Fiji.* Bernice P. Bishop Museum Bulletin, No. 62. Honolulu: The Museum. → Lord Raglan reported that when this work was published "considerable alterations were made without reference to the author" (Hocart 1952*b*, p. v). A paperback edition was published in 1971 by Kraus.

1931 *The Temple of the Tooth in Kandy.* Memoirs of the Archaeological Survey of Ceylon, Vol. 4. London: Luzac.

1933 *The Progress of Man: A Short Survey of His Evolution, His Customs, and His Works.* London: Methuen.

(1936) 1970 *Kings and Councillors: An Essay in the Comparative Anatomy of Human Society.* Univ. of Chicago Press. → Includes a foreword by E. E. Evans-Pritchard and an introduction by Rodney Needham, in which Needham gives a critique of Hocart's theory of the origin of government and an estimation of his career and the value of his ideas. A paperback edition was published in 1972.

(1938) 1968 *Caste: A Comparative Study.* Edited by Lord Raglan. New York: Russell. → First published in French.

1952*a* *The Life-giving Myth, and Other Essays.* Edited by Lord Raglan. London: Methuen. → A paperback edition, edited with a foreword by Rodney Needham, was published in 1970.

1952*b* *The Northern States of Fiji.* Edited by Lord Raglan. Royal Anthropological Institute of Great

Britain and Ireland, Occasional Publication No. 11. London: The Institute.
1954 *Social Origins*. Edited by Lord Raglan. London: Watts.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

EVANS-PRITCHARD, E. E. 1939 Arthur Maurice Hocart, 1884 [*sic*]–March 1939. *Man* 39:131 only.
NEEDHAM, RODNEY 1967 *A Bibliography of Arthur Maurice Hocart (1883–1939)*. Oxford: Blackwell. → Foreword by E. E. Evans-Pritchard.

هولول أ . إرفينج

HALLOWELL A. Irving

رغم أن الكم الكبير لأعمال ألفريد إرفينج هولول وسيرته العلمية كرست من أجل دراسة جماعات أوچيبوا الشمالية Northern Ojibwa، وهم شعب وصف مجتمعهم وثقافتهم وأفكارهم بتفصيل دقيق فإن اهتمامه الأول ومجهوده الإثنوجرافي كانا من أجل اكتشاف وعرض العام من خلال الخاص وحين يأخذ المرء في الاعتبار الملحوظ في القضايا النظرية التي أضاف فيها إسهامات أصلية ورائدة وهي: (التنظيم الاجتماعي) والثقافة والشخصية، والتثاقف، والتطور السلوكي، والدين، والأسطورة، ورؤى العالم، والإيكولوجيا الثقافية، وتاريخ الأنثروبولوجيا إلى جانب موضوعات أخرى، يتضح لنا لماذا ظهر تأثيره في علوم أخرى فوق الأنثروبولوجيا الثقافية التي اختارها مجالا له.

ولد هولول في فيلادلفيا Philadel-phia في عام ١٨٩٢ وكان ابنًا وحيداً لعائلة فيلادلفية قديمة وتوفي في نفس المدينة عام ١٩٧٤ . ولم يكن تعليمه المبكر ينبئ بأنه سوف يسلك طريق العلم. وبعد أن تخرج في إحدى المدارس الثانوية للتأهيل اليدوي التحق بمدرسة وارتون Wharton للمالية والتجارة بجامعة بنسلفانيا Pennsylvania وبعد أن حصل على درجته العلمية عمل أخصائيًا اجتماعيًا في "جمعية الأسرة" في فيلادلفيا وأثناء عمله كأخصائي اجتماعي حصل على دراسات عليا في الاجتماع والأنثروبولوجيا تحت إشراف فرانك ج . سبك Frank G. Speck أستاذه في الأنثروبولوجيا (وهو عالم ممتاز في دراسته عن الهنود الأمريكيين) وعمل هولول أيضًا على تنمية اهتماماته عن الهنود الأمريكيين وقرر أن يصبح أنثروبولوجيا، ومن سبك Speck وفرانز بواس Franz Boas (رائد الدراسات الأنثروبولوجية في ذلك الوقت حيث كان يحضر هولول سميناره الأسبوعي في جامعة كولومبيا) اكتسب رؤيته للأنثروبولوجيا التي لازمته طيلة

حياته كعلم كلى يتضمن الإثنولوجيا والأركيولوجيا والأنثروبولوجيا الفيزيقية واللغويات.

ويمكن تقسيم عمل هولول زمنيًا إلى ثلاث مراحل، المرحلة الأولى هى : مرحلة "الإثنولوجيا" والمرحلة الوسطى مرحلة "الثقافة والشخصية". وفى نهاية رحلته العلمية جاءت المرحلة الثالثة وهى "المرحلة التاريخية" التى ركز فيها على دراسة تاريخ الأنثروبولوجيا والتطور السلوكى، ورغم أن إنجازاته فى كل مرحلة كانت أصلية (وخصوصًا فى المرحلتين الأخيرتين) ورائدة فإن هذه الإنجازات فى المرحلة الوسطى ربما كانت أكثرها أهمية. وكان تحديده للعلاقة بين الثقافة والشخصية - وبصفة خاصة، تحليله للتداخل بين "العالم الداخلى Inner world" للفاعلين الاجتماعيين مع "العالم الخارجى Outer world" للنظام الاجتماعى - يؤلف إسهامًا بارزًا بالنسبة لفهم البعد الثقافى فى التجربة الإنسانية والبعد السيكولوجى فى الثقافة الإنسانية.

فى مرحلة سيطرت المدرسة السلوكية بنموذجها القصصى على العلوم الاجتماعية والسلوكية حاول هولول مستخدمًا المادة الإثنوجرافية عن شعب الأوجيبوا Ojibwa وإبرازها كوسيلة يوضح من خلالها وظيفة الفعل الاجتماعى وأنه يرتبط بخواص البيئة الطبيعية والاجتماعية كما يصفها بموضوعية الطبيعيون الاجتماعيون وأهمية معناها للفاعلين الاجتماعيين. وقد استفاد هولول من الفكر الجشتالطى فى الوصول إلى فكرة البيئة السلوكية وانطلق من الفكر الجشتالطى فى إثبات أن المدركات الحسية وسط عند المدركين بها بمفردهم وأن التوجهات المعرفية هى التى تنظمهم وتشكلهم وأنها تكتسب بطريقة كبيرة من أنساق الرموز الثقافية كما استنتج أن البيئة السلوكية الإنسانية (كما يراها) "يتم تكوينها ثقافيًا". ويرهن على أن الأعضاء المختلفين فى الجماعة الاجتماعية يرجع اختلافهم إلى أن كلاً منهم يكون منعزلاً بشكل أساسى فى عالمه الداخلى وحتى وإن أظهر مشاركته فى البيئة السلوكية.

كما أوضح ووصف أن تجمع الأفراد يمكن أن يصبح جماعة من الفاعلين وباختصار فإنه من خلال شرحه للبيئة السلوكيــة التى ترجع إلى التكوين الثقافى حدد أيضًا جزئيًا إمكانية قيام النظام الاجتماعى الإنسانى.

وعلى العكس من كثير من العلماء الاجتماعيين الذين يأخذون الترتيب الاجتماعى على علاته كان هولول يراه أمرًا مثيرًا للجدل. وبينما هو يؤكد أن الاطرادات فى السلوك الاجتماعى مسألة تحفظها الثقافة (كان قد بين من قبل أهميــة فرويد بالنسبــة للأنثروبولوجيا) فإنه أكد أيضًا على وجود أبعاد للعالم الداخلى للفاعلين الاجتماعيين من الدوافع والتأثر والتوهم وما إليها - وهى أبعاد غير مستمدة من العالم الخارجى للثقافة (ومن المؤكد أنها تنكر تأثير ذلك العالم) وهذه الأبعاد هى تهديد خطير محتمل للترتيب الاجتماعى لأنه حتى حين لا تؤدى إلى تكوين بيئات سلوكية خاصة (كما تفعل فى حالة المرض العقلى) فإنها قد تؤدى إلى فعل متعمد قد ينتهك المتطلبات المعيارية للترتيب الاجتماعى. ولكى يتغلب على هذه المشكلة عمل على تطوير مفهومه الخصب عن "النفس" وهو مفهوم يرتبط ارتباطًا قويًا بالبيئة السلوكيــة وبنفس الأهميــة (مرجع سابق).

وبالاستعانة بتفاصيل معرفته عن الأجيبوا Ojibwa ذهب إلى أن النفس وهى بناء معرفى ينفرد به الإنسان تنمو بواسطة منظومة من التوجيهات الأساسية المكتسبة من أنساق الرموز الثقافية ونظرًا لوجود النفس عند نقطة التقاطع بين العوالم الداخلية والخارجية وتوسطها بينهما، فإنها تحمى النظام الاجتماعى من التهديد الخطير للعالم الداخلى بطريقتين: أولاً كنتيجة لما تحققه من الوعى بالذات ومن ثم القدرة على التمييز بين المؤثرات الداخلية والخارجية فالفاعلون الاجتماعيون يتواءمون مع كل من مدركاتهم الحسية ومع المدركات العقلية وترشيد سلوكهم بالرجوع إلى المعايير الثقافية. ثانيًا: عندما تكون المتطلبات الداخلية الملحة واضحة وأنها أصبحت قوة هذه المعايير الخارجية،

فإن التهديد الأخلاقى الملازم للإدراك النفسى للفاعلين يؤكد على نمو نموذج قانون العقل المعيارى المحكم.

ورغم أن هولول كان باحثًا غزير الإنتاج فإن أعماله تكونت من مجموعة من الأوراق البحثية، والمقالات النظرية أكثر من الكتب أو الرسائل العلمية. وهذه الأعمال تتميز بشكل واضح بالمنظور الثنائى لأنه حتى فى الحالات التى يكون فيها التركيز على موضوع واحد متخصص فإنه كان يأخذ فى الاعتبار أوسع المجالات للبحث الأنثروبولوجى وهى طبيعة الإنسان ومن ثم فإن هذا الاهتمام الأخير كان يعكس كل ما يمكن للأنثروبولوجيا فى أقصى جهدها أن تفعله "دراسة الإنسان".

المؤلف : MELFORDE E. SPIRO
المترجم : فاروق أحمد مصطفى

WOKS BY HALLOWELL
SUPPLEMENTARY BIOGRAPHY

WORKS BY HALLOWELL

(1942) 1970 *The Role of Conjuring in Saulteaux Society*. New York: Octagon.

(1955) 1974 *Culture and Experience*. Philadelphia: Univ. of Pennsylvania Press.

1968 Speck, Frank G. Volume 15, pages 115–117 in *International Encyclopedia of the Social Sciences*. Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.

1976 *Contributions to Anthropology: Selected Papers of A. Irving Hallowell*. With introductions by Raymond D. Fogelson, Fred Eggan, Melford E. Spiro, George W. Stocking, Anthony F. C. Wallace, and Wilcomb E. Washburn. Univ. of Chicago Press.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

Ethos 5, no. 1, 1977. → Special issue entitled *Essays in Subjective Culture: An Appreciation of A. Irving Hallowell*, edited by Dennison Nash.

SPIRO, MELFORD E. (editor) 1965 *Context and Meaning in Cultural Anthropology*. New York: Free Press. → In honor of A. Irving Hallowell.

وايت، ليزلى آلفين

Leslie Alvin، White

كان ليزلى أ. وايت شخصية رائدة فى مجال التحوّل الفكرى الذى مرّت به الأنثروبولوجيا فى أمريكا فى أواسط القرن العشرين. وكانت آراؤه المبكرة تعكس الرؤية غير النظرية (التجريبية) التى سادت الأنثروبولوجيا فى عشرينيات ذلك القرن أثناء تدريب وايت، ولكنه ما لبث أن بدأ فى نبذ هذه الرؤى واتّبع توجّهات نظرية أخرى مثل نظرية التطور الثقافى ونظرية علم الثقافة. وهكذا لم تأت أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات حتى كان قد أعاد لهذه التناولات التقدير العلمى الذى تستحقه، ومن ثمّ أصبح يُعتبر المُنظّر الأول فى الإثنولوجيا الأمريكية.

كانت الرغبة فى فهم تصرفات "الشعوب" تسيطر على وايت منذ حداثة سنه. وقد قاده هذا المطلب إلى أن يتابع دراسة التاريخ والعلوم السياسية فى جامعة ولاية لويزيانا Louisiana، ثم دراسة علم الاجتماع وعلم النفس فى جامعة كولومبيا Columbia، ولكن دون أن يجد فى هذه الدراسات ما كان يبحث عنه، وهكذا حوّل دراسته إلى جامعة شيكاجو Chicago بعد أن حصل على درجة الماجستير فى علم النفس من جامعة كولومبيا فى عام ١٩٢٥ . ورغم أنه كان قد تلقى مقرّره الدراسى الأول فى الأنثروبولوجيا على يد ألكزاندر أ. جولدنفايزر Alexander A. Golden-weiser فى كلية نيوسكول New School للأبحاث الاجتماعية فى نيويورك، فإن تدريبه الرسمى فى هذا الموضوع لم يبدأ إلاّ بعد أن التحق بالدراسة فى شيكاغو على يدى كل من إدوارد سابير Edward Sapir وفاى كوبر كول Fay-Cooper Cole.

وقد حصل وايت على درجة الدكتوراه فى الأنثروبولوجيا فى عام ١٩٢٧، على أثر إنجازه لأطروحته التى تعتمد على العمل الحقلى Field work فى الجنوب الغربى من الولايات المتحدة. ورغم شهرته فى مجال الدراسات النظرية فإنه كان يهتمّ اهتمامًا عميقًا

بالعمل الحقلى، وظل يسهم فيه على مدى ثلاثين عاما. وقد بلغ مجموع إسهاماته فى هذا المجال خمس دراسات إثنوجرافية عن البويبلو الناطقين بلغة الكرسان فى أكوما (1932a)، وسان فليبى (1932b)، وسانتو دومينجو (١٩٣٥)، وسانتا آنا (١٩٤٢)، وسيا (١٩٦٢).

وقد شغل وايت أول موقع تعليمى له فى جامعة بفالو Buffalo (١٩٢٧–١٩٣٠) وفى هذا الصدد فإن وجوده على مقربة من أحد معازل هنود السنيكا Seneca، حيث درس لويس هـ. مورجان Lewis H. Morgan قبائل الإيروكواى، دفعه إلى قراءة تلك الدراسة التى كان قد أهمل قراءتها قبل ذلك لأن أساتذته كانوا قد اعتبروا أنها "قد تجاوزت صلاحيتها". وقد أدت قراءته لهذه الدراسة إلى اهتمامه بالتطور الثقافى واقتناعه بجدوى هذا النوع من التناول الدراسى رغم الرفض المستمر من جانب فرانز بواس Franz Boas وتلاميذه.

وفى عام ١٩٣٠ انتقل وايت إلى جامعة ميتشجان Michigan حيث ظل يقوم بالتدريس حتى تقاعده عام ١٩٧٠، وبعد أن جعل من قسم الأنثروبولوچيا هناك واحدا من أقوى الأقسام. وقد كان وايت معلماً مؤثراً وحافزاً لتلاميذه ومن ثمّ جذب عدداً كبيراً من الطلاب إلى حلقاته الدراسية. وقد دفعت رؤيته غير التقليدية – وبخاصة معارضته الشديدة للدين المنظم – إلى الصدام مع مجتمع الجامعة. يضاف إلى ذلك، أن المواقع النظرية التى كان ينمّيها فى الثلاثينيات والأربعينيات (من القرن العشرين)، كانت تعتبر فى نظر أغلب الأنثروبولوچيين خارجة على الدين، ممّا أدّى به إلى مواجهة معارضة تكاد تكون مانعة من جانب زملاء المهنة لسنوات طويلة. وقد ولّد هذا الوضع فى نفسه توجّها عدوانيًا إلى حدّ كبير، وبخاصة إزاء أعضاء مدرسة "بواس". وقد ظلّ هذا التوجّه يميز كتاباته، حتى بعد أن انتصر فى أغلب المعارك (العلمية) التى خاضها (١٩٦٣ – ١٩٦٦).

ولم تستطع الأنثروبولوچيا بوجه عام أن تتقبل، قدراً كبيراً من النتاج العلمي الذي توصّل إليـــه وايت، وأن تمنحه مكانًا مشرفًا في تخصصه حتى أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات. وفي هذا السـيـاق فـقـد منح وسـام الڤايكنج Viking (وجائزته المالية) في الأنثروبولوچيا العامة في عام ١٩٥٩، كما انتخب رئيساً للرابطة الأنثروبولوچية الأمريكية في عام ١٩٦٤ .

ويوسـعنا أن نعـتـبـر أن أهـمّ الإسهامات التي قدّمها وايت في مجال الأنثـروبولوجـيـا (إلى جـانب العـمل الحقلي) تدخل تحت العناوين التالية : الرمـز، علم الـثـقـافـة، نظرية التطوّر، الحتمية الثقافية، المادية الثقافية.

الرمز : The Symbol

في بحث متـميـز بعنوان *"الرمز : أصل وأسـاس السلوك الإنسـاني "The Symbol: The Origin and Basis of Human Behavior"* (1940 b) أعيد طبعـه عـدة مـرات. حـاول وايت أن يثـبت أن القدرة على إضفاء معنى على الأشياء التي لا يلازمـهـا مـعنى بذاته هي التي تكمن في جذور الثقافة. وقد أطلق على هذه المقدرة تسمـيـة "الموهبة الرمزية" واعتبرها موهبة فريدة خاصة بالجنس البشري. وبسبب ذلك الأسـاس الفريد اعـتـقـد وايت أن الثـقـافـة تشكل نوعًا مستـقلاً من الظواهر. وقد كرّس قدراً كبيراً من اهتمامه لمفهوم الثقافة، وانتقد في مناسبات عديدة التعريفات الموجودة باعتبارها غير وافية. وقد حاول مرات كثيرة أن يوضح فكرته، وكانت أهمّ هذه المحاولات مـقـالة تحت عنوان "*مـفـهـوم الثـقـافـة* "The Concept of Culture" (1959 a).

علم الثقافة : Culturology

إن توافر مستوى متميز لعدد من الظواهر هو الذي دعـا إلى ظهـور علم مسـتـقل لدراسـتـهـا، وقد رأى وايت أن يطلق اسم "علم الثقافة " على ذلك العلم الجديد. (وقد اكتشف في وقت لاحق أن عالمًا آخر قد سبقه إلى هذه التسمية وهو الكيـمـيـائي والفـيلسـوف الألماني ڤيلهلم أوسـتـڤـالد Wilhelm Ostwald، وقد ذهب الى أن هدف علم الثقافة هو

شـــرح الثـــقــافــة من خـــلال ألفــاظ ومصطلحات خاصة بها، دون الرجوع إلى علم النفس. وبذلك لا يجوز أن نبحث عن أصل العشـائر Clans في دوافع أفـراد وإنما ينبـغي أن يكون ذلك من خلال التداخل والتفاعل الذي يتمّ بين عناصر ثقافية أخرى مثل : الزواج الاغـتـرابي المحلي Local Exogamy (الزواج بين عشيرتين تنتميان إلى سلف واحد)، القواعد المحلية للسكن فيما بعد الزواج، التقسيم الحاد للعمل حسب اعتبارات الجنس، تراكم الأملاك، وما شابه ذلك.

ورغم أن وايت قد فصّل في علم الثقافة أكثر بكثير مما حاول أن يفعله أي شخص آخر قبله، فإنه لم يكن البادئ بهذا التجديد بأية حال، ذلك أنه بوسعنا أن نتتبع أصول هذا التجديد – كما ذكر هو نفسه – حتى نرجعه إلى الفكرة التي قدمها أ. ل كروبير A.L.Kroeber (1917) والتي وصف فيها الثقافة بأنها "ما فوق العضوي " Super organic، وإلى تأكيد إميل دوركايم E. Durkheim (1895) "أن الحـقـــائق الاجتماعية إنما هي أشياء".

النظرية التطورية : Evolutionism

حين بدأ وايت التخلي عن توجهه المضاد لنظرية التطور ويبحث في كتابات الأنصار التقليديين لهذه النظرية، عرف الكثير عمّا كتبه كل من إدوارد ب. تايلور Edward B. Tylor، هربرت سبنسر Herbert Spencer ولويس هـ. مورجان Lewis H. Morgan واكتشف أنها معقوله وتلقي كثيرا من الضوء على الحقائق. وقد جذبته في هذا الصدد كتابات مورجان على وجه الخصوص، ولذا عكف على مدى السنين، على إعداد بعض مذكرات ورسائل مورجان للنشر (1937-1959 - 1940b)، كما أصدر الطبعة النهائية لكتاب "المجتمع القديم *Ancien Society*" (1964) وزوّدها بمقدمة مطولة. وقد اعتبر وايت عند وفاته رائد العلماء الذين تخصّصوا في الدراسات المتعلقة بمورجان على مستوى العالم.

وقد كانت أول مقالة كتبها وايت في مجال التطور الثقافي هي "*الطاقة وتطوّر الثقافة* *Energy and the Evolu-*

tion of Culture" (1943). وقـــد شـكلّ ظهور هذه المقالة أول خطوة مميّزة على طريق مــيـلاد جـديد لنظرية التطور الثقافى فى الولايات المتحدة. وفى هذه المقالة أرسى وايت النظرية التى تنادى بأن الثقافة تتطور بقدر ما يزداد مقدار الطاقة التى يتحكم فيها كل شخص فى السنة - وهو افتراض كثيرا ما يشار إليه فى الوقت الحاضر على أنه "قانون وايت *White's Law*".

وقـد قـام وايت بعـد ذلك بكتـابة سلسلة من المقـالات حـول التطورية (1945a ,1945 b.1947 a,1947 b,1947 c) التى اتخذ فيها موقفًا معاكسًا لموقف المعـارضـين لنظرية التطور وبخـاصـة روبـرت هــ. لـوى Robert H. Lowie. وكـان لوى قـد ذهب إلى أن حـقـائق الانتـشـار تُبطل أية نظرية للتطور الثقافى. وكان ردّ وايت على ذلك هو أنّ لوى خلط بين تاريخ ثقافة الشعوب وبين تطوّر الثقافة بوجه عام. حـقيقة أن الانتشار diffusion قد يفسّر لنا كيف أن مجتمعًا بعينه قد اكتسب سمة معينة ولكنه لا يفسّر كيف ظهرت هذه السمة فى المقـام الأول. وهنا يقـول وايت إن التعرف على ذلك يتطلّب منا أن نتناول المسألة من وجهة نظر تطورية.

وقد مثّل عقد الأربعينيات مرحلة القمّة فى مجال النسبية الثقافية فى العلوم الاجتماعية فى أمريكا. وفى ذلك العقد اعتبر عدد من الأنثروبولوچيين، تمشـيًـا مع رأى روث بنديكت Ruth Benedict، أن الثـقـافـات غيـر قـابلة للقياس، ولذا فإن تصنيف الثقافات على أنها أكثر أو أقلّ قيمة، أو نسبة هذه الثقافات إلى مرحلة معينة من التطوّر هو تصرف بمعيار ذاتي ولا أساس له من الصـحـة. وقـد ردّ وايت على هذه الدعـوى (1927 a) بأن "البـواسـيـين" أخفقوا فى التمييز بين ما هو "ذاتى" وماهو "تحكمى"، فكل مستويات القياس تحكمية، ولكـن، حسبما يقول، ذلك لا يجـعلهـا ذاتيـة بالضـرورة. إن الأنثروبولوچيين بإمكانهم، وفى حدود حقهم، أن يصنفوا الثـقـافـات حـسب معايير موضوعية مثل درجة التفاضل والتمايز ودرجة التخصّص فى نظمهم الاجتماعية ومدى استخدامهم للطاقة.

والعمل الرئيسى لوايت في مجال التطور الثقافى هو كتابه "*تطور الثقافة* *The Evolution of Culture*"(1959 b) . ورغم أن هذا الكتاب عرض التوجّه التطورى عند وايت بوضوح وقوّة فإنه لم يعرض، بشكل يدعو إلى التقدير، إسهاماته التنظيرية فى الموضوع فيما يتخطى ماكان قد قام به فى المقالات السابقة. والقيمة الأساسية لهذا الكتاب - كما يرى البعض - تكمن فى الأسلوب الواضح والمقنع الذى قدّم به المجتمعات كأنساق فاعلة.

الحتمية الثقافية Cultural Determinism :

لقد أنكر وايت وجود الإرادة الحرّة ونظر إلى السلوك البشرى على أنه سلوك حتمى بشكل صارم. وفيما عدا ذلك فإن أقوى ما يحتم هذه السلوكيات هو المحدّدات الثقافية. وفى هذا الصدد فإن ما يعتبره الفرد تصرفه الشخصى، ينظر إليه الأنثروبولوچيون بشكل واقعى على أنه نتيجة لتفاعل قوىً ثقافية. (1949b,Chapter 7) وهذه القوى الثقافية مغروسة بعمق شديد فى نفس الفرد بحيث يخفق عادة فى إدراك مصدرها الخارجى.

وقد كان وايت خصمًا عنيداً لنظرية التاريخ عن "الرجل العظيم" وذهب فى ذلك إلى أن مصادفة وجود شخص ما عند النقطة البؤرية للقوى الثقافية التاريخية يمكن أن تجعل من الشخص ذى المواهب الطبيعية العادية"عبقريًا" أو "بطلاً" (1949b,Chapter 8). وقد أشار فى هذا الصدد إلى الأمثلة العديدة من الاختراعات المتزامنة ولكنها مستقلة عن بعضها كشاهد على أن عناصر التقدم فى الثقافة يمكن أن تفهم على نحو أفضل بكثير على أنها مواطن النضج فى نموّ الثقافة بدلاً من تفهمها على أنها الأعمال المستلهمة للأفراد الموهوبين بشكل غير عادى.

هذه الرؤى وغيرها التى عبّر عنها وايت بشكل واضح المعالم فى مجموعة مقالاته تحت عنوان "*علم الثقافة* *The Science of Culture*"(1949 b) دفعت به إلى صدام حادّ مع زملائه فى مجال التخصّص - الذين نظروا إلى موضوع تخصصهم نظرة أقل حتمية وأكثر إنسانية.

المادية الثقافية Cultural Materialism :

رغم أن هذا المصطلح قد تمّت صياغته على يد مارڤين هاريس Marvin Harris (1968) فإن ليزلي وايت هو الذى تبنّى هذا التناول فى الأنثروبولوجيا وهو الذى ناصره ودعمه بقوّة إلى حد كبير. ورغم أننا لا نستطيع فى هذا الصدد، أن نصف وايت بأنه ماركسي على وجه التحديد (وأحد أسباب ذلك هو تجنّبه المذهب الجدلى) فإن تأثّره بماركس كان أمرًا مؤكدًا، كما أنه كان من أنصار الماديّة التاريخية حتى وإن لم يكن من أتباع المادية الجدلية. وقد نظر وايت إلى التكنولوجيا على أنها تشكل أكبر مجموعة من العوامل التى تحدد النظم الثقافية، ووصل فى هذا المجال إلى حدّ القول بأنه من الممكن أن نعتبر المجتمعات الإنسانية أساليب اجتماعية لتشغيل نظم تكنولوجية (1949a). وبهذا يكون قد تقبل وجهة النظر الماركسية التى يرى أنصارها أن المكونات السوسيولوجية والأيديولوجية للمجتمع يمكن اعتبارها بمثابة بنية فوقية أقيمت على أساس تكنولوجى واقتصادى. وفيما يخصّ تطبيق وايت لتناوله الثقافى العلمى على الشروح المتعلقة بالثقافة بوجه عام، كان رأيه هو أن تأثير البيئة يشكل عاملاً مشتركًا ومن ثمّ فبالإمكان استبعاده من المعادلة. ومع ذلك فإنه لم ينصرف بذهنه عن قيمة البيئة بوصفها شرطًا من الشروط الأساسية للوجود، من حيث إنها لعبت، بوصفها هذا، دورًا هامًا فى تشكيل ثقافات معينة. ورغم أن عمله، هو نفسه، لم يكن على وجه الدقّة، عملاً عن البيئة، فإن وجهة نظره كانت فى عمومها تميل إلى هذا النوع من التناول. بل إنها كانت تشكل فى الواقع دافعا مؤكدا، لبعض تلاميذه، مثل إلمان ر. سرڤيس Elman R. Service (1960) ومارشال د. سالنز Marshall D. Salhins (1958) ممن تابعوا المسيرة إلى حدّ الإسهام فى حقل علم البيئة الثقافى. وفى هذا السياق فإن وايت كان له أثر فى ظهور نوع من الدراسات التى أصبحت تعرف بشكل عام تحت اسم "علم الآثار الجديد" (Willey and Sabloff 1974)، وذلك من خلال تلميذ آخر من تلاميذه هو لويس ر. بنفورد

Lewis R. Binford (1972) الــذى استوعب ما توصّل إليه وايت فى الاتجاه التطورى وفى المادية الثقافية.

وإلى جانب التعامل مع القضايا النظرية العريضة أسهم وايت فى حلّ مشكلات أنثروبولوجية محدّدة. وعلى سبيل المثال فعند التوسّع فى نظرية كان إ. ب. تايلور قد اقترحها فى البداية، نجد وايت (1948a) يشرح أصل تحريم العلاقة الجنسية بالمحارم، وذلك عندما يقول إن امتداد شبكة العلاقات القرابية، مثلما يحدث حين يتمّ الزواج خارج الأسرة النووية، يضفى ميزة واضحة من خلال البقاء (طول العمر) على المجتمعات التى تتعامل مع هذا النوع من الزواج. كذلك كان وايت (١٩٣٩) أول من دافع عن الأشكال الغريبة من نظم القرابة المعروفة لدى قبائل كرو وأوماها Crow and Omaha وأنها لا تستدعى الاستغراب، كما كان يرى البعض، لأنها تعبير من خلال المصطلحات الفنية عن تنظيم عشائرى قوى مؤداه أن العشيرة التى كان ينتمى إليها شخص ما تفوق فى أهميتها فى بعض الأحيان الجيل الذى ينتمى إليه.

وكـــان وايت ينظر دائمًـــا إلى الأنثروبولوچيا على أنها علم، كما كان يهتم اهتماماً خاصاً بفلسفة العلم. وفى دراسته تحت عنوان "العلم هو التعامل بالمنهج العلمى *Science is Sciencing*" (1938) كانت مقولته هى أن العلم هو تناول موحد لدراسة الطبيعة يتخذ أسماء متعددة (على سبيل المثال : الفيزياء، علم البيولوچيا، الأنثروبولوچيا) عند تطبيقه على أنواع مختلفة من الظواهر. وأكثر من ذلك فإن الأساليب الثلاثة الكبرى (الأساسية) التى تتبعها دراسة الظواهر المتصله بكل علم : التاريخية، الوظيفية، التطورية، هى جميعها طرق معترف بها ومتكاملة وليست متعارضة بعضــهـا مع بعض بأى شكل من الأشكال. فإن هذا الحكم ينطبق حسبما يقول، على الأنثروبولوچيا بقدر ما يصدق على الچيولوچيا، وأنه ينتظر بفارغ الصبر ذلك اليوم الذى يعترف فيه أهل التخصص فى مجال دراسته بهذه الحقيقة (1945b).

وقد قدّم وايت فى دراسته تحت عنوان "التوسّع فى مجال العلم *The Ex-*

"pansion of the Scope of Science

(1947 b) أول نظرية كبرى عن تنسيب العلوم منذ أن طرق هذه المشكلة كل من كونت Comte وسبنسر Spencer في القرن التاسع عشر. وكانت نظرية وايت هي تلك العلوم قد تطورت ونضجت أولاً بحيث استطاعت أن تعالج الظواهر البعيدة جداً... عن محددات السلوك البشري. وهكذا فإن علم الفلك الذي يتعامل مع النجوم البعيدة كان أول العلوم التي ظهرت والتي لقيت قبولاً قبل غيرها، بينما آخرها ظهوراً وقبولاً كان علم الثقافة - العلوم التي سبقت غيرها في التطور والتي بكّرت في النضج هي

تلك التي تتعامل مع ظواهر أبعد من الذي يدرس المحدّدات الأكثر حميمية ودقة ومع ذلك أقواها صلة بالسلوك البشري. وفي الحقيقة فإن هذا العلم الجديد قد بلغت درجة إزعاجه للناس، فيما يخصّ وجهات نظرهم المعتادة إزاء أنفسهم وإزاء سلوكهم، أنه حين قُدم إليهم للمرة الأولى قوبل أولا بالرفض وبالمعارضة. وفي الحقيقة فإن عدم انتهاء الصراع الذي خاضه وايت ليجد مكاناً لعلم الثقافة على صفحة العلوم يمكن أن يعدّ مقياساً للدقّة التي تميّز بها في تفهمه لتطور العلوم.

المؤلف : Robert L. Carneiro

المترجم : أمل حركة

WOKS BY Leslie Alvin

SUPPLEMENTARY BIOGRAPHY

(1932*a*) 1973 *The Acoma Indians*. Glorieta, N.M.: Rio Grande Press. → Includes a new publisher's preface and a new foreword by the author.

1932*b* *The Pueblo of San Felipe*. American Anthropological Association, Memoir No. 38.

(1935) 1969 *The Pueblo of Santo Domingo, New Mexico*. New York: Kraus.

1937 WHITE, LESLIE A. (editor) Extracts from the European Travel Journal of Lewis H. Morgan. Rochester Historical Society, *Publications* 16:219–389.

1938 Science is *Sciencing*. *Philosophy of Science* 5:369–389. → Reprinted in *The Science of Culture*, 1949*b*, pp. 3–21.

1939 A Problem in Kinship Terminology. *American Anthropologist* 41:566–573.

1940*a* WHITE, LESLIE A. (editor) *Pioneers in American Anthropology: The Bandelier–Morgan Letters 1873–1883*. 2 vols. Albuquerque: Univ. of New Mexico Press.

1940*b* The Symbol: The Origin and Basis of Human Behavior. *Philosophy of Science* 7:451–463. → Reprinted in *The Science of Culture*, 1949*b*, pp. 22–39.

(1942) 1969 *The Pueblo of Santa Ana, New Mexico*. New York: Kraus.

1943 Energy and the Evolution of Culture. *American Anthropologist* 45:335–356. → Reprinted in *The Science of Culture*, 1949*b*, pp. 363–393.

1945*a* "Diffusion vs. Evolution": An Anti-evolutionist Fallacy. *American Anthropologist* 47:339–356.

1945*b* History, Evolutionism, and Functionalism: Three Types of Interpretation of Culture. *Southwestern Journal of Anthropology* 1:221–248.

1946 Kroeber's *Configurations of Culture Growth*. *American Anthropologist* 48:78–93.

1947*a* Evolutionary Stages, Progress, and the Evaluation of Cultures. *Southwestern Journal of Anthropology* 3:165–192.

1947*b* Evolutionism and Anti-evolutionism in American Ethnological Theory. *Calcutta Review* Series 3 104:147–159; 105:29–40, 161–174.

1947*c* Evolutionism in Cultural Anthropology: A Rejoinder. *American Anthropologist* 49:400–413.

1947*d* The Expansion of the Scope of Science. *Journal of the Washington Academy of Sciences* 37:181–210. → Reprinted in *The Science of Culture*, 1949*b*, pp. 55–117.

1948*a* The Definition and Prohibition of Incest. *American Anthropologist* 50:416–435. → Reprinted in *The Science of Culture*, 1949*b*, pp. 303–329.

1948*b* Man's Control Over Civilization: An Anthropocentric Illusion. *Scientific Monthly* 66:235–247. → Reprinted in *The Science of Culture*, 1949*b*, pp. 330–359.

1949*a* Ethnological Theory. Pages 357–384 in R. W. Sellars, V. J. McGill, and Marvin Farber (editors), *Philosophy for the Future: The Quest of Modern Materialism*. New York: Macmillan.

(1949*b*) 1969 *The Science of Culture: A Study of Man and Civilization*. 2d ed. New York: Farrar, Straus. → A paperback edition was published in 1958 by Grove.

1954 Review of A. L. Kroeber, *The Nature of Culture*, and Clyde Kluckhohn and A. L. Kroeber, *Culture: A Critical Review of Concepts and Definitions*. *American Anthropologist* 56:461–468.

1959*a* The Concept of Culture. *American Anthropologist* 61:227–251.

1959*b* *The Evolution of Culture: The Development of Civilization to the Fall of Rome*. New York: McGraw-Hill.

1959 Morgan, Lewis Henry *The Indian Journals: 1859–62*. Edited by Leslie A. White. Ann Arbor: Univ. of Michigan Press.

1962 *The Pueblo of Sia, New Mexico*. Smithsonian Institution, Bureau of American Ethnology, Bulletin, Whole no. 184. Washington: Government Printing Office.

1963 The Ethnography and Ethnology of Franz Boas. *Texas Memorial Museum Bulletin*, No. 6.

1964 Morgan, Lewis Henry *Ancient Society*. Edited by Leslie A. White. Cambridge, Mass.: Harvard Univ. Press.

1966 *The Social Organization of Ethnological Theory*. William Marsh Rice University, Rice University Studies 52, No. 4.

1968*a* Bandelier, Adolph. Volume 1, page 512 in *International Encyclopedia of the Social Sciences.* Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.

1968*b* Culture: III. Culturology. Volume 3, pages 547–557 in *International Encyclopedia of the Social Sciences.* Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.

1968*c* Morgan, Lewis Henry. Volume 10, pages 496–498 in *International Encyclopedia of the Social Sciences.* Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.

1973 White, Leslie A.; and Dillingham, Beth *The Concept of Culture.* Minneapolis, Minn.: Burgess.

1975 *The Concept of Cultural Systems: A Key to Understanding Tribes and Nations.* New York: Columbia Univ. Press.

SUPPLEMENTARY BIBLIOGRAPHY

Barnes, Harry Elmer 1960 Pages xi–xlvi in Gertrude E. Dole and Robert L. Carneiro (editors), *Essays in the Science of Culture in Honor of Leslie A. White.* New York: Crowell.

Beardsley, Richard K. 1976 An Appraisal of Leslie A. White's Scholarly Influence. *American Anthropologist* 78:617–620.

Binford, Lewis R. 1972 *An Archaeological Perspective.* New York: Seminar Press.

Durkheim, Émile (1895) 1958 *The Rules of Sociological Method.* 8th ed. Edited by George E. G. Catlin. Glencoe, Ill.: Free Press. → First published in French.

Harris, Marvin 1968 *The Rise of Anthropological Theory.* New York: Crowell.

Hatch, Elvin 1973 *Theories of Man and Culture.* New York: Columbia Univ. Press.

Kroeber, A. L. 1917 The Superorganic. *American Anthropologist* 19:163–213.

Kroeber, A. L. 1948 White's View of Culture. *American Anthropologist* 50:405–415.

Lowie, Robert H. 1946 Evolution in Cultural Anthropology: A Reply to Leslie White. *American Anthropologist* 48:223–233.

Sahlins, Marshall D. 1958 *Social Stratification in Polynesia.* Seattle: Univ. of Washington Press.

Sahlins, Marshall D. 1976 *Culture and Practical Reason.* Univ. of Chicago Press.

Service, Elman R. 1960 Sociocentric Relationship Terms and the Australian Class System. Pages 416–436 in Gertrude E. Dole and Robert L. Carneiro (editors), *Essays in the Science of Culture in Honor of Leslie A. White.* New York: Crowell.

Steward, Julian H. 1960 Review of Leslie A. White, *The Evolution of Culture. American Anthropologist* 62:144–148.

Willey, Gordon R.; and Sabloff, Jeremy A. 1974 *A History of American Archaeology.* San Francisco: Freeman.

وايتنج، جون و.م.

John W.M.، Whiting

ولد جـــــون و.م. وايتنج فى تشيلمارك Chilmark ماساشوستس عام ١٩٠٨ وذلك فى جزيرة "كرمة مارتا" Martha's Vineyard. وبعد تخرجه فى كلية ييل Yale عام ١٩٣١ جرّب التدريس فى مدرسة كهنوتية ومدرسة ثانوية قبل أن يقرّر الحصول على درجة الدكتوراه فى الاجتماع ، من قسم كانت تسيطر عليه التقاليد الأنثروبولوجية التى أرساها كل من : وليام جريهام سمنر W.G. Sumner وألبرت ج. كلر A.G. Keller. ولقد حصل وايتنج على درجة الدكتوراه عام ١٩٣٨، وقامت أطروحته على الدراسة الحقلية فى غينيا الجديدة. وهذا، ما مهّد لظهور هويته المهنية كدارس لنمو الطفل وتنشئته الاجتماعية دامجًا فى ذلك بين وجهتى النظر الأنثروبولوجية والسيكولوجية (١٩٤١).

وفيما بين عامى ١٩٣٨ و ١٩٤٧ (باستثناء فترة عمل فيها كضابط بحرى)، عمل وايتنج باحثا فى" معهد ييل للعلاقات الإنسانية". ولقد كانت أعماله أبعد من أهداف المعهد فى تطوير علم السلوكيات وذلك عن طريق تشجيع البحث البينى Interdisciplinary. خلال تلك الفترة وسّع وايتنج من خلفيته فى مجال الأنثروبولوچيا بالاستمرار فى التعاون مع أستاذه چورج ب. ميردوك G. P. Murdock، ومع زميله فى الدراسة كليلان سى. فورد Clellan.S.Ford ومع برونيسلاف مالينوفسكى B. Malinowski أثناء وجوده فى ييل. كما تلقى تدريبات فى مجال التحليل النفسى على يد إيرل زين Earl Zinn وجون دولارد J. Dollard، وفى مجال نظرية سلوكيات التعلم التى تم تطويرها، آنذاك، على يد كلارك ل. هَلْ C.L. Hull ونيل ميلر Neal E. Mille. وفى محاولة من وايتنج لتوسيع مجال منهجه ساعد فى وضع تخطيط لتحليل الثقافة الذى استخدم فى ملفات مناطق العلاقات الإنسانية Human Relations Area Files، كما تعاون مع إيرڤين ل. تشايلد I.L.Child فى إجراء دراسات عن

الاستجابات الإنسانية للإحباط ولتحقيق الهدف، و لملامح وخصائص الثقافات الإنسانية. كما قام وايتنج بالاشتراك مع أو. هوبرت مورر O.Hobart Mowrer بإجراء تجربة على سلوك الحيوانات. ورغم التباين الشديد في المنهج، فإن هذه الأنشطة المختلفة كان لها هدف مشترك لاختبار الأفكار المتصلة بالخلفية النظرية المتنوعة لـ "وايتنج".

وخلال عمله كباحث في هيئة الأبحاث الخاصة بمركز "أيوا" Iowa لرعاية الطفل من عام ١٩٤٧ وحتى عام ١٩٤٩، تعاون وايتنج مع روبرت ر.سيرز Robert R. Sears ومع فينسنت نوليس Vincent Nowlis في إجراء دراسات تدور جميعها حول تنمية الأطفال. ولقد أمضى وايتنج بقية حياته الأكاديمية في جامعة هارفارد Harvard، حيث عمل في المقام الأول في مختبر التعليم للدراسات العليا والخاص بالتنمية البشرية، وكان رئيسًا له من عام ١٩٥٣ وحتى عام ١٩٦٣، ثم التحق بعد ذلك بقسم العلاقات الاجتماعية والأنثروبولوچية. ومن عام ١٩٦٦ وحتى عام ١٩٧٣ ترأس وحدة الأبحاث الخاصة بتنمية الطفولة التابعة لجامعة نيروبى، حيث أشرف على الأبحاث الخاصة بالحياة الأسرية لدى الجماعات المختلفة فى كينيا. ولقد تميّز أسلوبه فى العمل بتعاونه باستمرار مع زملائه ومع تلامذته فى الدراسات العليا، وعلى وجه الخصوص، مع زوجته الباحثة الأنثروبولوچية بياتريس ب. وايتنج Beartice B. Whiting.

ولقد كشف الجزء الأهم من أعمال وايتنج بدءًا من كتاب "تدريب الطفل وشخصيته Child Training and Personality" (وايتنج وتشايلد ١٩٥٣) عن الروابط العديدة في سلسلة الأمور التالية : بيئة المجتمع وتاريخه تشكل نظم المحافظة على ذلك. وهذه النظم هى التى تؤثر فى ظروف النمو التى يمر بها الطفل فى مراحله العمرية كافة، وعلى السمات الشخصية التى تأسّست عليها، رغم أنها تتعدل تحت تأثير الضغوط اللاحقة التى تؤدى إلى تأثير قسرى على الأنظمة الإسقاطية المعبّرة للثقافة. وهذه الأنظمة الإسقاطية المعبّرة تتضمن العادات التى تستطيع - نظرا

لعدم ارتباطها بالضرورة باحتياجات الموجود الإنسانى - أن تيسر التعبير الرمزى للبواعث الشخصية أو تشجِّع إسقاط الخصائص الشخصية على تفسير العالم الخارجى. هذا، ولم ينكر وايتنج أيا من هذه التأثيرات أو نقيضها على المتغيّرات المختلفة فى هذه السلسلة، وإنما بحث عن كيفية تطوير افتراضات محدّدة قابلة للاختبار حول هذه السلسلة المتتالية، وأن يجد لهذه الظاهرة فى مجال الأنثروبولوچيا السيكولوچية احتمالات عدم التصديق أو تكرار الاختبار التى يعتمد عليها التعميم العلمى الواسع.

وقد كرّس وايتنج وزملاؤه أنفسهم لدراسة أصول نظم التحكم الذاتى المختلفة لدى الراشدين التى ترجع إلى مرحلة الطفولة . ففى كتاب " *السحر الأسود ،الخطيئة والأنا العليا* "*Sorcery, Sin and the Super-ego* (1959) وضع وايتنج الخطوط العريضة لآليات التحكّم الذاتى : الخوف من الآخرين (تحت تأثير القلق الشديد حيال العدوان) الخوف من الآلهة والأشباح (تحت تأثير تعامل الفرد مع التبعية والاستقلال عبر تاريخه) والضمير (تحت تأثير التوحّد مع الأهل). بينما سلسلة من الدراسات الأخرى ركزت على التوحّد وعلى الصراعات بين الذكور حول الهوية الجنسية. وفى هذا السياق فإن الشخص يميل إلى التوحّد مع أولئك الذين يسيطرون على الموارد السيكولوچية والمادية التى يتوق إليها. وقد كان مصطلح " الوضع الذى يتمناه المرء " Status envy هو المصطلح الذى استخدمه وايتنج ليعبِّر به عن الدافع وراء التوحّد المذكور. كذلك فإن رعاية الأطفال الصغار فى بعض المجتمعات، ومن ثمّ العناية بالقوة المباشرة على الموارد التى يرغبون فيها - تكاد تكون محصورة فى أيدى النساء . ومن هنا فإن التوحّد الأنثوى الذى نما بهذه الطريقة فى الذكور - إذا لم يحل محلّه بديل لاحقًا - يدعم مثل هذا السلوك الذكورى للبالغين على نسق ممارسات "الكوفاد" (وهى عادة بدائية تنتشر عند الولادة، حيث يتظاهر الزوج بالوضع ويلازم الفراش كزوجته معزولاً عن الجميع - المترجم). وفى هذا الصدد، فإن عديداً من المجتمعات

التى تفضل معاملة الفتيان الذكور فى وقت مبكّر على نسق التوحّد الأنثوى طورت أنواعا من المحاكمات التعذيبية والطقوس كشعائر لتدشينهم فى مرحلة الرجولة. ولا توجد هذه العادات فى الأغلب حيث لا توجد ممارسات " الكوفاد ". وفى المجتمعات الأقلّ ميلاً نحو ظاهرة التوحّد المبكر للطفل مع أمه، تكاد تختفى شعائر التدشين. وفى هذا الصدد، فإن الحقائق والنظريات التى تنبثق عن هذا البحث تتعدى مسألة آليات ضبط النفس، كما تحمل جوانب أشمل من الثقافة، وبخاصة ما يتعلق بالعلاقات بين الجنسين والوظائف العملية للطقوس الدينية (Munroe & Whiting,1979،Munroe).

وتتصل بحوث وايتنج بشكل مباشر بالبيولوچيا فى نقطتين : أولاً، فى اعتبار أن نظم الرعاية تؤثر فى الممارسات الخاصة بالتنشئة الاجتماعية حيث يتتبّع مدى أهمية عملية التغذية، فإذا كانت نسبة البروتين قليلة فى وجبات جماعة معينة، فإن بقاء الأطفال على قيد الحياة يحتاج فترة رعاية طويلة. ثانيا – فى دراسته حول تأثير بعض ممارسات التنشئة الاجتماعية فى الخصائص التى تظهر فى مرحلة لاحقة، كان أحد الاكتشافات المدهشة هو التأثير الهائل للتوتر الذى يتعرّض له الأطفال على قوامهم، وعلى بعض جوانب أخرى محتملة من نموهم الفيزيقى (Landauer & Whiting 1979)

ورغم أصالته الشديدة فى مجال النظرية، كان وايتنج يلح دائما على تأكيد أهمية الاختبار التجريبى. هذا وتدور كتاباته عن المنهج حول ارتباط العلاقات المتبادلة بين الثقافات المتقاطعة بأصولها الإثنوچرافية من ناحية وارتباط العلاقات بين الأفراد وأصولها المتمثلة فى الملاحظة المنهجية المطردة للسلوك الفردى، كما أنها تتضمن إسهاماته فى العديد من الدراسات المتنوعة فى كلا المجالين.

المؤلف : Irvin L. Child
المترجم : أمل حركة

WORKS BY WHITING

1941 *Becoming a Kwoma: Teaching and Learning in a New Guinea Tribe*. New Haven: Yale Univ. Press.

1953 WHITING, J. W. M.; and CHILD, IRVIN L. *Child Training and Personality: A Cross-cultural Study*. New Haven: Yale Univ. Press. → A paperback edition was published in 1962.

1959 Sorcery, Sin and the Superego: A Cross-cultural Study of Some Mechanisms of Social Control. Volume 7, pages 174–197 in Marshall R. Jones (editor), *Nebraska Symposium on Motivation*. Lincoln: Univ. of Nebraska Press.

1964 Effects of Climate on Certain Cultural Practices. Pages 511–544 in Ward H. Goodenough (editor), *Explorations in Cultural Anthropology*. New York: McGraw-Hill.

1968*a* Methods and Problems in Cross-cultural Research. Volume 2, pages 693–728 in Gardner Lindzey and Elliot Aronson (editors), *The Handbook of Social Psychology*. Reading, Mass.: Addison-Wesley.

1968*b* Socialization: II. Anthropological Aspects. Volume 14, pages 545–551 in *International Encyclopedia of the Social Sciences*. Edited by David L. Sills. New York: Macmillan and Free Press.

1970 WHITING, J. W. M.; and WHITING, B. B. Methods for Observing and Recording Behavior. Pages 282–315 in Raoul Naroll and Ronald Cohen (editors), *A Handbook of Method in Cultural Anthropology*. Garden City, N.Y.: Natural History Press.

1975 WHITING, B. B.; and WHITING, J. W. M. *Children of Six Cultures: A Psycho-cultural Analysis*. Cambridge, Mass.: Harvard Univ. Press.

1979 LANDAUER, THOMAS K.; and WHITING, J. W. M. Correlates and Consequences of Stress in Infancy. In Robert L. Munroe, Ruth H. Munroe, and B. B. Whiting (editors), *Handbook of Cross-cultural Human Development*. New York: Garland. → Forthcoming book.

1979 MUNROE, ROBERT L.; MUNROE, RUTH H., and WHITING, J. W. M. Male Sex-role Resolutions. In Robert L. Munroe, Ruth H. Munroe, and B. B. Whiting (editors), *Handbook of Cross-cultural Human Development*. New York: Garland. → Forthcoming book.

Ethos 1, no. 4 1973. → This issue, dedicated to Whiting on his 65th birthday, contains papers by 18 of his former students and suggests the variety of his interests and influence.

قائمة المصطلحات (A)

إعداد أحمد أبو زيد

A

Abrasion	القشط، الحك
Absolute	مطلق – مستبد
Absolutism	مذاهب السلطة المطلقة
Abstract	مجرد
Absurdity	عبث
Acceleration	تسارع
Acceptability (in diffusion)	التقبل (فى ظاهرة الانتشار)
Accessory groups	الجماعات الثانوية أو التابعة
Acculturation	التطبيع الثقافى
Acheulian Culture	الثقافة الأشولية
Achieved (status)	(المنزلة الاجتماعية) المكتسبة
Acoustic phenomena	الظواهر الصوتية
Acquired	مكتسب
Acquisitions	مكتسبات
Adaptation	تكيف
Adhesion (social)	التشايع (الاجتماعى)
Affines	الأصهار
Affinity	روابط المصاهرة

Afrikaaners	الأفريكانز (هولنديون فى جنوب إفريقيا)
Ahistoric	لا تاريخى
Atemporal	لا زمنى
Australian Aboriginese	سكان أستراليا الأصليون
Authority	سلطة
Avoidance Relationship	علاقات التحاشى
Avuncular Residence	الإقامة مع الخال
Avunculate	علاقة الخال بابن الأخت
Social Awareness	الفطنة الاجتماعية
Axiomatic Media	المبادئ الرابطة
Aximos	بديهيات
Axis of Symmetry	محور التماثل

B

Bigamy	الجمع بين زوجتين
Bigotry	التطرف فى الدين
Bisexual	مزدوج الجنس
Blade-bone	لوح الكتف
Blades	نصال – أسلحة
Blasphemy	التجديف فى الدين
Blood Feud	عداوة الدم (الثأر)

C

Contiguity	فن الخط
Categorical Imperative	الأمر المطلق
Categorical Judgment	الحكم المطلق
Complex (societies)	(مجتمعات) مركبة – معقدة

Concepts	مفاهيم
Configurations (Cultural)	صيغ ثقافية (عند روث بنديكت)
Conventional	تقليدى - مألوف
Complementary Opposition	التقابل التكامل
Cenozoic Era	الدور الحيوانى الحديث (الشينوزوى)
Cephalasis	المدرع الرأسى (من الفقاريات)
Cephalic Index	النسبة أو الدليل الرأسى
Ceremonies	مراسيم
Chance	المصادفة - الاتفاق
Chaos	العماء
Character (Natilonal)	الخلق (القومى)
Charm	تعويذة
Chip	شظية
Chromological (Age)	(العمر) الزمنى
Chromological Arrangement	الترتيب الزمنى
Chromology	علم التاريخ
Cecisbeism	نظام الأزواج الثانويين
Classificatory (Kinship Terms)	تصنيفية (مصطلحات قرابة)
Coercion	القهرة - القسر
Coercive Power	قوة الإلزام
Coefficient	معامل
Coefficient of correlation	معامل الارتباط
Coefficient of reliability	معامل الثبات
Coefficient of Validity	معالم الصدق
Coherence	التئام

Cohesion	تماسك ، التصاق
Collaboration	معاونة ، مشاركة
Collateral	مناظر ، مجانب
Collaterals	الأقارب المجانبون (مثل الأعمام)
Colour Bar	الحاجز اللونى
Coloureds	الملونون
Commutation	تخفيف العقوبة
Conflit des interppretations	صراع التأويلات
Contiguity	مطابقة
Confirmity (Social)	تواؤم (اجتماعى)
Consanguinity	روابط الدم
Contingent	حادث ، ممكن
Contiguity	تجاور
Coordination	تناسق
Correlation	ترابط
Craniology	علم الجماجم
Criterion	محك
Cross - breed	السلالة المهجنة
Connotation	المعنى الرمزى - الأسطورى - المستتر
Correspondence	تناظر

D

Denotation	المعنى الحرفى
Descent	الأصل - النسب
Diachronic	تعاقبى
Disequilibrium	اختلال التوازن

E

Embodiment	تجسيد
Emigration	نزوح – هجرة
Emphatic	نزوعية
Endogamy	زواج داخلى
Eocene	العهد الأيوسينى – عهد الفجر الحديث
Eoliths	الأحجار الفجرية
Exogamy	زواج خارجى
Explicate Abstract	تجريد واضح وتفسيرى

F

Face Validity	الصدق الظاهر
Filiation	البنوة
Form	الصورة – الشكل
Figuration	تشكيل – تشكل
Figurines	التماثيل الصغيرة
Fission	انشقاق
Fusion	التحام
Fission and Fusion	مبدأ الانشقاق والالتحام (نظام القرابة)
Flake Tools	الأدوات المشطوفة
Focused (interview)	(المقابلة) البؤرية
Fossil Man	الإنسان الحفرى
Functionalism	النزعة الوظيفية

G

Ghost Marriage	زواج الشبح (جنوب السودان)
Genealogy	شجرة النسب

Generic Idesa	المعانى الكلية
Genetic Anthropology	الأنثروبولوچيا النشوئية
Group Consciousness	الوعى الجمعى
Gynecocracy	حكومة النساء
Gemeinscaft	مجمع محلى
Gibbon	الشق (من السعادين)
Gnostics	اللادريون
Gnosticism	مذهب اللاأدرية

H

Habitat	موطن (عند داوِيل فورد)
Habitation	مسكن
Harmonic Analysis	تحليل توافقى
Harmony	انسجام – توافق
Higher Primates	الرئيسات العليا
Historicism	النزعة التاريخية
Hominid - Hominidae	البشر
Homology	تناظر
Household	أهل البيت – المنزل
Hypergamy	المغالاة فى تعدد الزوجات

I

Illicit	محظور – محرم
Illegitimacy	اللاشرعية
Imparity (social)	تفاوت (اجتماعى)
Imperatives	قواعد إلزامية – أساسيات – ضروريات
Inarticulate	المفصليات

Innovative	مبتكر – إبداع
Interdependence (functional)	تساند (وظيفى)
Intermittent Generations	الأجيال المتقطعة (الأجداد والأحفاد)

J

Joint Family	العائلة المشتركة
Joking Relationships	علاقات المزاح
Juridication	التقاضى
Jural	قانوني – شرعى
Justification	تبرير
Juridical	شرعى ، قضائى
Jurisprudence	علم الفقه
Judicatory	قضائى

K

Khamesian Era	الطور الكامازى
Kinship	قرابة
Kith	أنسباء
Kinsfolk	الأهل
Kinsmen	أقارب عاصبون

L

Levirate	الزواج من أرملة الأخ
Lineage	البدنة
Lake Dwellers	سكان البحيرات
Law of conservation of energy	قانون عدم فناء الطاقة
Law of equivalence	قانون التكافؤ
Legal Procedures	إجراءات قانونية

Legal sanctions	جزاءات قانونية
Ligeance	ولاء
Litigation	مخاصمة ، مقاضاة
Lower Paleolithic	العصر الحجرى القديم الأدنى

M

Morpheme	وحدة صوتية
Megdalenian Period	الفترة المجدلينية
Marginal Groups	جماعات هامشية
Mass Interview	مقابلة جماعية
Mater Familias	رئيسة العائلة
Matriarchy	النظام الأمومى
Maternymic group	جماعة أمومية

N

Nativism	الفطرة
Nativistic Movements	الحركات الأهلية
Negroid	السلالات الزنجية
Neoliths	الأحجار الحديثة
Neolithic Age	العصر الحجرى الحديث

O

Opposition	تقابل
Oppositions Binaires	ثنائية التضاد – تقابلات ثنائية
Ostensive	الظاهر = البادى
Outcastes	المنبوذون (فى الهند)

P

Paradigms	قواعد مثالية

Perspective	إرشادى – توجيهى
Pronouncement	قرار – رأى قاطع وصريح
Prosopogra phy	السيرة الذاتية الجماعية
Paradigmatic	علاقات استبدال يحل بعضها مكان بعض
Phoneme	الفونيم – أصغر عنصرى صوتى
Pensee Sauvage	التفكير الوحشى – الفج
Participant Observation	الملاحظة عن طريق المشاركة
Pater Familias	رئيس العائلة
Pedigree	أرومة
Penalty	عقوبة
Penance	كفارة
Penitence	التوبة
Philology	فقه اللغة
Postulates	مسلمات
Premises	مقدمات
Prognostic Type	نموذج تنبؤى
Protectorates	المحميات السياسية

R

Realization	التحقق
Ratification	التصديق على
Recessive character	الصفة المتنحية
Recurrent	معاود
Recurrent Migration	الهجرة المعاودة (المتكررة)
Rationalism	عقلانية
Regression, (cultural)	تراجع (ثقافى)

Relics (cultural)	مخلفات (ثقافية)
Remorse, Repentance	الندم
Renunciation	النبذ
Retribution	جزاء
Retrogradation	تدهور
Retrogression	تقهقر، نكوص
Rudimentary	أثرى

S

Segmentary System	النسق الانقسامى
Semantic System	نسق دلالى
Semantic	دلالى
Segmentation	الانقسام
Standardization	تقنين
Simultaneous	متزامن
Sororate	الزواج من أخت الزوجة المتوفاة
Specification	تعيين ، تخصيص
Superorganic	ما فوق العضوى
Supernatural Beings	كائنات إعجازية
Symbiosis	التكافل
Symmetry	التماثل، مضاهاة
Synchronic	التزامنية

T

Teknonymy	مناداة الشخص بالإشارة إلى أولاده
Testimony	دليل ، شهادة
Tolerance	التسامح

Toleration	قوة التحمل
Transgression	الانتهاك ، التعدى
Twinning	الجدل ، الفتل
Transformations	تحولات

U

Ultimogeniture	توريث الابن الأصغر
Unification	توحيد
Uniform	مطرد ، على وتيرة واحدة
Uniformity	اطراد
Unilateral	ذو الجانب الواحد
Unilineal (evolution)	(التطور) فى خط واحد
Uterines	ذوو الأرحام

V

Verisimilitude	مشاكلة
Variables	متغيرات
Variations	تحويرات
Varity	ضرب
Validity	صحة ، صدق

W

Witchcraft	الشعوذة (عند الأزاندى)

Z

Zoolatry	عبادة الحيوان

المترجمون فى سطور :

١ - أحمد أبو زيد (مراجع) :

- أستاذ الأنثروبولوچيا المتفرغ - كلّية الآداب، جامعة الإسكندرية.

تلقى تعليمه بجامعة الإسكندرية (ليسانس فلسفة واجتماع ١٩٤٤) ثم بجامعة أكسفورد B.Lit (1953), D. Phil (1956) فى الأنثروبولوچيا الاجتماعية.

- أنشأ قسم الأنثرولوچيا بكلية الآداب جامعة الإسكندرية عام ١٩٧٤ .

- خبرات بحثية ميدانية واسعة ومتنوعة فى صحارى مصر (الصحراء الغربية - شمال وجنوب سيناء - الواحات الخارجة - الواحة البحرية) وصحارى شمال إفريقيا والشرق الأوسط بتكليف من مكتب العمل الدولى بجنيف (ليبيا - الجزائر - المغرب - الأردن - العراق - سوريا - المملكة العربية السعودية - إيران).

- دراسات ميدانية فى أفريقيا جنوب الصحراء (جنوب السودان - يوغندا - تنزانيا - نيجيريا - سيراليون).

أهم أعماله :

- البناء الاجتماعى جزآن (المفهومات - الأنساق).
- المدخل إلى البنائية.
- الإنسان والثقافة والمجتمع - جزآن.
- المجتمعات الصحراوية فى مصر - شمال سيناء.
- الاهتمام حالياً بالدراسات المستقبلية - كتاب (المعرفة وصناعة المستقبل).

كتب مترجمة :

- الأنثروبولوچيا الاجتماعية - تأليف إ.إ. إيفانز بريتشارد.
- ما وراء التاريخ - تأليف ويليام هاولز.
- الغصن الذهبى - سير جيمس فريزر (بالمشاركة) مع الإشراف والمراجعة والتقديم.

٢ - أمل فضل حركة :

- أستاذ متفرغ علم الاجتماع بجامعة طنطا.
- حصلت على الليسانس فى الفلسفة والاجتماع من جامعة بيروت العربية.
- حصلت على الماجستير فى علم الاجتماع من جامعة الإسكندرية، والدكتوراه فى الأنثروبولوجيا من الجامعة نفسها.
- قامت بدراسات ميدانية فى مصر والأردن حول مجتمع المسرح والنسق القرابى ومشكلات التحضر.
- تدور اهتماماتها حول الثقافة والتغير الثقافى - مفهوم الوقت - الرمزية - خريطة الانتماء فى مصر.

من أهم أعمالها

- كتاب النسق القرابى فى الأردن من خلال الأمثال الشعبية.
- المسرح والمجتمع فى مصر.
- التحضر فى المجتمع الأردنى.
- دراسات فى علم اجتماع اللغة والأدب.

٣ - فاروق أحمد مصطفى :

- أستاذ الأنثروبولوچيا بكلية الآداب جامعة الإسكندرية حاصل على دكتوراه فى الأنثروبولوچيا بمرتبة الشرف الأولى ١٩٧٨ . أشرف على العديد من رسائل الماجستير

والدكتوراه فى الأنثروبولوچيا. قام ببحوث قومية فى شمال سيناء، وجنوب سيناء، وبحوث حدودية فى حلايب وشلاتين وأبى رماد.

- أستاذ زائر لجامعة يوتا الأمريكية ١٩٨٠ - ١٩٨١، حضر العديد من المؤتمرات المحلية والدولية فى الولايات المتحدة الأمريكية وفى الهند، وفى بريطانيا وقدم بحوثاً باللغة الإنجليزية.

- يعد أحد المحكمين الدوليين فى رسائل الدكتوراه فى الجامعات الهندية.

- أصدر مجموعة من الكتب عن الدراسات والبحوث الأنثروبولوچية. كما قام بترجمة بحوث عن الثقافة والشخصية.

- عضو لجنة الدراسات الاجتماعية بالمجلس الأعلى للثقافة.

٤ - فاروق محمد العادلى:

- أستاذ الاجتماع بآداب القاهرة.

* مواليد ١٩٣٩/٥/١ .

* حاصل على درجة الليسانس (الممتازة) فى علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٦٠ .

* حاصل على درجة الماجستير فى تخصص (علم الاجتماع الصناعى)، ثم درجة الدكتوراه عام ١٩٦٩ من كلية الآداب، جامعة القاهرة فى تخصص الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية) .

* له مؤلفات وبحوث كثيرة لاسيما فى مجالى علم الاجتماع الصناعى، والأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية وفروعها المتخصصة وبصفة خاصة الأنثروبولوجيا الاقتصادية والأنثروبولوجيا التربوية.

* تدرج فى وظائف السلك الجامعى من درجة معيد عام ١٩٦١ حتى أستاذ فبراير عام ١٩٨٢ . وعُين رئيساً لقسم الاجتماع لمدة ست سنوات حتى ١٩٩١/٩/١٨،

ثم عُين أستاذًا متفرغًا عند بلوغه سن الستين، وأستاذا غير متفرغ عند بلوغه سن السبعين.

* له دراسات ميدانية عن الآثار الاجتماعية للتصنيع، وآثار الهجرة والتوطين، ودراسات أنثروبولوجية عديدة من بينها دراسة أنثروبولوجية عن الملامح الاجتماعية المميزة لدورة الحياة فى المجتمع القطرى وأخرى عن قبيلة الشايقية فى السودان.

* قام بالإشراف على ومناقشة عدد كبير من رسائل الماجستير والدكتوراه بالجامعات المصرية والعربية والأجنبية، وتخرج على يديه عدد من أعضاء هيئة التدريس البارزين يعملون بالجامعات المصرية والعربية.

٥ - محمد سعيد فرح

- أستاذ علم الاجتماع، كلية الآداب جامعة طنطا.
- حصل على دكتوراه الفلسفة من جامعة الإسكندرية.
- له بحوث منشورة فى عدد من المجلات العلمية المعروفة.
- له اهتمامات بدراسات الطفولة والشخصية القومية والفقر الحضرى.
- شارك فى الكثير من التراجم من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية.

٦ - مصطفى عوض إبراهيم

- أستاذ الأنثروبولوجيا الفيزيقية، كلية الآداب جامعة الإسكندرية.
- حصل على دكتوراه الفلسفة من جامعة دارام Durham، إنجلترا عام ١٩٨٨م
- له بحوث منشورة فى عدد من المجلات العلمية المعروفة.
- له بحوث منشورة فى عدد من دور النشر.
- عضو الجمعية المصرية لعلوم الأنثروبولوجيا البيولوجية.
- شارك فى بحوث كثيرة باللغة الإنجليزية بالجمعية البيولوجية وغيرها.

التصـــحيح اللغــوى : محمـود جلالة

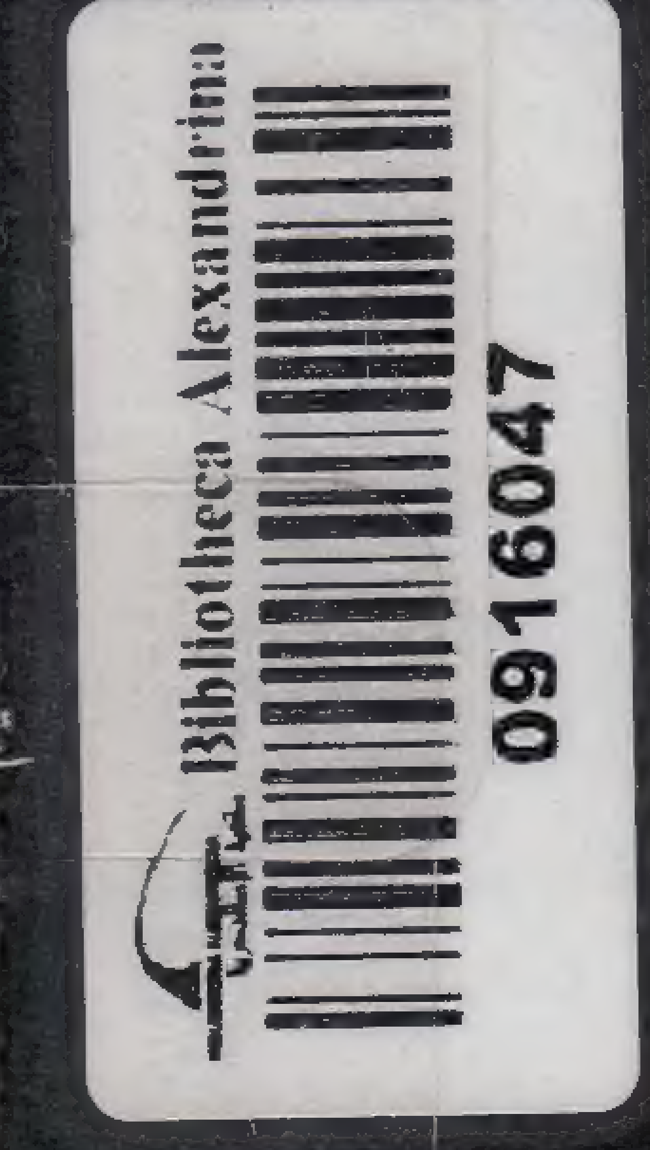
الإشـــــراف الفـــنى : حسـن كامل



تعدّ الموسوعات مصدراً زاخراً بالمعلومات سواء فى مجال معين بالتحديد، كما هو الحال بالنسبة إلى الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية، أو فى فروع المعرفة المختلفة كما هو شأن الموسوعة البريطانية The Britannica مثلاً .

وتقع الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية التى صدرت عام 1968 فى سبعة عشر مجلداً تتألف من أكثر من تسعة آلاف صفحة حول كل فروع العلوم الاجتماعية . وقد استلزمت التغيرات والمستجدات فى تلك العلوم إصدار مجلد إضافى يعرض لتلك النظريات، والأفكار والمناهج من خلال السير الذاتية لأصحابها موزعين على أربعة عشر فرعاً من العلوم الاجتماعية، وذلك انطلاقاً من فكرة أن هناك علاقة وثيقة بين العالم أو المفكر وأعماله وحياته.

ويضم هذا المجلد الأول السير الذاتية لسبعة وعشرين من علماء الأنثروبولوچيا الأفذاذ فى مختلف فروع الأنثروبولوچيا الاجتماعية والثقافية والفيريقية، الذين تؤثر أفكارهم الآن بشكل واضح فى مسار البحث الأنثربولولوچى، على أن تصدر بقية المجلدات تباعاً.



تصميم الغلاف : هند سمير